القراءات واللهجات

من منظور علم الأصوات الحديث

الأستاذ الدكتور

عبد الغفار حامد هلال

الطبعة الثالثة

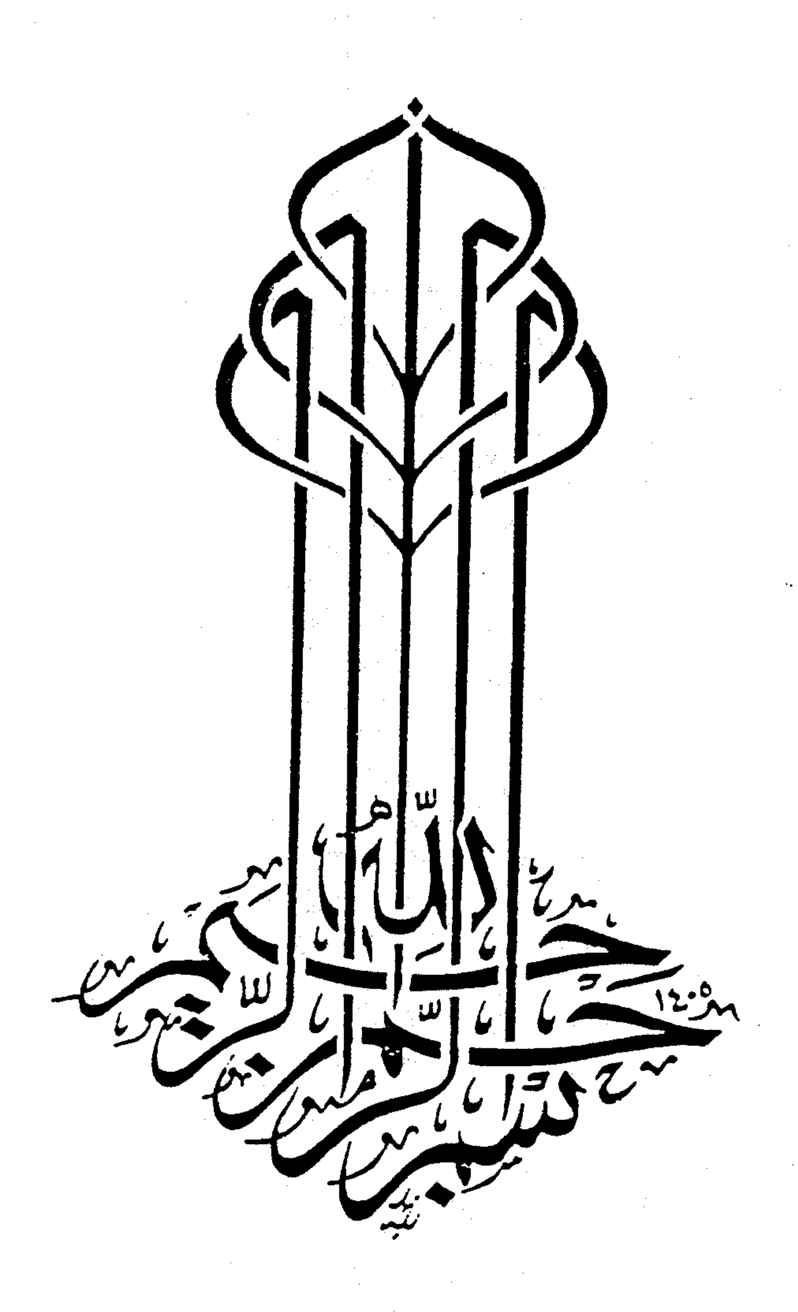
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الناشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة مصر

ت ٢٧٥٢٧٩٤ - ٢٧٥٢٩٨٤



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى جعل القرآن الكريم نبراسا يضئ للإنسان طريق رشاده ويهديه إلى معرفة خالقه وسعادته فى الدنيا والآخرة .

والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن على سبعة أحرف للتيسير على الأمة وتسهيل حفظه وصونه ليظل باقيا إلى يوم الدين سراجا وهاجا .

وبعد ...

فإن الله تعالى أنزل كتابه الكريم على نبيه محمد ﷺ للناس كافة ليعلمهم أمر دينهم وصلاح حياتهم وقد تكفل بحفظه ورعايته حين قال ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وقد بشر العاملين والقائمين على نشره وبيانه للناس بالثواب الجزيل والعناية والإكرام .

ولذا تسابق العلماء والباحثون يعملون من أجله ويحفظونه بوسائل الرعاية فى جميع النواحى وقد كان ذلك دافعا لهم على السير الحثيث للوصول إلى ما يجعلهم من هؤلاء السعداء .

ونحن نعلم أن نشأة الدراسات الإسلامية والعربية كانت من أجل الحفاظ على هذا الكتاب العزيز .

وقد تنوعت الدراسات الإسلامية التى تهتم بكتاب الله وقامت علوم مستقلة يتناول كل منها جانبا من جوانب البحث القرآنى واشتملت على الأنحاء المتنوعة التالية :

١ - علم أسباب النزول .

٢ - علم الناسخ والمنسوخ .

٤ - علم القراءات القرآنية .

٥ - علم الإعجاز القرآنى .

٦ - علم إعراب القرآن .

٧ - علم التفسير .

٨ - علم الرسم والخط .

وهذه العلوم تتنوع بين ما يبحث فى النواحى التاريخية القرآنية كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتدوين القرآن وحفظه وقراءاته .

وبين ما يبحث فى طرائق فهمه واستنباط الأحكام منه فى فروع الشريعة من فقه العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو غير ذلك من الأمور التى تنفع الإنسان فى حياته وبعد مماته .

ومعروف أن اللغة هى وعاء الوحى فلابد من معرفتها لمعرفة لغة القرآن وفهم طرائقه التعبيرية التى توصل إلى المعانى المرادة منه ومعرفة خصائصه فى استنباط المعانى واستخلاص الأحكام التى جاء بها عن المولى عز وجل .

ولعل أهل اللغة إذا بذلوا جهدهم فى الحفاظ على القرآن الكريم نطقا وكتابة وفهما يكونون قد أدوا واجبهم نحو كتاب الله تعالى .

ولعلى أدلى دلوى فى هذا الميدان فقد قضيت حياتى بين علوم القرآن أنهل منها طالبا وأستاذا حتى أصبحت مشغولاً طول الوقت بهذا الكتاب الذى أجد الراحة حين أبحث فيما يعود عليه بالصون وأكتشف كل يوم فيه جديداً من الأمور التى تدل على أنه كلام رب العالمين .

القاهرة فى :

١٥ من صفر سنة ١٤٢٥ هـ

٥ من أبريل سنة ٢٠٠٤م

أ.د. عبد الغفار حامد هلال

الفصل الأول

تعريف القرآن [١]

اختلفت آراء العلماء فى أصل لفظ « القرآن » واشتقاقه فذكر بعضهم أن كلمة « قرآن » بدون « أل » فى أصل اللغة مصدر مثل غفران ورجحان .

وقد استعمل المصدر بمعنى اسم المفعول فيطلق لفظ « قرآن » ويراد به المقروء وقد جاء هذا الاستعمال فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ﴾ « القيامة » أى علينا قراءته وعليك اتباع المقروء منه .

فإذا كان منكرا شمل كل مقروء من كلام الله تعالى أو غيره وإذا عرف « بأل » فقيل « القرآن » فإنه عند الإطلاق يختص بالمجموع المعين من كلام الله تعالى المقروء على ألسنة العباد .

وهذا هو رأى اللحيانى وجماعة ورجحه الراغب الأصفهانى فى مفرداته ويرى الزجاج أن « قرآن » وصف مهموز على وزن « فعلان » مشتق من « القَرْء » بمعنى الجمع وفعله « قرأ » بمعنى « جمع » .

تقول العرب « قرأت وقريت الماء فى الحوض » بمعنى جمعته ويقولون ما قرأت الناقة جنينا بمعنى أنها لم تحمل أى لم تجمع فى بطنها ولدا .

ويكون كلام الله تعالى قد سمى بذلك لأن الآيات والسور مجتمعة فيه وبهذا قال أبو عبيدة أو لأنه يجمع خلاصة الكتب السابقة التى أنزلت على رسل الله من قبل ويضم ثمراتها وبهذا قال الراغب الأصفهانى .

---

(١) للقرآن الكريم أسماء كثيرة عدها أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك الشهير بشيدلة فى كتابه البرهان خمسة وخمسين اسما - وعدها على بن أحمد بن الحسن النجيبى الشهير بالحرالى نيفا وتسعين اسما كما يقول السيوطى فى الإتقان ١ / ٥٠ ويرجعها الألوسى إلى اسمين هما القرآن والفرقان وزاد الطبرى عليهما - الكتاب والذكر .

ويرى جماعة منهم أبو الحسن الأشعرى أن القرآن وصف غير مهموز مشتق من معنى « القران » بمعنى الضم والجمع أيضا يقال فى اللغة « قرن » أى ضم شيئاً إلى شئ آخر .

وتكون تسمية كلام الله تعالى بذلك على ما سبق - لاقتران السور والآيات والحروف بعضها إلى بعض فيه على نحو يجمعها ويضمها .

ويرى الفراء أن « القرآن » مشتق من القرينة وجمعها قرائن فالشئ يكون قرينة على شئ آخر ، أى يكون دليلا على المراد منه والصواب فيه ويكون كلام الله تعالى قد سمى بذلك لأن آياته يصدق بعضها بعضا فكل منها قرينة على صحة الآيات الأخرى .

ولم يرتض هذا الرأى الزجاج .

وأصحاب هذه الاشتقاقات يرون أن « القرآن » قد أصبح علما على هذا الكتاب العزيز فهو حقيقة لغوية فى كلام الله تعالى النفسى أو اللفظى أو المشترك بينهما .

ويرى الشافعى وجماعة أن « القرآن » علم مرتجل غير مشتق وهو معرف غير مهموز - خاص بكلام الله تعالى وقد نقل هذا الرأى عن الشافعى والبيهقى والخطيب وغيرهما [1] .

ومع اعترافنا بأن الاشتقاقات التى ذهب إليها اللغويون صحيحة فى مرادها ومعناها فإن رأى الشافعى ومن معه أسلم اتجاها فى تفسير اللفظ .

---

(١) يقول الجاحظ سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل ، سمى جملته قرآنا كما سموا « ديوانا » وبعضه « سورة » كقصيدة وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية (الإتقان . ط الحلبى ١ / ٥٠ ، وانظر معجمات اللغة « قرأ » و « قرن » .

وفى القرآن الكريم ما يشهد بعلمية هذا اللفظ على كلام المولى سبحانه كما فى قوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ « الزمر » وكقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ « النمل » وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾ « الإسراء » .

أما معناه فى اصطلاح العلماء فإنه يختلف بحسب الطائفة التى تعرفه فعلماء الشريعة يعرفون القرآن بأنه هو المجموع المعين من كلام الله تعالى كالمعنى اللغوى ويطلق شرعاً أيضا على المعنى القائم بذاته تعالى النافى للسكوت والآفة .

وهذا إذا كان اللفظ معرفا « القرآن » أما « قرآن » منكرا فلم يعهد فى الشرع نقل له عن المفهوم اللغوى .

وعند الأصوليين اسم للفظ العربى المنزل على محمد ﷺ المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر بلا شبهة [١] .

وبعض العلماء كالشوكانى يضيف إلى التعريف « المتلو » [٢] وبعضهم يضيف « المتعبد بتلاوته » .

وعند القراء كما هو عند الأصوليين إلا أنهم اشترطوا التواتر فى الكتابة وأما النقل فيكتفون بصحة الرواية وشهرتها .

والقرآن على هذه الآراء يطلق على مجموع كلام الله تعالى وعلى بعضه قليلاً أو كثيراً .

---

(١) وجوز أبو حنيفة - رحمه الله - فى بعض ما نقل عنه - القراءة بالفارسية فى الصلاة ولكن هذا لا يخل بالتعريف فالنظم العربى موجود تقديراً أو حكما وقيل إن أبا حنيفة رجع عن هذا الرأى .

(٢) إرشاد الفحول ص ٢٩ ، ٣٠ ط القاهرة .

وعند الفقهاء اسم لهذا المنزل العربى المعجز فلا يطلق إلا على سورة أو آية مثلها [١] .

وعند المتكلمين : هو المعنى القائم بذاته تعالى ليس هو من جنس الحروف والأصوات بل يلفظ ويسمع باللفظ الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه .

وهم يذكرون ذلك فى الحديث عن صفات الله تعالى [١] .

ويتبين لنا - من عرض هذه الآراء - أن الخاصية الأساسية للقرآن الكريم هى أنه كلام رب العالمين نزل به جبريل الأمين على محمد ﷺ ليكون مقروءا متلوا على الألسنة [٢] ، وليعمل بمقتضاه .

والمتواتر فى التعريفات السابقة يخرج القراءات الشاذة .

و « المعجز » يخرج الأحاديث القدسية . وكذلك قيد « المتلوّ » فالأحاديث القدسية لا تتلى فى الصلاة وإذا كانت قراءة الأحاديث القدسية تدخل فى نطاق العبادة فإن القرآن أعلى منها وأدخل فى باب العبادة .

مدة نزول القرآن الكريم :

بعث نبينا محمد ﷺ على رأس الأربعين كما يدل عليه الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى تاريخه عن طريق أبى داود بن أبى هند عن الشعبى قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة .

---

(١) ذكر ذلك الشيخ حسن بن على العجيمى الحنفى المكى فى رسالته المسماة « منحة البارى فى إصلاح زلة القارى . انظر (التحرير السديد لشرح القول المفيد مخطوط ص ٨) . ويعترض الغزالى على التعريف بالمعجز قائلا : (فإن قيل هلا حددتموه بالمعجز ؟ قلنا : لا . لأن كونه معجزا يدل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لا على كونه كتاب الله تعالى لا محالة ، فالإعجاز يتصور بما ليس بكتاب الله تعالى ولأن بعض الآية ليس بمعجز . المستصفى للغزالى ١ / ٦٥ .

(٢) انظر : النبأ العظيم . للدكتور عبد الله دراز ص ١٢ ، ١٣ ط دار العلم . الكويت .

ومكث ﷺ فى مكة بعد البعثة عشر سنين وقضى فى المدينة عشرا كذلك فقد روى البخارى وغيره عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما قالا : لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا .

معنى ذلك أن مجموع سنوات الوحى - عشرون سنة - وقد كانت سِنُّه ﷺ قبل النبوة - أربعين سنة - فيكون مجموع سِنُّه عليه السلام - ستين سنه .

وهذا يتفق مع حديث رواه البخارى عن ابن عباس وعائشة أنه ﷺ عاش ستين سنة فَقط .

فإذا أضفنا إلى ذلك الفترة الزمنية بين نزول الملك عليه فى غار حراء بأول ما نزل من القرآن من سورة العلق إلى أمر المولى له ﷺ بالدعوة الإسلامية حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) ﴾ « المدثر » وهى مدة ثلاث سنوات يكون ﷺ قد مكث بمكة ثلاث عشرة سنة وإذا كانت البعثة على رأس الأربعين من بداية الوحى فى غار حراء فتكون وفاته ﷺ وقعت بعد ثلاث وستين سنة من العمر - وهذا يوافق رواية أخرى لحديث رواه البخارى عن عائشة أنه ﷺ توفى وهو ابن ثلاث وستين .

وبناء على ما تقدم اختلف فى مدة نزول القرآن أفى عشرين سنة أو ثلاث وعشرين .

فمن ضم المدة التى قبل الأمر بالدعوة يرى أن القرآن قد نزل فى ثلاث وعشرين سنة ومن لم يضم هذه المدة يجعل القرآن قد نزل فى عشرين سنة .

والأول هو المشهور .

كتابة القرآن الكريم وتدوينه فى المصاحف

كان ﷺ حريصاً على كتابة الوحى وقد اشتهر بعض الصحابة الذين كان يستكتبهم النبى ﷺ ومن هؤلاء زيد بن ثابت ثم معاوية (١) وهناك صحابة آخرون كتبوا الوحى للرسول الكريم مثل الزبير وعمرو بن العاص وعبد الله بن الأرقم وعامر بن فهيرة . والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحه وخالد بن الوليد ، وثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن أبى سرح (٢) .

ويدل لهذا ما رواه الحاكم عن زيد بن ثابت قال « كنا على عهد رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع (٣) » ولعل الرسول ﷺ كان يحث على ذلك حفظا للقرآن الكريم ، ومما يدل - كذلك - على كتابة القرآن فى عهده ﷺ ما اشتهر من قصة إسلام عمر وأنه دخل على أخته وهى تقرأ فى صحيفة أول سورة طه . وأنه أخذ منها الصحيفة والقصة فى سيرة ابن هشام (٤) ولعل بعض الأحداث التى كانت تؤدى إلى استشهاد القراء كانت سبباً فى هذا الحرص النبوى الكريم على تدوين القرآن وتسجيله ، من ذلك حادثة بئر معونة التى كانت فى صفر من السنة الرابعة للهجرة ، فقد قتل فيها سبعون من القراء كما فى رواية البخارى ومسلم وكانوا قد ذهبوا يعلمون بعض الناس الإسلام والقرآن ، فقتلتهم قبائل رعل وذكوان وعصبة (٥) .

---

(١) ومما عرف فى ذلك أن النبى ﷺ قال عنه لا أشبع الله بطنه لما كان يطلبه لكتابة الوحى فيجده مشغولاً بالأكل وقيل إنه كان يأكل سبع مرات يوميا .

(٢) ارتد ثم أسلم عام الفتح وحسن إسلامه ، انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١ / ٢٩ .

(٣) المستدرك والحديث على شرط الشيخين والرقاع كانت من الجلد ونحوه مما يكتب فيه ٢ / ٢٢٩ .

(٤) السيرة ١ / ٢٩٧ .

(٥) تفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ) وانظر فضائل القرآن فى صحيح البخارى وقد كان الرسول يدعو على القتلة من القبائل المذكورة وانظر فى أسمائهم : عيون الآثار ٢ / ٤٦ .

وبعد وفاة الرسول ﷺ جمع القرآن الجمع الأول فى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وذلك لما حدث من قتل كثير من القراء فى حرب الردة ويوم اليمامة مشهور متعالم كان عدد المسلمين فيه ثلاثة عشر ألفا فيهم من القراء الكبار ما يقارب ثلاثة آلاف .

قتل منهم ما يقرب من خمسمائة قارئ كما ذكر الحافظ بن كثير [١] فلما وجد أن كثرة من القراء يموتون وربما يؤدى ذلك إلى أثر غير محمود لحفظ القرآن وصيانته كلّف الخليفة أبو بكر بعض الصحابة الأجلاء ليقوموا بجمع القرآن من العُسُب واللخاف وصدور الرجال فقام بذلك من كلفوا به خير قيام وفى مقدمتهم زيد بن ثابت وأبى بن كعب وقيل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له موقف مشهود في المطالبة بجمع القرآن ويرون أنه شارك زيداً فى هذا الجمع أيضاً ، وكان بعض الصحابة يملى كأبىّ وبعضهم يكتب [٢] .

وفى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه كثرت الفتوح الإسلامية واتسعت وانتشر الصحابة فى الأقاليم المفتوحة ليعلموا الناس الداخلين فى الإسلام قراءة القرآن وتعاليمه السماوية وظهرت بوادر اختلاف فى وجوه الأداء القرآنى بين هؤلاء الصحابة وأحياناً كانوا يتنازعون الآراء فى القراءة الصحيحة ، فكل يدعى لنفسه أن قراءته هى الصواب دون ما سواها ، ومن ذلك ما حدث فى غزو أذربيجان وأرمينية سنة ٣١ هـ فقد اجتمع قراء من الشام والعراق وسمع بعضهم بعضاً يتلو القرآن واختلفوا فى وجوه التلاوة ، وكان معهم حذيفة بن اليمان ففزع لما حدث وأبلغ عثمان بن عفان ليجمع الأمة قبل أن يتفاقم الخلاف فأمر عثمان بجمع القرآن الكريم وكتابته

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ) ٣ / ٨٠ وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن سليمان بن الورداني (ت ١٠٦٤ هـ) بتحقيق السيد عبد الله هاشم اليمانى وكتاب المصاحف للسجستانى ١ / ٩ .

(٢) انظر البخارى فى قصة حذيفة بن اليمان فى أذربيجان وكتابة عثمان المصحف ٦ / ١٨٣ . وابن الأثير فى حوادث سنة ٣٠ هـ .

فى المصاحف وقد قام بالجمع أربعة من أجلاء الصحابة وحفاظهم وضباطهم للقرآن وهم : زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فجمعوا الصحف التى كانت على عهد أبى بكر - رضوان الله عليه - ونظروا فيها وأخذوا عن الحفاظ المتقنين وعن الصحف المكتوبة لدى بعض الصحابة وكان عمل عثمان محل إجماع الأمة [١] وقد كتب فى عهد عثمان عدد من المصاحف أرسل بها إلى الأمصار الإسلامية فى مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن والبحرين وجعل مصحفا للمدينة قيل : إنه المصحف الإمام وقيل إن عثمان أمسك لنفسه مصحفا مستقلا ولذلك اختلف فى عدد المصاحف هل كانت سبعة أو ثمانية ، ويذكر القرطبى أنها كانت أربعة فقط [٢] ومنعا للخلاف أحرق عثمان المصاحف الخاصة ببعض الصحابة كمصحف أبى بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود لتجتمع الأمة على ما استقر عليه إجماع الصحابة.

وقد بقيت مصاحف عثمان تؤدى دورها فى خدمة الأمة الإسلامية فى أقطارها المتعددة زمنا طويلاً وقيل إن مصحف الشام بقى فى مدينة طبرية حتى سنة ٥١٨ هـ ثم نقل إلى الجامع الأموى بدمشق [٣] ويقال إنه احترق فى أول هذا القرن ولكن لم يصلنا منها شئ وكانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل ولم يكن الاعتماد على المكتوب هو الأصل فى الإقراء بل كانت القراءة تتم على يد الشيوخ الحفاظ والتلقى منهم والرواية عنهم وإنما كانت

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى ١ / ٣٧٢ .

(٢) يقصد فى مكة والبصرة والكوفة والشام وبقى فى المدينة المصحف الإمام . انظر فى هذا الإتقان للسيوطى وفضائل القرآن ملحق بتفسير الحافظ ابن كثير .

(٣) مناهل العرفان للزرقانى ١ / ٣٧٢ .

المصاحف لحفظ القرآن والاطمئنان عليه وكانت الكتابة فيه تدرك بالتلاوة والقراءة على الشيوخ .

ولم يكن خط المصاحف العثمانية سببا فى اختلاف القراءات من بعد كما زعم بعض المستشرقين مثل جولد تسيهر [١] .

وبعد تفشى اللحن قام أبو الأسود الدؤلى بإذن من زياد والى البصرة بوضع إعراب القرآن بالنقط فأحضر كاتبا وقال له خذ المصحف وأعطاه مداداً أحمر وقال له فإذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فضع نقطة واحدة فوق الحرف وإذا كسرته فضع نقطة واحدة تحته وإذ ضممتهما فاجعل النقطة بين يدى الحرف فإن تبعت شيئا من هذه الأحرف غنة فانقط نقطتين ، وترك السكون بلا علامة حتى انتهى من إعراب المصحف كله وأقام بهذا النقط عملية الإعراب . وفى أواخر القرن الأول الهجرى ، بدت الحاجة الماسة إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها من بعض لتسرب التصحيف والتحريف إليها إذ أمر الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد عبد الملك بن مروان بإتمام نقط المصحف أو إعجامه وتم ذلك على يد بعض العلماء بهذا الأمر مثل يحيى بن نصر من تلاميذ أبى الأسود الدؤلى ونصر بن عاصم الليثى الذى كان يطلق عليه نصر الحروف وعبد الرحمن بن هرمز وعنبسة الفيل [٢] .

وقد رتبوا الحروف حسب صورها ووضعوا لها نقطاً تميز بعضها عن بعض وجعلوا النقط بنفس مداد الكتابة لاصقة بالحروف لأن

---

(١) فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى انظر ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار الكتب الحديثة أو السنة المحمدية - القاهرة .

فقد كان يزعم أن قراءة مثل « فتبينوا » أو « فتثبتوا » ، ومثل « بشرى بين يدى رحمته » أو « نشرا » من آثار رسم المصحف وهو زعم باطل .

(٢) تفسير ابن عطية ١ / ١٥ وانظر المحكم فى نقط المصاحف للدانى تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٦ .

النقطة جزء من الحرف حتى تتميز عن نقط الشكل التى تكتب بالمداد الأحمر والقاف فى هذا الإعجام تنقط نقطة واحدة فرق والفاء نقطة واحدة من أسفل .

ولما جاء الخليل بن أحمد وجد أن نقط تمييز الحروف قد تختلط بنقط الإعراب فاتخذ خطوطاً مستقيمة للدلالة على النصب والجر وكان ذلك فى وضع رأسى ثم تحولت إلى الوضع الأفقى وجعل للدلالة على الضم رأس واو صغيرة وتكرر العلامة إذا كان الحرف منونا وجعل للسكون دائرة كرأس الميم أو رأس جيم (جـ) وعبر عن الشدة برأس شين ووضع لهمزة القطع رأس عين صغيرة وعن المد بمختصر (مد) وعن همزة الوصل برأس هاء (هـ) وهذا قد ظل إلى الآن (١) .

وبذلك وضع الخليل الحركات لضبط كلمات القرآن والعربية وكان هذا بعد تفشى اللحن .

وألف بعض العلماء كتبا فى نقط المصحف مثل السجستانى من علماء القرن الثالث الهجرى - فى كتابه « نقط المصاحف » وكذلك أبو عمرو الدانى وغيرهما وقد توالت المؤلفات فى رسم المصحف (٢) .

وظل المصحف يتداول مكتوباً بالخطوط العربية المتنوعة على أيدى كاتبين مهرة للجماهير المسلمة وعلى أيدى كاتبين لأنفسهم أحقاباً طويلة .

---

(١) انظر كتابنا مناهج البحث فى اللغة والمعجم ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) انظر المقنع فى رسم المصحف لأبى عمرو الدانى وعنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل لأبى العباس المراكشى واللؤلؤ المنظوم فى ذكر جملة من المرسوم للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولى وعقيلة أتراب القصائد للشاطبى - وراجع البرهان للزركشى والإتقان للسيوطى وفنون الأفنان لابن الجوزى فإنها تضمنت مباحث تتعلق برسم المصحف .

وقـد طبع المصـحف الشـريف أول الأمـر فى البندقـيـة بإيطاليـا حوالى سنة ١٥٣٠م ولكن السلطات الكنسـيـة أعدمت هذه الطبـعة ثم طبع فى سانت بطر سبورج فى روسـيا سنة ١٧٨٧م طبعهـا مولاى عثمان .

ثم طبع فى مصر بإشراف الأزهر الشريف سنة ١٩٢٣م على ما يوافق رواية حفص عن عاصم ثم تتابعت طبعات المصحف بعد ذلك .

الفصل الثانى

بين التجويد والقراءات

التجويد مصدر للفعل جوّد مضعف العين يُجَوِّد إذا عمل عملا على الوجه الحسن متقناً ويأتى الثلاثى منه فيقال جاد الشئ إذا صار جيدا ويأتى مزيدا بالهمزة فيقال أجاد فلان كذا ومزيداً بالتضعيف فيقال جوّد الشئ وجود فيه إذا أتى به فى صورة جيدة .

والجودة ضد الرداءة وتعنى المادة (جود) فى معجمات اللغة معنى الإتقان والإحسان سواء كان ذلك فى الأفعال أو فى الكلام [١] وتجويد النطق عبارة عن إحسانه وإتقانه وهو فى تجويد القرآن كما يقول ابن الجزرى بإعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف .

فأول ما يجب فى التجويد تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحا يمتاز به من مقاربه وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه بعمل لسانه وفمه . بالرياضة فى ذلك إعمالا يصير ذلك له طبعا وسليقة [٢] .

وقد قال مكى نصر - أيضا - التجويد إعطاء كل حرف حقه ومستحقه [٣] وذلك فيما يتعلق بالمخارج والصفات وهذا يتطلب معرفة مخارج الحروف وصفاتها وائتلاف الكلمات والعبارات وما يتطلبه ذلك من الإظهار والإخفاء والإدغام والإقلاب والمد والقصر إلى غير ذلك .

---

(١) راجع معاجم اللغة - اللسان (جود) .

(٢) النشر ١ / ١٢ .

(٣) نهاية القول المفيد ص ١١ .

ومعنى هذا أن يتقن النطق دون تكلف أو إسراف بطريقة حلوة لطيفة لا يعتمد على تمضيغ اللسان ولا تعويج الفم ولا ترعيد الصوت ولا تمطيط الشفة حتى لا يخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من الوجوه [١] ، والأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية التى لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها [٢] .

وأمّا الأداء : فهو نطق ما تتكون منه اللغة من أصوات وكلمات وجمل نطقاً وافيا من حيث المخارج والصفات لتبدو كاملة لا نقص فيها Intensity مستغرقة الحد الزمنى المقرر لها Duration ويطلق فى العربية على إخراج الحروف من مخارجها .

وهو فى قراءة القرآن - يطلق - كما قال المرعشى - على النطق بالحرف بإعطائه حقه مخرجا وصفة كما يتلقى عن الشيوخ مشافهة وهذا المعنى يرادف المراد من التجويد .

ففى كل منها إخراج للأصوات من مخارجها ومراعاة صفاتها مفردة ومركبة وكلا الأمرين يتطلب الأخذ عن الشيوخ وقد أصبحت معرفة القواعد التى ترشد إلى هذا النطق السليم علماً من العلوم سمى علم التجويد وتُعَلّم قواعده وتتلقى طريقة تطبيقها عن شيوخ هذا الفن .

ولذلك نجد بعضهم يعرف علم التجويد بأنه العلم الذى يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها وما يتعلق بها إفراداً وتركيباً فى القرآن الكريم [٣] وهذا التعريف يعنى البحث فى مسائل هذا العلم

---

(١) النشر ١ / ١٢ .

(٢) النشر ١ / ٢١٠ .

(٣) جهد المقل للمرعشى ، الورقة ١ وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

وقوانينه التى تتعلم من كتب هذا العلم وشيوخه ويعرف علم التجويد - كما ذكرنا - بأنه إعطاء الحروف حقوقها كما ذكر ابن الجزرى .

وهذا يقتضى أن للعلم جانبين نظريا وتطبيقيا وقد اختلف فى ارتباط الجانب العملى بالمسائل النظرية فهل لابد من معرفة الأمرين أو يمكن أن يكتفى بأحدهما ليكون المرء عارفاً بالتجويد .

أما تحصيل قواعده دون القراءة على الشيخ فهذا أمر عسير المنال إذ يمكن معرفة القاعدة دون إمكان التطبيق لأن الإنسان كثيراً ما يعجز عن أداء الحروف إذا اعتمد أساسا على معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات ما لم يسمع من فم الشيخ [١] وقد قيل يمكن أن يتلقى علم التجويد مشافهة عن الشيوخ دون إلمام أو معرفة بقواعده المدونة فى كتبه [٢] .

والواقع أن المتعلم للتجويد ينبغى أن يجمع بينهما فمن يعرفه سماعاً وتقليدا فقط يداخله الوهن والضعف إذ لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف لأنه لم يبن على أصل ولا نقل عن فهم [٣] .

أما من يعلم التجويد رواية عن الشيوخ وقياساً مبنيا على الاستنتاج من قواعده التى درسها - فى كتبه - واعتمادا على التمييز بين الأداء الصحيح والفاسد لعلمه بقواعده وأصوله الكلية فذلك هو الحاذق الفطن لعلمه ذلك رواية وقياساً وتمييزاً [٤] .

ولذلك يقول الشيخ عبد الدايم الحديدى الأزهرى [٥] .

---

(١) المنح الفكرية ص ٢٣ والنشر .

(٢) جهد المقل للمرعشى الورقة ١ وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

(٣) تجويد التلاوة وتحقيق القراءة للدانى الورقة ٤ والرعاية لمكى ص ٦٩ .

(٤) المصادر السابقة وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

(٥) ت ٨٧٠ هـ .

وطريقة التجويد الأخذ عن أفواه الشيوخ العارفين بطريق التجويد بعد معرفة مخارج الحروف وصفاتها وكيفية الوقف والابتداء وما يتبع ذلك من المقطوع والموصول ومعرفة رسم ما يحتاج إليه والإدمان فى ذلك حتى يألفه طبعه ويصير سجية له (١) .

وقد أوضح ابن الجزرى طرق الأخذ عن الشيوخ وأنها نوعان :

الأولى : طريقة المتقدمين وهى : أن يسمع من لسان الشيخ .

والثانية : طريقة المتأخرين وهى : أن يقرأ المتعلم فى حضرة الشيخ وهو يسمعه .

وجمع بعضهم بين الطريقتين بأن يقرأ الشيخ أولاً ليسمع التلميذ ثم يعقبه المتعلم ليقف الشيخ على الأخطاء فى قراءة المتعلم ينبهه على كل منها فى مكانها أو فى نهاية القراءة وأكد ذلك السيوطى فى حديثه عن القراءة على الشيخ والسماع من لفظه وقال: إن الصحابة أخذوا من رسول الله ﷺ القرآن وكان الصحابة بطبيعتهم فصحاء لهم قدرتهم على الأداء ورسول الله ﷺ قال لأبى بن كعب رضى الله عنه إن الله أمرنى أن أقرأ القرآن عليك ، والمراد أن قراءته عليه الصلاة والسلام على أبى تعليمه وإرشاده وهو أول قراء الصحابة وأشدهم استعداداً لتلقى القرآن منه ﷺ كتلقيه عليه الصلاة والسلام من أمين الوحى جبريل عليه السلام (٢) .

حكم تعلمه وفائدته :

لا شك أن لعلم التجويد جانبين نظريا ويتمثل فى معرفة أصوله ومسائله وعمليا وهو القراءة الفعلية للقرآن حسب هذه القواعد والأصول .

---

(١) الطرزات المعلمة للشيخ عبد الدايم الحديدى الورقة ٥ .

(٢) نهاية القول المفيد ص ١٣ ، ١٤ .

أما الشق الأول فهو : من فروض الكفاية إذا تعلمه البعض سقط عن الباقين لكنه يصبح فرض عين إذا توقف تحصيل التجويد على تعلم مسائله ، وفقد الشيخ المجود الذى يمكن مشافهته والتلقى عنه .

أما الشق الثانى فهو : فرض عين وقد نقلنا عن ابن الجزرى ما يفيد أن الأمة متعبدة بتصحيح ألفاظ القرآن وإقامة حروفه كما نقلت عن النبى ﷺ وجعل بعض العلماء ذلك واجباً على كل من قرأ شيئاً من القرآن كيفما كان لأنه لا يترخص أبداً فى تغيير اللفظ فى القرآن أو اللحن فيه وقصر بعض العلماء ذلك على ما يلزم المكلف قراءته فى المقترضات فإن تجويد اللفظ ، وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب .

ويذكر الشيخ على القارى فى كتابه المنح الفكرية أن تجريدالقرآن من اللحن الجلى فرض عين وتجريده من اللحن الخفى الذى يعرفه عامة أهل الأداء واجب وتجريده من اللحن الخفى الذى لا يعرفه إلا مهرة أهل الأداء مستحب وعلى ذلك فإن علم التجويد له فائدة جليلة هى صون اللسان عن الخطأ فيما نزل من القرآن وهذه الفائدة تؤدى إلى فائدة أخرى هى الفوز بسعادة الدارين لاشتغال صاحب هذا العلم بكتاب رب العالمين وقراءته تحقق الفضل العظيم لأهلها .

فعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستكون فتن قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته

الجن إذ سمعته أن قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدِى إلى صراط مستقيم [١] .

وقال ﷺ : « إن لله أهلين من الناس قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصته [٢] » .

وقال ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران [٣] » ولذلك قال ابن الجزرى إن : أولى االعلوم ذكرا وفكرا وأشرفها منزلة وقدرا وأعظمها ذخرا وفخراً كلام من خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً فهو العلم الذى لا يخشى معه جهالة ولا يفشى به ضلالة وإن أول ما قدم من علومه معرفة تجويده وإقامة ألفاظه [٤] .

علم القراءات والصلة بينه وبين علم التجويد :

يقول الزركشى القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف وكيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرهما والقراءة مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره فى النطق بالقرآن الكريم مع إتقان الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة فى نطق الحروف أم فى نطق هيئاتها [٥] .

---

(١) جامع الترمذى ٨ / ٢١٨ وسنن الدارمى ٢ / ٤٤٤ .

(٢) سنن الدارمى ٢ / ٤٣٣ وسنن ابن ماجة ١ / ٧٨ وانظر النشر ١ / ٥ ، ٦ .

(٣) مسلم بشرح النووى ٦ / ٨٤ وسنن أبى داود ٢ / ٧١ وجامع الترمذى بشرح الأحوذى ٨ / ٢١٦ وهو حديث حسن صحيح عن السيدة عائشة رضى الله عنها .

(٤) التمهيد فى علم التجويد ٤٠ .

(٥) مناهل العرفان للزرقانى ١ / ٤٠٥ والاختلاف هنا اختلاف تنوع لا اختلاف تعارض : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ « النساء » الآية ٨٥ .

وعلم القراءات كما يقول ابن الجزرى علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا لناقله [١].

ويقول البنا الدمياطى : « علم يعلم منه إتقان الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع [٢] » وهو على هذا علم يتعلق بالمعرفة والبحث فى الاختلافات الواردة المسموعة على لسان القراء وأصولها المبنية عليها . وهذه الاختلافات أنواع منها المتواتر وغيره ، وقد خص حاجى خليفة هذا العلم بالمتواتر من الاختلافات فقال : هو « علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة [٣] » .

ولكن تعريف غيره كابن الجزرى والبنا الدمياطى يجعله أعم من ذلك فيشمل الاختلافات المتواترة وغير المتواترة وهذا كما يشمل الأصوات المفردة يشمل المركبات فهو يتعلق بنطق الأصوات بإخراج الصوت من مخرجه صحيحاً فصيحاً وفق المقاييس المنقولة عن العرب ونطق الأصوات فى التراكيب وما يعروها من تحقيق وتغيير .

فعلى هذا فالقراءات هى وجوه متعددة فى طريق الأداء للقرآن الكريم ممثلة لطرائق النطق لدى القبائل العربية وهى مأثورة يجوز اتباع ما صح منها تسهيلا على الأمة الإسلامية .

وعلى هذا يشترك مع علم التجويد فى موضوعات كثيرة كالبحث فى مخارج الأصوات وصفاتها وما يعروها حال التركيب من أحكام وذلك من أحكام كتلك التى تتعلق بالترقيق والتفخيم

---

(١) منجد المقرئين ص ٣ .

(٢) الإتحاف ١ / ٦٧ ولطائف الإشارات ١ / ١٧٠ .

(٣) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ ط ٢ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

والإدغام والفك والمد والقصر والإمالة والفتح والإشمام والاختلاس إلى غير ذلك إلا أن البحث فى هذه المسائل يتعلق بتحديد مواضعها وحقائقها ووظائفها حين تدرس فى علم التجويد ومدى مطابقتها لما نقل عن العرب .

أما فى علم القراءات فتدرس لمعرفة ما ينسب منها إلى قارئ معين دون غيره وقد يعرج الباحث فيها على معرفة مطابقتها لقوانين العربية من غيره وارتباطها ببيئاتها اللغوية إلى جانب صحة السند فيها .

فقد يتداخل العلمان فى مباحثهما لكن لكل منهما مباحث أصلية تعد فى العلم الآخر تتميماً للفائدة ومع ذلك يعد كل واحد من العلمين متمما للآخر .

يقول مكى بن أبى طالب وغيره ممن كتبوا فى القراءات والتجويد : إن الغرض الأساسى من علم التجويد : معرفة ماهيات صفات الحروف واختلاف القراء ليس داخلا فيه .

فحينما يذكر فيه شئ من اختلاف الأئمة فإنما هو من باب ما يتمم الموضوع .

وكذلك الغرض الأساسى من علم القراءات معرفة اختلاف أئمة الأمصار فى نظم القرآن فى نفس حروفه أو فى صفاتها وما يتعلق بماهيات الحروف وصفاتها خارج عنه فإذا ذكر فيه شئ من ذلك فهو من باب الإتمام لأن الغرض الأساسى لا يتعلق بذلك [٢] .

ويتفقان فى الهدف العام وهو صون كلام الله تعالى عن التحريف والتغيير وبذلك يتضح ما بينهما من وشائج القربى فكل

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ ط ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

(٢) الرعاية لمكى ص ٤٢ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٩٩ وجهد المقل لساجقلى ١٢ / ش .

من العلمين يستند إلى ما فى الآخر من بحوث ويحتاج دارس التجويد إلى معرفة المنقول من القراءات كما يحتاج دارس القراءات إلى معرفة أصول فن التجويد .

وقد يترتب على الجهل بأحدهما فقدان الصواب العلمى لأى منهما وكما يقول ساجقلى زاده : إن من لم يعرف القراءات إذا سمع قراءة متواترة لم يعرفها ينكرها وفى ذلك يخشى عليه أمر عظيم[(١)] .

وفى علم القراءات عدة مصطلحات وتسميات خاصة يجب على الباحث فيها معرفتها وهى :

الإمام - الراوى - الطريق - الوجه .

فالإمام هو صاحب القراءة .

والراوى هو الآخذ عنه .

والطريق هو الآخذ عن الراوى .

فكما أن لكل إمام راويا فلكل راو طريق .

فيقال قراءة نافع رواية قالون عن طريق أبى نشيط [(٢)] ويقول السيوطى « فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات ، والطرق عنه فهو قراءة وإن كان للراوى عنه فرواية أوكان بعده فنازلا فطريق ، أولا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخير القارئ فيه فوجه [(٣)] .

ونسبة القراءة للإمام لا تعنى أنه يقرأ عن اجتهاد أو رأى وإنما أنه اختار هذه القراءة وفضلها على غيرها يقول الزركشى عن القراءات السبع :هذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن

---

(١) جهد المقل ٧ / ش .

(٢) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ وانظر ، إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ وغيث النفع ص ١٤ .

(٣) الإتقان ١ / ٧٤ وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٠ .

عنده والأولى ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها واشتهرت عنه ونسبت إليه فقيل : حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره بل سوّغه وحسّنه وكل واحد من هؤلاء روى عنه اختياران أو أكثر وكل صحيح [١] .

وعلى ذلك فكل قارئ اختار من بين ما قرأ وروى عمن قرأ عليه مثل نافع فإنه قرأ على سبعين من التابعين ولكنه جعل اختياره لما اتفق عليه اثنان وترك ما عداه وكذلك القراء الآخرون فالقارئ لم يخترع القراءة اختراعا ولا هي من اجتهاده ورأيه وإنما له فيها مجرد الاختيار من المسموع المنقول المأثور عن النبي ﷺ ونقله صحابته والتابعون من بعدهم وكانت هناك أسس تنبني عليها المعرفة بالقراءة الصحيحة لاختيارها وترك ما عداها وذكر ابن الجزرى هذه الأسس والمعايير :

يقول : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحتمل إنكارها [٢] .

القارئ أنواع :

المبتدئ : من شرع في الإقراء إلى أن يفرد ثلاث قراءات .

المتوسط : من ثلاث إلى أربع أو خمس .

المنتهي : من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها [٣] .

المقرئ :

هو العالم بالقراءات إذا رواها مشافهة لا من الكتب فلو حفظ الشاطبية - مثلا - فليس له أن يقرئ بما فيها إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا وذلك لأن القراءات لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة [٤] .

---

(١) البرهان ١ / ٢٢٧ والنشر ١ / ٥١ ، ط . القاضي .

(٢) النشر ١ / ١٩٣ ط القاضي .

(٣) القراءات المتواترة ص ٦٦ .

(٤) انظر لطائف الإشارات ١ / ١٧١ ومنجد المقرئين لابن الجزري .

وكان القرآن فى عهد الرسول ﷺ محفوظا فى صدر الحفظة وفى عهد عثمان رضى الله عنه لما خيف من اختلاف النص القرآنى على الألسنة ومات كثير من الحفاظ وضعت المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الأمصار [١] وقد زاد عدد القراءات وكثرت فى الأمصار الإسلامية كالمدينة ومكة ودمشق وحمص والبصرة والكوفة وعكف قوم على القراءة والأخذ وجردوا أنفسهم لذلك ومع كثرة القراء وجد من يجيد ويتقن القراءة ومن لا يجيد ممن اعتمد على الصحف التى يطالعها دون رواية أو مشافهة [٢] .

ومن هنا كان اختيار القراءات يتم منذ النصف الثانى من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثانى الهجريين وظهرت المؤلفات فى القراءات مبكرة منذ القرن الثانى وباستقلال منذ القرن الثالث الهجرى على حين ظهرت مؤلفات التجويد المستقلة فى القرن الرابع .

---

(١) مصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام ومصحف إلى المدينة بقى فيها ومصحف للإمام عثمان وهو الذى يسمى المصحف الإمام ومصحف إلى مكة ومصحف إلى اليمن ومصحف إلى البحرين ، ومن كان له مصاحف قبل ذلك من الصحابة مثل على أو أبى بن كعب أو ابن مسعود تركه إلى المصحف العثمانى وقد أحرق عثمان كل هذه المصاحف التى تخالف المصحف العثمانى ونزل الصحابة على الإجماع الإسلامى .

(٢) الجامع للأداء للمعدل المصرى ج ١ ص ٤٤ .

أئمة القراءة وأشهر رواتهم

القـراء الأربعـة عشـر ورواتهـم

أولا : القراء العشرة ورواتهم [١]

١ - ابن عامر : (٨ - ١١٨ هـ) :

وعرف بالرواية عنه :

(أ) ابن ذكوان (١٧٣ - ٢٤٢ هـ) .

(ب) هشام بن أبان (١٥٣ - ٢٤٥ هـ) .

٢ - ابن كثير : (٤٥ - ١٢٠ هـ) :

يروى عنه :

(أ) البـزى : أحمـد بـن محمـد مولى بنـى مخـزوم المكـى (١٧٠ - ٢٥٠ هـ)

(ب) قُنبل : تولى مشيخة القراء بالحجاز (ت ٢٩١ هـ)

٣ - عاصم بن أبى النجود : (ت ١٢٧ هـ) :

اشتهر من الرواة عنه :

(أ) حـفـص بـن سليـمـان (ابـن زوجـة عـاصـم) ، (٩٠ - ١٨٠ هـ) .

(ب) شعبة بن عياش (ختم القرآن ثمانية عشر ألف ختمة) (٩٤ - ١٩٣ هـ) .

٤ - أبو عمرو [٢] : (٦٨ - ١٥٤ هـ) تيمى بصرى :

---

(١) ذكر ابن مجاهد السبعة ونسبهم ورواتهم واتصالهم بالرسول فى الرواية وتلاميذهم من حاملى قراءاتهم كاملة أو بعض الحروف . انظر : السبعة لابن مجاهد - تحقيق د / ضيف - ص ٥٣ وما بعدها - الأسانيد ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) اكتفى ابن مجاهد بأبى عمرو عن تلميذيه يعقوب الحضرمى (من العشرة) واليزيدى (من الأربعة عشر) .

أشهر رواته :

(أ) الدُّورى (حفص بن عمر) : ضرير ، نسب لموضع قرب بغداد (١٥٠ - ٢٤٦ هـ) .

(ب) السوسى : هو شعيب صالح بن زياد . نسب إلى السوس كورة بالأهواز (ت ٢٦١ هـ) .

٥ - حمزة : (٨٠ - ١٥٦ هـ) :

راوياه :

(أ) خلف : هو خلف بن هشام البزاز (من بلد فمَ الصُلح من فوق واسط) .

(ت ببغداد ٢٢٩ هـ)

(ب) خلاد : هو خلاد بن خالد الصيرفى - كوفى (ت ٢٢٠ هـ) .

٦ - نافع : (٧٠ - ١٢٩ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) ورش (رئيس الإقراء بالديار المصرية) .

هو عثمان بن سعيد المصرى القبطى الملقب بورش لقبه به نافع لشدة بياضه أو لحسن قراءته ، رحل إلى المدينة ثم رجع إلى مصر .

(ولد بمصر ١١٠ هـ وتوفى بها ١٩٧ هـ)

(ب) قالون : هو عيسى قالون بن مينا المدنى ، كان أصم يُلقم أذنه فم القارئ ، وهو مولى ، وقالون - بلسان الروم - معناه « جيد » (١٢٠ - ٢٠٥ هـ) .

٧ - الكسائى : (١١٩ - ١٨٩ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) الليث . بغدادى (ت ٢٤٠ هـ) .

(ب) الدُّورى .

٨ - أبو جعفر : هو يزيد بن القَعْقَاع شيخ نافع [١] (ت ١٣٠ هـ) مدنى :

أشهر رواته :

(أ) عيسى بن وردان : مدنى (ت ١٦٠ هـ)

(ب) ابن جماز: هو سليمان بن مسلم بن جماز - مدنى (ت ١٧٠ هـ) .

٩ - يعقوب الحضرمى : (١١٧ - ٢٠٥ هـ) بصرى :

راوياه :

(أ) رَوْح ، واسمه روْح بن عبد المؤمن مولى هذيل . (ت ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ) .

(ب) رويس : هو أبو عبد الله بن المتوكل اللؤلئى - بصرى - (ت بالبصرة ٢٣٨ هـ) .

١٠ - خلف : خلف بن هشام (١٥٠ - ٢٢٩ هـ) بغدادى :

أشهر رواته :

(أ) إسحاق : هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان المروزى ثم البغدادى (ت ٢٨٦ هـ) .

(ب) إدريس بن عبد الكريم البغدادى الحداد .

(ولد ١٩٩ هـ - ت ٢٩٢ هـ يوم الأضحى) .

---

(١) اكتفى ابن مجاهد بالتلميذ نافع عن الأستاذ أبى جعفر .

الاربعة الشواذ :

١١ - الحسن البصرى [١] : مولى الأنصار (٢١ هـ فى خلافة عمر ت ١١٠ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) شجاع بن أبى نصر البلخى البغدادى .

(١٢٠ هـ - ت ببغداد ١٩٠ هـ) :

(ب) الدُورى .

١٢ - ابن محيصن [٢] هو محمد بن عبد الرحمن المكى معاصر ابن كثير (ت ١٢٣ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) البزى .

(ب) ابن شنبوذ محمد بن أحمد بن أيوب البغدادى [٣] عراقى (ت ٣٥٨ هـ) .

١٣ - الأعمش : هو سليمان بن مهران شيخ حمزة [٤] (٦٠ - ١٤٨ هـ) .

---

(١) تركه ابن مجاهد بالقياس إلى أبى عمرو بن العلاء إمام القراء البصريين .

(٢) ذكر ابن مجاهد فى حديثه عن قراءة ابن كثير أن أهل مكة لم يجمعوا على قراءة ابن محيصن تتمة القراء الأربعة عشر وإنما أجمعوا على قراءة ابن كثير ، ويقول ابن مجاهد - أيضا - عن ابن محيصن : كان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه . ويقول ابن الجزرى فى ترجمته « لولا ما فى قراءته من مخالفة المصحف العثمانى لألحقته بالقراءات المشهورة (انظر : طبقات القراء لابن الجزرى) .

(٣) ردّه ابن مجاهد لمخالفته ما تجمع عليه الروايات والقراءات مثل ابن مقسم العطار .

(٤) تركه ابن مجاهد لأن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين .

أشهر رواته :

(أ) المُطَوْعي : هو الحسن بن سعيد المطَوِّعي المصرى (ت ٣٧١ هـ) .

(ب) الشنبوذى الشطوى : اسمه محمد بن أحمد بغدادى (٣٠٠ - ٣٨٨ هـ) .

١٤ - اليزيدى : يحيى بن المبارك .

راوياه :

(أ) سليمان بن أيوب بن الحكم الخياط - بصرى (ت ٢٣٥ هـ) .

(ب) أحمد بن فروح (الضرير) - بغدادى [١] .
(ت ٣٠٣ هـ) .

---

(١) انظر فى تراجم القراء ورواتهم : لطائف الإشارات ١ / ٩٧ - ١٠٠ ، ومن ١٠٤ . ١٠٦

الفصل الثالث

من مصطلحات التجويد والقراءات

لابد لنا في هذا الصدد أن نوضح المقصود بأمور مهمة هي : التلاوة . والترتيل ، والتجويد والأداء ، ثم نذكر معنى العلم في التجويد والقراءات .

فالتلاوة : هي قراءة القرآن على التتابع بين آياته وسوره .

وهي في الأصل مصدر للفعل ، تلا يتلو ، والمادة - كما يقول ابن فارس - تفيد « الاتباع » يقال : تلاه إذا تبعه ، وتلوته إذا تبعته .

ويقال تلا يتلو إذا أتبع الكلام بعضه بعضا ، وتطلق التلاوة على القراءة مطلقا ، ويدخل فيها قراءة القرآن . يقول الزبيدى : « تلوت القرآن أو كل الكلام : قرأته »[1] ويذكر ابن دريد : « تلوت القرآن . إذا قرأته ، كأنك أتبعت آية بعد أخرى »[2] .

ويجعل بعض العلماء اتباع الرسم في الكتب المقدسة كخط المصحف داخلا في معنى التلاوة ؛ لأنها اتباع للقراءة واتباع للرسم أيضا .

وتلاوة القرآن لابد أن تكون على تؤدة وتأنٍ في القراءة بما تتبين معه الحروف والحركات من غير عجلة .

أنواع التلاوة

للتلاوة طرق متنوعة مأثورة عن القراء وهي مستمدة مما كانت تجرى عليه طبائع العرب وما فطروا عليه في بيئاتهم المتعددة وما

---

(١) انظر تاج العروس .

(٢) الجمهرة ٢ / ٩٢ .

- ويقول الجوهرى : الترتيل في القراءة : الترسل فيها والتبيين بغير بغي (مادة رتل) .

- وفي القاموس : الرتل : « محركة ، حسن تناسق الشئ .

كانت تقتضيه من تأن أو زيادة أو توسط فيه أو سرعة في النطق . وهذه الطرائق تتفق مع الطباع البشرية التي لا تخرج عن واحد منها فالإنسان إما أن يبطئ في النطق أو يسرع أو يتوسط [١] وهذا خاضع للمدة الزمنية التي يستغرقها الناطق طولا وقصرا ، وهذا القدر الزمني يتفاوت حسب البطء والسرعة ويتناسب معهما تناسبا عكسيا .

فالإبطاء يزيد معه الزمن المستغرق والإسراع يقل فيه الزمن وكلما قلَّ الإبطاء أو زاد اختلف الزمن الذى يستغرقه نطق الحروف والكلمات .

ومن هنا وجدت أنواع للتلاوة وهى كالآتى :

١ - التحقيق :

في اللغة هو الوصول إلى حقيقة الشئ ومعرفة كنهه ويراد منه الإتيان بالشئ على حقه أى وجهه من غير زيادة فيه ولا تنقص منه .

وهو - عند أهل الأداء - (علماء التجويد والقراءات) بمعنى إعطاء الحروف والحركات حقها دون زيادة على طبيعتها الواجبة لها . وذلك كإشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وتوفية الغنات والوقوف فيما يجوز الوقف عليه إلى غير ذلك .

ولكنه يتسم بشئ من البطء والتؤدة أكثر من الترتيل .

وهذا اللون مأثور عن بعض القراء ؛ فمن أصحابه حمزة ورواه قتيبة بن مهران عن الكسائى كما رواه بعض المصريين عن الحلوانى وهشام ورُوى عن ورش ، وهو شائع عند قراء العراق .

---

(١) هذا أيضا يقع فى كل اللغات ويسمونه Tem Po (مقدار الزمن) ومنه العادى والبطئ والسريع ، انظر :

- Heffner : General Phonet : Gs. P 204,205

- (هيفنر فى كتابه علم الأصوات العام) ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

ويستخدمه القراء وعلماء التجويد - عادة - فى التعليم والتمرين والرياضة لإجادة قراءة القرآن الكريم وحفظه على النحو السليم .

ومع ذلك يجب أن يحذر فيه من زيادة البطء فى نطق الحروف والحركات حتى لا يؤدى ذلك إلى تحريك السواكن ، وتوليد الحروف عن الحركات ، والمبالغة فى تكرير الراءات ، والبعد عن زيادة الغنات التى تؤدى إلى تطنين النونات إلى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع السليمة .

وكما قال السخاوى :

للحرف ميزان فلا تك طاغيا

فيه ولاتك مخسر الميزان [١]

وقال الخاقانى :

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه

فوزن حروف الذكر من أفضل البر [٢]

٢ - **الترتيل :**

وهو فى الأصل مصدر رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا متأنيا فيه .

قال ابن الجزرى : الترتيل اتباع القراءة بعضها بعضا على مكث وتفهم فى نطق الحروف والحركات من غير عجلة [٣] .

وسئل على كرم الله وجهه عن معنى قول الحق تبارك وتعالى :

---

(١) النونية : عمدة المفيد فى علم التجويد مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٨ قراءات الورقة ١ .

(٢) القصيدة الخاقانية ، مخطوطة دار الكتب المصرية ضمن مجموع رقم ٢٤٦ (مجاميع تيمور) الورقة ٨٦ .

(٣) النشر ١ / ٢٩٦ ونهاية القول المفيد ص ١٥ .

﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾ « المزمل » فقال : هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

وقد جاءت الآيات القرآنية مؤكدة التريث فى القراءة ، وتحسين النطق كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ ﴾ « الإسراء » .

وقد نزل القرآن الكريم منجما أو مفرقاً فى ثلاث وعشرين سنة أو عشرين سنة ليثبت بالترديد ويستقر فى القلوب والصدور . يقول القسطلانى :

« وفى إنزال القرآن الكريم مفرقا وجوه من الحكمة ، منها تسهيل حفظه وتكرير لفظه ؛ لأنه لو نزل جملة واحدة على أمة أمية لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشق عليهم حفظه وثقل لفظه كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى بقوله - ردا على الكفار - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿٣٢﴾ ﴾ « الفرقان » .

كذلك أى أنزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤداك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقى إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ وجزءاً بعد جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه [1] .

وقال عز من قائل : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾ «الفرقان» .

٣ - التدوير :

هو التوسط بين المقامين التحقيق والحدر مع التدبر والتفكر ،

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات ، ص ٢٤ .

وقد قرأ بالتدوير أكثر الأئمة ممن روى مد المنفصل ولم يبلغ به حد الإشباع كابن عامر والكسائي .

وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

٤ - الحدر :

في اللغة مصدر حدَر - يحدُر - بالضم - مثل نصر ينصر : أي أسرع .

والحدور : الهبوط - ضد الصعود - ومن خصائصه الإسراع .

وهو في اصطلاح أهل الأداء : إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها وذلك كما يحدث من قصر المنفصل واختلاس الحركة والتسكين والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة وبشرط ألا يخل بالأحكام التجويدية العامة على الوجه المعتاد من إظهار وإدغام ووصل ووقف ومدّ وقصر وسائر ما هو معروف منها في التجويد [١] .

والقراءة بالحدر مذهب ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب وسائر من قصر المنفصل كالولي عن حفص وقالون والأصبهاني عن ورش وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام .

والحدر ينسب إلى بيئات عربية تميل إلى السرعة وعدم التأني في النطق كبعض البيئات البدوية .

ويذكر مكي نصر أن الحدر من طباع العرب وما تكلمت به الفصحاء منهم [٢] لكن القارئ به ينبغي أن يحترس من التجاوز والإفراط في السرعة حتى لا يؤدي ذلك إلى الإخلال بقواعد وأصول التجويد كترك المد ، وذهاب صوت الغنة واختلاس أكثر الحركات .

---

(١) النشر ١ / ٢٠٧ والقول المفيد ص ١٥ .

(٢) نهاية القول المفيد : ص ١٥ .

فالإفراط فى السرعة يؤدى إلى حالة لا تصح بها القراءة .

وهذه الأنواع الأربعة يتفاوت فيها زمن النطق حسب البطء والسرعة على التقابل فما كان بطيئا احتاج إلى زمن أطول ، وما كان سريعا إلى زمن أقل ، والتوسط يحتاج إلى زمن على قدره بين بين .

والتحقيق والحدر متباعدان كل منهما على طرف غير الذى عليه الآخر .

فالتحقيق غاية البطء والحدر غاية السرعة والتحقيق يشترك مع الترتيل فى البطء إلا أن التحقيق زائد فى ذلك على الترتيل ، ولذلك فإن التحقيق أخص من الترتيل ، ونظر بعضهم إلى أن التحقيق فى البطء والترتيل نوع داخل فيه فجعل التحقيق أعم من الترتيل (١) . وهما نظرتان مختلفتان فى الألفاظ ومتفقتان فى المضمون فإذا جعل التأنى هو الأساس والبطء زيادة فى التأنى فالترتيل أعم والتحقيق أخص منه ، وإذا جعل البطء هو الأساس والتأنى نوع من البطء فالتحقيق أعم من الترتيل والترتيل أخص منه .

وبين الترتيل والتدوير وشائج قربى فبينهما شبه كبير فى إعطاء الحروف حقها والتأنى فى أدائها بحسب اختلاف البيئات العربية وما يميل إليه القارئ مما تجوز القراءة به .

ولا شك أن لكل واحد من هذه الأنواع أثره وأهميته فالتحقيق مطلوب للتعليم والتدريب والترتيل والتدوير مطلوبان للتدبر والتفهم (٢) وفضل القراءة بهما كثير من القراء للتفقه والتدبر .

ومما أنشد الخاقانى :

وترتيلنا القرآن أفضل للذى

أمرنا به من مكثنا فيه والفكر

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧ .

ومـهـمـا حـدرنا درسنا فـمـرخص

لنـا فيـه إذ دين العبـاد إلى اليـسـر

ويفـضل بعض القـراء القـراءة بالحـدر للإكـثـار من القـراءة وللحصـول على ثواب أكـثر لما جاء في حـديث رسـول الله ﷺ الذى رواه ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فلـه بـه حسنـة والحسنـة بعشـر أمثالهـا لا أقـول ألـم حـرف ولكن « ألف » حرف « ولام » حرف و « ميم » حرف »[1] .

ولكن مـا عليـه مـعظم السـلف والخلف هـو أن أنواع التـلاوة الأخرى التى تشـتـمـل على التأنى كالتـرتيل والتدوير مع قلة المقروء أفضل من السـرعة مع كـثرته[2] وليس أحـد مكرها على اتبـاع أحد هذه الأنواع من التلاوة دون غـيره لئلا يكون فى ذلك التـكليف بما لا يستطاع[3] .

وتجاوز هذه الطرائق الأدائيـة بالنقص أو الزيادة يعد حـرامـا لا يجوز اتباعه فى القرآن .

وقد ظهر أن التجاوز يتخذ أشكالا عديدة منها :

١ - طريقة الغناء أو الطرب أو الترقيص :

وذلك بتـجـاوز الحـقـوق التى تتـبع فى نطق الحروف الصامـتـة والحـركـات بتنغـيـمـهـا بطريـقـة تشـبـه ألحـان الغناء من التكليف والتمطيط والتعسف والتغيير ، وقد يبدو ذلك فى إطالة المد على غير حده أو تقـصيره عن وجهه المطلوب ، ويدخل فى ذلك التكسـر فى نطق الحروف والكـلمات كأنه يرقص ومن ذلك ما يحدث من محاولة

---

(١) جامع الترمذى (تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى) ٨ / ٢٢٦ ، ودليل الفالحين ٣ / ٤٩٣ ، والنشر ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) النشر : ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) كما قال الإمام مالك . انظر : نهاية القول المفيد ص ١٧ .

الوقف على الحرف الساكن ثم ترك الوقف عليه والنفور عنه بتحريكه .

٢ - **الترعيد :**

بأن يجعل فى صوته أثر رعدة كالذى يرعد من شدة البرد .

٣ - **التحزين :**

بأن يظهر فى صوته أثر الحزن ويتجه به نحو البكاء وإظهار الخشوع ، فهذا ونحوه يعد نوعا من الرياء .

٤ - **التحريف :**

كأن يذهب بالحروف والكلمات عن مستحقها الصوتى ، ومن صوره - أيضا - أن تقرأ جماعة فى وقت واحد ينطق بعضهم جزءا من الكلمة أو العبارة وينطق بعضهم الآخر بالجزء الآخر من الكلمة أو العبارة ، وهذا من الابتداع والحرمة (١) .

هذا والغناء واستخدام الألحان المتبعة فيه حرام فى القراءة على هذا النحو الذى يقوم على الموسيقى مخالفا الأداء الواجب .

أما قول الرسول ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٢) .

فالمراد من الفعل (يتغن) معنى الاستغناء به والاقتصار عليه لما فيه من الخير ولما فى العمل به من السعادة والقناعة عن الشهوات والموبقات . أو المراد بقوله (يتغن) تحسين القارئ صوته أو محاولة ذلك التحسين ، أو اهتمام السامع بهذا التحسين لتلذ به الأسماع وتتأثر به القلوب ، والمقصود بالتحسين اتباع الواجب فى أصوات القرآن بجودة الأداء وتقويم اللفظ والبعد عن مجاوزة الحد بما يفسد القراءة وتمجه الطباع السليمة (٣) .

---

(١) نهاية القول المفيد : ص ١٨ وما بعدها .

(٢) سنن أبى داود ٢ / ٧٤ .

(٣) النشر : ١ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

وقد دعا الرسول ﷺ إلى تحسين الصوت بالقرآن فى قوله :

(زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله (حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) (١) .

وجاء حديث آخر لرسول الله ﷺ يوضح الأخذ بالواجب فى القراءة حسب ما جاء عن العرب من النطق الواضح السليم والبعد عن ما لم تألفه طباعهم وما جرى عليه منطقهم مما عرف عن المنحرفين من أهل الفسق والكبائر لقوله ﷺ :

(اقرأوا القرآن بلحون العرب وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجئ أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبه شأنهم) (٢) فلحون العرب يقصد بها ما جاء موافقا لطبع العرب وسليقتهم التى جبلوا عليها واعتادوها بلا زيادة أو نقص .

ويقصد بلحون أهل الفسق والكبائر اتباع طرائق غريبة عما عهد عن العرب أصحاب اللغة من لحن موسيقى غريب على سنن العرب مما جاءت به النغمات الموسيقية وفق التآليف المستحدثة .

وهذا إذا أخذ به القارئ ابتعد عن النهج الصوتى السليم للقراءة والأخذ به والتمادى فيه يوقع فى الحرمة .

---

(١) سنن الدارمى ٢ / ٤٧٤ عن البراء بن عازب ، وسنن النسائى ٢ / ١٧٩ (باب تزيين القرآن بالصوت) .

(٢) سنن النسائى ٢ / ١٧٩ .

الفصل الرابع

التأليف فى التجويد والقراءات

لا ريب أن الصلة وثيقة بين هذين العلمين وعلوم العربية إذ يفيد كل منهما من الآخر، ولذلك لا غرو أن نقول : إن دراسة العربية كانت سياجاً لحفظ القرآن الكريم ، وإتقانه إلى جانب معرفة أحكامه والعمل بمقتضاه ، فظل النظر والبحث فى التجويد القرآنى مرتبطاً بالدراسات اللغوية منذ نشأتها ، وكذلك صلته بعلوم اللغة كالنحو والصرف ، والبلاغة والأصوات ونحوها ، فمباحث التجويد تتناول فى علوم اللغة بأنواعها .

وعلوم اللغة نشأت - كما قلنا - للحفاظ على كتاب الله تعالى . ولعلنا نجد أن الدراسات الصوتية الأولى فيما يتعلق بالرسم الكتابى ، كانت خشية التحريف والتصحيف ، حين اهتم بعض العلماء بالحروف الهجائية ووضع رموز الحركات ونظام الإعجام . والنقط ونظام الشكل ، وساعد ذلك كله على ضبط وصحة الأداء القرآنى .

فكان أن بدأ أبو الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) فوضع رموز الحركات من الفتحة والضمة والكسرة ، فوضع نقطة مستديرة فوق الحرف تدل على فتحه ، ونقطة أخرى أسفل الحرف لتدل على كسره، ونقطه وسط الحرف لتدل على ضمه ، ونقطتين للدلالة على التنوين .

وذلك بمدادٍ يخالف المدادَ الذى كتب به الحرف حتى يميز بينهما .

وتعاون مع أبى الأسود تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر العدوانى (٩٠ هـ) .

ووضع نصر بن عاصم نظام الإعجام والنقط لتمييز الحروف الهجائية بعضها من بعض ، ومن ثم يمكن نطقها نطقاً صحيحاً دون انحراف أو خطأ .

وجاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) فعدل نظام الحركات ، واستبدل به نظام الشكل ، فألغى نظام النقط التى تدل على الحركات ، وأحل محلها علامات أخرى توضع فوق الحرف أو تحته فجعل علامة الفتحة ألفاً مبطوحة على الحرف ، والضمة واواً فوق الحرف أيضاً ، والكسرة ألفاً تحت الحرف مبطوحة [١] .

وكان للخليل نظراته الصوتية واللغوية الصائبة ، فهو يعد أول من نظر إلى البحث اللغوى نظرة جدية ، وحدد مخاذج الحروف وصفاتها وما يأتلف منها وما يختلف ، وبحث قضايا مهمة كالإدغام ، والإبدال والوصل والوقف والابتداء إلى غير ذلك .

وهذه المباحث تتصل بعلم التجويد والقراءات ، وجاء بعده تلميذه سيبويه (١٨٠ هـ) فواصل دأبه على هذه البحوث مما ظهر مدونا بدقة وحسن نظام فى كتابه ، وتأثر كثيرا بأستاذه الخليل . فإلى جانب البحوث الكثيرة فى نحو اللغة وصرفها وبلاغتها ، تناول الجانب الصوتى بتوسع كبير فى باب خاص سماه « باب الإدغام » وتحدث فيه عن الحروف مخارجها وصفاتها وإظهارها وإدغامها بما يفيد الدراسات القرآنية للتجويد ، والإتقان فى إخراج أصوات القرآن وكلماته وعباراته ، كذلك كان لأبى على الفارسى (٣٧٧ هـ) دراسات قيمة فى مضمار العربية والتجويد والقراءات والتعليل لها ، ويكفى كتبه الشهيرة كالبغداديات ، والشيرازيات والبصريات ، وكتابه الحجة فى علل القراءات السبع وهو كتاب قيم فى هذا المضمار .

---

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، غانم قدورى الحمد ط - الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨٢م العراق ص ٥١٦ .

وكان لابن جنى (٣٩٢ هـ) جولات واسعة فى الحديث عن المخارج وصفات الحروف وائتلافها ، وما يحسن وما يقبح ، وقد عالج فى كتابه « سر الصناعة » هذه المباحث ، وغيرها من قضايا الإعلال والإدغام ، والنقل والحذف ، ولابن جنى كتاب المحتسب فى توجيه شواذ القراءات وتخريجها على أساس لغوى ، وتلت تلك الدراسات دراسات أخرى موصولة بها على يد من جاء بعد ابن جنى من العلماء كابن سنان الخفاجى (٤٦٩ هـ) وعبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) والسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) وابن سينا (٤٨٢ هـ) وغيرهم ولا شك أن هؤلاء العلماء شغلوا أنفسهم بعلوم اللغة ، وما يتعلق منها بالقرآن الكريم ، فكانت دراساتهم مزيجاً من هذا وذاك . وقد أفادهم القرآن الكريم كثيراً فى دراساتهم اللغوية ، ووجهوا كل اهتمامهم إلى العناية بالعربية من أجله .

وقد ظهرت منذ القرن الرابع الهجرى طائفة من العلماء بدأت تنمو وتتكاثر ، خصصت بحوثها بعلم التجويد ، وعلم القراءات على استقلال وهؤلاء هم أهل الأداء ، وأهل القرآن .

وظهرت مؤلفات عديدة منذ القرن الرابع الهجرى حتى الآن تتناول مباحث التجويد القرآنى والقراءات وما يتصل بها رواية ودراية وتوجيهاً ، ومن أهم هذه المؤلفات :

أولا - التأليف فى علم التجويد

لقد غلب النظم على أكثر المؤلفات فى التجويد وأهمها كالتالى :

١ - القصيدة الخاقانية التى تسمى الرائية لأبى مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان [١] المتوفى فى سنة ٣٢٥ هـ . وذكر

---

(١) انظر :ترجمة ابن خاقان فى غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٣٢١ وفهرسة ابن خير الإشبيلى سنة ٧٢ ، ٧٣ .

ابن الجزرى أنها أول ما ألف فى التجويد [١] . وقد شرحها أبو عمرو الدانى [٢] المتوفى سنة (٤٤٤ هـ) .

٢ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكى بن أبى طالب القيسى القيروانى (٣٥٥ - ٤٣٧) وقد حقق هذا الكتاب .

٣ - ولأبى عمرو الدانى التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد وقد حقق هذا الكتاب .

٤ - نهاية الإتقان فى تجويد القرآن لشريح الرعينى المتوفى ٥٣٧ هـ .

٥ - كتاب تجويد القراءة ومخارج الحروف لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق الأشبيلى المتوفى ٥٦٧ هـ ومنه نسخة فى معهد المخطوطات برقم ٦٢ قراءات .

٦ - عمدة المفيد وعدة المجيد فى معرفة لفظ التجويد للإمام السخاوى المتوفى ٦٤٣ ويسمى أيضا عمدة المجيد وعدة المفيد فى علم التجويد .

وهذا الكتاب أرجوزة فى علم التجويد ، وجاءت هذه الأرجوزة باسم « روضة الدر والمرجان فى تجويد القرآن » [٣] .

وشرحها ابن أم قاسم ، وهو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادى المراكشى المقرى النحوى المتوفى ٧٤٩ هـ - وشرحه - يسمى « المفيد فى شرح عمدة المجيد وعدة المفيد فى النظم والتجويد أو فى معرفة لفظ التجويد [٤] .

---

(١) النشر ١ / ١٥ وقد نشرت القصيدة بعناية الدكتور / عبد العزيز القارى .

(٢) النشر ١ / ١٥ .

(٣) مكتبة الأزهر ٢٧٤ قراءات ، وفى دار الكتب برقم ٢٢٦ ، ٣٤٣ ، ٤٦٢ تفسير .

(٤) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٦٢ تفسير تيمور ، ٦٣٨ قراءات .

وللسخاوى أيضا فى علم التجويد :

٧ - كتاب جمال القراء وكمال الإقراء وهذا الكتاب قال عنه ابن الجزرى (وهو غريب فى بابه جمع أنواعاً مما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ والوقف والابتداء وغير ذلك [١] .

٨ - هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب « السخاوية » [٢] .

٩ - منهاج التوفيق فى معرفة التجويد والتحقيق [٣] .

ومن المؤلفات الأخرى فى علم التجويد :

١٠ - عقود الجمان فى تجويد القرآن ، لبرهان الدين أبى محمد إبراهيم بن عمر الربعي الجعبرى (ت ٧٣٢ هـ) [٤] .

وهى قصيدة نونية تربو على خمسين وسبعمائة بيتٍ :

وله أيضاً :

١١ ، ١٢ - حدود الإتقان فى تجويد القرآن ، وقصيدته « الواضحة فى تجويد الفاتحة » [٥] .

١٣ - منظومة فى التجويد لمؤلفها الشيخ شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى المتوفى سنة (٧٤٣ هـ) [٦] .

١٤ ، ١٥ - التمهيد فى علم التجويد [٧] لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ .

واتبع فيه منهج مكى والدانى ، ونقل عنهما كثيراً ، وله كذلك متن الجزرية المسماة « بالمقدمة فيما على قارئه أن يعلمه » .

---

(١) راجع غاية النهاية ٢ / ٣٢١ وفهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٧٤ .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣ ، ٦ ، تفسير .

(٣) مع موسوعة جمال القراء وكمال الإقراء ، ومنه نسخة بدار الكتب برقم ٢٩ قراءات .

(٤) مخطوط بدار الكتب برقم ٣٨٩ تفسير تيمور .

(٥) منها نسخة بدار الكتب برقم ١٥١٤ ب .

(٦) مخطوط بدار الكتب برقم ٨٢ قراءات طلعت .

(٧) مطبوع الأولى ١٣٢٦ هـ والثانية ١٩٨٥م .

وهى أرجوزية مطبوعة مرارا .

وللمقدمة شروح كثيرة أهمها شرح ولده أبى بكر أحمد بن محمد الجزرى (ت ٨٣٥ هـ) [١] .

ويعرف بابن المصنف ، وسمى شرحه « الحواشي المفهمة فى شرح المقدمة » وشرحها أيضا شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلانى [٢] (ت ٩٠٣ هـ) ويسمى شرحه « اللآلئ السنية فى شرح المقدمة الجزرية » [٣] .

وشرحها الشيخ زكريا بن محمد الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ) .

وأحمد الطيبى الدمشقى (ت ٩٧٩ هـ) .

وشرحها - كذلك - عمر بن إبراهيم بن على السعدى المتوفى (٩٩٩ هـ) [٤] وسمى شرحه « الفوائد السعدية فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية » كما شرحها على بن سلطان محمد نور الدين الهروى المعروف بعلى القارى [٥] (ت ١٠١٤ هـ) .

ويسمى شرحه « المنح الفكرية على متن الجزرية » .

- كما شرحها أحمد بن مصطفى الرومى المعروف بطاش كيرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) [٦] .

---

(١) انظر ترجمته فى غاية النهاية ٢ / ٢٥١ ، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ١٧ قراءات .

(٢) ترجمته فى البدر الطالع ١ / ١٢ ، والكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة لنجم الدين العزى ط بيروت تحقيق جبرائيل سليمان جبور ١ / ١٢٦ .

(٣) منها نسخ بدار الكتب برقم ٦ قراءات تيمور ، ورقم ٤٨٢ تيمور ومكتبة الأزهر برقم ٦٣ قراءات .

(٤) ترجمته فى خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى ، ط بيروت ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

(٥) ترجمته فى خلاصة الأثر ج ٣ ص ١٨٥ ، وفى ريحانة الأدب ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٦) ترجمته فى البدر الطالع ج ١ ص ١٥١ .

وكذلك شرحها مرعى بن يوسف المقدسى المتوفى (١٠٣٣ هـ) وسمى شرحه « تحفة المريد لمقدمة التجويد »[١] .

١٦ - غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد[٢] .

وهو لنجم الدين محمد بن أحمد بن مفلح القلقيلى (توفى بعد سنة ٩٠٢ هـ)[٣] .

١٧ - المستطاب فى التجويد ويسمى « هداية القراء » للقسطلانى[٤] وقد اعتمد على سابقيه .

١٨ - در اليتيم فى التجويد[٥] .

لمحيى الدين محمد بن بير على البركلى المتوفى سنة ٩٨١ هـ[٦] .

وشرحه أحمد بن محمد الرومى الأقحصارى المتوفى سنة (١٠٤٣ هـ)[٧] وسماه « شرح در اليتيم[٨] .

١٩ - « إتقان الصنعة فى التجويد للسبعة »[٩] .

لمؤلفه أحمد بن شعيب الفاسى الأندلسى المتوفى سنة (١٠١٥ هـ) .

---

(١) دار الكتب المصرية مكتبة خليل أغا برقم ٤ قراءات .
وفى هذا الشرح نقول عن المهدوى ومن كتبه : التيسير فى القراءات وتعليل القراءات والهداية ، وكلها مفقود ، ونقول عن ابن شريح فى كتابه السابق « نهاية الإتقان » .

(٢) منه نسخة بمكتبة الأزهر رقم ٣٩٣ قراءات .

(٣) ترجمته فى الضوء اللامع ج ٧ / ص ٤٢ .

(٤) منه نسخة بدار الكتب رقم ٥٨٤ تفسير تيمور .

(٥) بدار الكتب تيمور برقم ١٧٦ مجاميع وقولة برقم ٢٢ قراءات .

(٦) ترجمته فى هدية العارفين ٢ / ٢٥٥ ، وإيضاح المكنون ١ / ٢ ، وكشف الظنون ١ / ٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٢٣ .

(٧) ترجمته فى هدية العارفين ١ / ٥٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٨٣ .

(٨) منه نسخ بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٤٥٤ قراءات ، ١٨٣٧ ب ، ١١٨ تفسير تيمور .

(٩) بدار الكتب برقم ٢١٠٧ تفسير تيمور .

٢٠ - تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم حال تلاوتهم لكتاب الله المبين .

وهو مطبوع في تونس سنة ١٩٧٤م ، ومؤلفه أبو الحسن على بن محمد النورى السفاقسي المتوفى سنة (١٠٥٣ هـ) .

٢١ - تحفة الأطفال [١] .

٢٢ - هداية الصبيان لفهم بعض مشاكل القرآن [٢] .

والكتابان لعلى بن عمر بن أحمد بن عمر تاجى الميهى المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ .

٢٣ ، ٢٤ - جهد المقل :

و « بيان جهد المقل » وهى حاشية على الكتاب السابق [٣] .

ألفهما ساجقلى زاده محمد بن أبى بكر المرعشى المتوفى سنة ١١٤٥ هـ .

٢٥ - نهاية القول المفيد ، لمؤلفه محمد مكى نصر الجريسى المتوفى سنة (١٣١٦ هـ) وهو نصوص مختصرة من كتابى « ساجقلى زاده المرعشى » وبعض المؤلفات الأخرى التى بلغت أربعة وعشرين كتابا .

٢٦ - تفصيل الدرر ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن غازى المكناسى [٤] .

٢٧ - البيان فى حكم تجويد القرآن [٥] لمؤلفه محمد بن حسين الأصبهانى المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ .

---

(١) دار الكتب برقم ٦٤ قراءات .

(٢) دار الكتب برقم ١٤٩ قراءات طلعت .

(٣) منه نسخ بدار الكتب واحدة برقم ١٦٣ قراءات ، وطلعت أرقام ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، قراءات ، ومكتبة الأزهر ٧٧ ، ١٢١ قراءات .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٥) بدار الكتب برقم ٣١٣٢٦ (ب) .

٢٨ - فتح الكريم [١] للمتولى محمد بن أحمد بن عبد الله الضرير المتوفى سنة (١٣١٣ هـ) .

٢٩ - ملخص العقد الفريد فى فن التجويد » للشيخ على أحمد صبره (ت ١٣٣١ هـ) وهو شرح لمتن الجزرية وغيرها من المتون .

٣٠ - الإتقان فى تجويد القرآن » للشيخ محمد الصادق قمحاوى .

٣١ - مغنم الصبيان فى تجويد الفرقان ، لمؤلفه حبيب محمد الكندى توفى بعد سنة ١٣٤٦ هـ ، وقد طبع سنة ١٣٤٧ هـ بمطبعة صبيح .

٣٢ - « إرشاد الإخوان لهداية الصبيان » لمؤلفه محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بالحداد المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ [٢] .

إلى غير ذلك من كتب التجويد التى ظهرت فى السنوات الأخيرة [٣] .

---

(١) بدار الكتب برقم ٤٨٨ قراءات .

(٢) مكتبة الأزهر برقم ٢٢٢٣٠ قراءات .

(٣) منها : تجويد القرآن للشيخ عبد الله البنا ، ط القاهرة ١٩٨٠م ، وفتح المريد فى علم التجويد للشيخ عبد الحميد يوسف منصور ، ط الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، دار الدعوة .

ثانيا - التأليف فى علم القراءت

بداية محاولات التأليف فيها :

لا شك أن القراءات كانت تستند إلى الوحى الإلهى مأخوذة عن النبى ﷺ تبعا للحديث المشهور «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ونتوقع أنها كانت تواكب نزول القرآن الكريم على النبى ﷺ فى مكة وفى المدينة ، وهذا كان للتيسير على القبائل العربية لتتمكن من تلاوة الكتاب العزيز ، وفى الأمصار الإسلامية المتعددة فى مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام واليمن وغيرها .

وقد كثر القراء من الصحابة والتابعين فى القرن الأول والثانى وكانت الفتوحات الإسلامية كاشفة عن كثرة الوجوه الأدائية فى هذه الأقطار لنطق القرآن الكريم مما استدعى كتابة المصاحف العثمانية حتى يجتمع أهل تلك الأمصار على قراءات موثقة الرواية حسب الموحى به ، وما كان عليه القرآن الكريم فى العرضة الأخيرة .

وكان خط المصاحف العثمانية خاليا من النقط والشكل مما جعله محتملا لنطق هذه الأوجه الأدائية التى نزل عليها القرآن الكريم هذا ومنذ القرن الثانى [1] للهجرة وجدت بواكير التأليف فى القراءات فهارون بن موسى (ت قبل المائتين) تلميذ أبى عمرو بن العلاء كتب فى الشاذ من القراءات من ناحية السند ، وليعقوب الحضرمى - أحد القراء العشرة - مؤلف فى القراءات اسمه «الجامع» خصصه لبعض أئمة القراءة فى عصره ، ويذكر ابن النديم كتاب القراءات لأبى عمرو بن العلاء أحد السبعة .

---

(١) يرجع بعض المحدثين أول التدوين فى القراءات إلى يحيى بن يعمر فى القرن الأول الهجرى (ت ٩٠ هـ) .

- انظر : تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ١ / ٩ والقراءات تاريخ وتعريف للدكتور عبد الهادى الفضلى ص ٥٧ .

ومنذ القرن الثالث كثر التأليف فى القراءات ذلك لأن العصر - كما يقول ابن الجزرى - فى المائة الثالثة - قلَّ فيه الضبط . واتسع الخرق فكان هذا دافعا إلى ظهور المؤلفات العديدة حفاظا على الأداء السليم للقراءات المروية وترك ما عداها - أضف إلى ذلك أن العلم بالكتاب والسنة كان أوفر ما يكون فى ذلك العصر مهيئا لإخراج المؤلفات فى علوم القرآن ومنها القراءات [١] فظهرت المؤلفات الكثيرة فيها .

ومنها فى القرن الثالث ما صنفه فى القراءات يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) والواقدى (ت ٢٠٩ هـ) ومحمد بن سعدان (ت ٢٣٠ هـ) وأبو حاتم السجستانى وثعلب وابن جبير وأبو عمرو الدورى (ت ٢٤٦ هـ) وهارون بن حاتم (ت ٢٤٩ هـ) وعلى بن نصر الجهضمى (ت ٢٥٠ هـ) [٢] .

وقراءة أبى عمرو بن العلاء كتب فيها أحمد بن على الحلوانى (ت ٢٥٠ هـ) وهناك قراءة بن كثير لأبى ربيعة (ت ٢٩٤ هـ) .

ومنها ما يحتوى على ثلاث قراءات أو أربع أو خمس أو ست أو سبع وكان أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب واحد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وجعل القراء فيما يحسب ابن الجزرى خمسة وعشرين قارئا غير السبعة عند ابن مجاهد أحمد بن موسى (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) .

وهو أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألف فيها .

---

(١) انظر : النشر ١ / ٣٤ (بتصرف) .

(٢) انظر : الفهرست ص ٥٣ وغيرها .

(٣) النشر ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

وهؤلاء القراء الخمسة والعشرون الذين كتب أبو عبيد كتابه في رواتهم كان على سبيل الاختيار الخاص من أبي عبيد وقد فتح ذلك المجال لاختيارات أخرى للعلماء والقراء مما فتح بابا واسعا لظهور الاختلاف في الوجوه الأدائية القرآنية ووسع شقة الخلاف .

وفي القرن الرابع : كثرت القراءات وكثر الاختلاف فسبع ابن مجاهد السبعة مع العلم بأن قراءة الشواذ مما اشتملت عليه المصاحف التي كانت لبعض الصحابة مثل مصحف أبي ومصحف ابن مسعود وغيرهما واحتمالات القراءة تبعا للرسم العثماني وما أوجده من صور الاختلافات وكثرتها فقد ألف الطبرى (ت ٣١٥ هـ) كتابه « الجامع في القراءات » ضمنه نيفا وعشرين قراءة وتبعه أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت ٣٢٤ هـ) فزاد على ما ذكره الطبرى قراءة أبي جعفر غير أن ابن مجاهد قد جمع في كتابه السبعة في القراءات ما تواتر من القراءات واحتمله الرسم العثماني وهي السبع وست من هذه القراءات متواترة السند إلى أبي بن كعب ونافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وحمزة الزيات والكسائي [1] .

وقد اختار هؤلاء القراء السبعة من خمسة أمصار هي أهم ما جمع القراء من بلدان العالم الإسلامي (المدينة - مكة - البصرة - الكوفة - الشام) وقد اختار ثلاثة من الكوفة لتميز قراءة كل منهم عن زميليه فأثبت الثلاثة فصار القراء سبعة وجعل ابن مجاهد ما عدا هؤلاء السبعة شاذا والصحة والشذوذ في رأيه يرجعان إلى كثرة من يقرأ بهذه القراءة أو قلته فأخذ بما كثر القارئون به في هذه الأمصار وعَدَّ من قَلَّ القارئون بقراءتهم من الشواذ وإن صح سند قراءتهم، يقول ابن جني في المحتسب :

---

١ - النشر ١ / ١٢ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢ .

القراءات ضربان : ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وضرب تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً أى خارجاً عن قراءة القراء السبعة إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرانه محفوف بالروايات من أمامه وورائه .

وألف ابن مجاهد مع ذلك كتابا فى الشواذ اعتمد عليه ابن جنى فى المحتسب فقال : إذ هذا - أى كتاب ابن مجاهد فى الشواذ - أثبت فى النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته ولا توفيقه ولا هدايته (١) .

وعن القراءات يقول ابن خلدون : « صارت القراءات صناعة مخصوصة وعلما متفرداً وتناقله الناس بالشرق والأندلس فى جيل بعد جيل إلى أن ظهر بشرق الأندلس « مجاهد » من موالى العامريين وكان معتنيا بهذا الفن من فنون القرآن لما أخذه به مولاه المنصور بن أبى عامر واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراءة بحضرته فكان سهمه بذلك وافراً (٢) .

وقد شرح كتاب السبعة لابن مجاهد وعلل لما جاء فيه - تلميذه أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) فى كتابه الحجة فى علل القراءات السبع (٣) .

---

(١) المحتسب ص ١١ وهناك شاذ وارد عن القراء السبعة مما لم يختره ابن مجاهد ليس بسبب مخالفتها للرسم العثمانى أو انحرافها عن العربية ولكن بسبب الضعف فى الرواية . انظر المحتسب وتاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، باب علوم القرآن والتفسير والقراءات ٣ / ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، تحقيق الدكتور / على عبد الواحد وافى .

(٣) ط الهيئة المصرية للكتاب بتحقيق دكتور عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى ناصف ، ودكتور عبد الفتاح شلبى .

وهناك الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) [١] .

وحجة القراءات لأبي زرعة [٢] وكذلك كتاب السبعة بعللها وحججها لمحمد بن الحسن الأنصاري (ت ٣٥١ هـ) واحتجاج القراءات لأبي محمد الحسن بن مقسم العطار (ت ٣٦٢ هـ) [٣] .

غير أنه مما يلاحظ أن أبا حيان قد حمل على ابن مجاهد حينما قال فيما نقله عنه السيوطي « ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه - يقصد الداني والشاطبي - من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا - ثم ساق أسماءهم - وقال : اقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس فكيف يقتصر على السوسي والدوري وليس لهما مزية على غيرهما لأن الجميع مشتركون في الضبط والإتقان فضلا عن الاشتراك في الأخذ » .

لكن كتاب ابن مجاهد يؤكد أنه لم يقتصر على من ذكرهم أبو حيان بل ذكر غيرهم من الرواة [٤] .

هذا . وبعد كتاب ابن مجاهد كثرت المؤلفات ومنها ما ألف في ثماني قراءات وفي عشر وإحدى عشرة واثنتي عشرة وثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والعشرين والخمسين [٥] .

وأول من نظم كتابا في القراءات السبع هو الحسين بن عثمان البغدادي الضرير (ت ٣٧٨ هـ) [٦] .

---

(١) تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ط دمشق - دار الشروق .

(٢) تحقيق أ / سعيد الأفغاني ط الأولى جامعة بنغازي ١٩٧٤م ودار الشروق .

(٣) ذكره ابن النديم .

(٤) انظر تعليق الدكتور شوقي ضيف في كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢٦ .

(٥) النشر ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ .

وذكر ابن الجزرى ما يقرب من سبعين مؤلفا فى القراءات وقد أفاد منها فى كتابه إلى جانب غيرها من الكتب .

ومن كتب القراءات في القرن الرابع كتاب التذكرة فى القراءات الثمانى لأبى الحسن طاهر بن الإمام أبى الطيب بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) ، وله أيضا كتاب الإرشاد .

وكذلك كتاب : الغاية فى العشر لأبى بكر بن مهران الأصبهانى (ت ٣٨١ هـ) .

وفى القرن الخامس : التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) .

- وكتابه جامع البيان فى القراءات وذكر فيه أكثر من خمسمائة رواية وطريق عن القراءات السبع [١] ومن كتبه : الموضح لمذاهب القراء واختلافهم فى الفتح والإمالة [٢] .
- والعنوان ؛ لأبى الطاهر إسماعيل بن خلف الأندلسى (ت ٤٥٥هـ) [٣] .
- والهادي ؛ لأبي عبد الله محمد بن سفيان القيرواني (ت ٤١٥هـ) .
- والكافي ؛ لمحمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت ٤٧٦هـ) .
- والهداية ؛ لأبى العباس المهدوى (ت بعد الثلاثين وأربعمائة هـ) .
- والإبانة عن معانى القراءات ؛ لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) [٤].
- والتبصرة له أيضا .

---

(١) النشر ١/ ٣٥ ، ٦١ .

(٢) مخطوطة سنة ٨٣٦ هـ بمكتبة الأزهر - قراءات .

(٣) معهد المخطوطات بالقاهرة .

(٤) تحقيق دكتور محيى الدين رمضان ، ط دار المأمون بدمشق ، وتحقيق د. عبد الفتاح شلبى ، ط دار النهضة بمصر .

- والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها له [١] .

- والتلخيص للقراءات الثمانى لأبى معشر .

- والوجيز فى شرح أداء القراء الثمانية المشهورين لمؤلفه أبى على الحسن بن على بن إبراهيم بن بزداد الأهوازى (ت ٤٤٦ هـ) [٢] .

- والجامع فى القراءات العشر وقراءة الأعمش لعلى بن محمد الخياط البغدادى (ت ٤٥٠ هـ) .

- والمفيد فى القراءات العشر لأحمد بن مسرق البغدادى .

- ومختصر الاكتفاء فى اختلاف القراء السبعة لأبى طاهر إسماعيل ابن خلف بن سعيد السرقسطى (ت ٤٥٥ هـ) [٣] .

- والمنتهى فى القراءات العشر لأبى الفضل محمد بن جعفر الخزاعى (ت ٤٠٨ هـ).

وفى أواخر القرن الخامس موسى بن الحسن المعروف بالمعدل المصرى كتابه « الروضة فى اختلاف الأئمة الخمسة عشر » [٤] .

وفى القرن السادس : المبهج فى القراءات الثمانى لعبد الله بن على المعروف بسبط الخياط (ت ٥٤١ هـ) أضاف إلى السبعة واحدا هو يعقوب الحضرمى ، وأضاف خلف بن هشام ، وأسقط أبا جعفر يزيد بن القعقاع ووضع مكانه ابن محيصن ، وضم كذلك الأعمش واليزيدى تلميذ أبى عمرو بن العلاء ، فوصل عدد من ذكر قراءتهم اثنى عشر قارئاً [٥] .

---

(١) بتحقيق دكتور محيى الدين رمضان ، ط دمشق .

(٢) منه نسخ بدار الكتب رقمها ١٦٩ ، ٥٩٦ قراءات ، وفى مكتبة الأزهر برقم ٢٧٦ قراءات .

(٣) مكتبة الأزهر برقم ٢٧٦ قراءات .

(٤) حقق .

(٥) منه نسخ مصورة فى معهد المخطوطات بالقاهرة .

- الإقناع فى القراءات السبع لأبى جعفر أحمد بن على بن الباذش (ت ٥٤٠ هـ) [١] .

- حرز الأمانى ووجه التهانى « الشاطبية » وهى قصيدة لأبى محمد القاسم بن فيرة الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) [٢] .

وقد شرحها جمع من العلماء أولهم علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣ هـ) وسمى شرحه « فتح الوصيد فى شرح القصيد [٣] .

- ومنهم : محمد بن أحمد الشهير بشعلة (ت ٦٥٦ هـ) وسمى شرحه « كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى » [٤] .

- ومنهم : أبو شامة ، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) وسمى شرحه « إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع » [٥] .

وله كتاب آخر : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز [٦] .

---

(١) نشره مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى بتحقيق دكتور عبد المجيد قطامش .

(٢) ترجمته فى غاية النهاية ٢ / ٢٠ وطبقات المفسرين للداودى ٢ / ٣٩ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٦٦ ب مصورة عن مكتبة راغب باشا باستانبول .
وللشاطبى قصيدة نونية تسمى « عقيلة أتراب القصائد » موضوعها رسم المصحف وشرحها السخاوى بكتاب عنوانه « الوسيلة إلى شرح العقيلة » ومنه نسخ مخطوطة ، ينظر : فهرس جامعة الإمام ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) منه نسخة كتبت فى حياة المؤلف السخاوى سنة ٦١٢ هـ وعليها إجازة بخطه ، ينظر : فهرس المصاحف والتجويد ، جامعة الإمام ١٣٠ ، ١٣١ ومنه نسخة فى مجلدين فى المكتبة التيمورية رقمها ٥٥ تفسير .

(٤) ط القاهرة .

(٥) ط القاهرة ١٢٨٥ هـ / ١٩٥١م .

(٦) ط بيروت .

- ومنهم : برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن عمر الجعبرى (ت ٧٣٢ هـ) وسمى شرحه : « كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى » [١] .
- ومنهم : ابن القاصح أبو القاسم على بن عثمان فى شرحه على الشاطبية [٢] المسمى « سراج القارئ المبتدئ وتذكرة القارئ المنتهى » .
- ومنهم : الشيخ على بن محمد الضباع فى شرحه على الشاطبية [٣] .

وفى القرن السابع ظهرت عدة كتب منها :

- الإعلان لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل الصفراوى الإسكندرى (ت ٦٣٦ هـ) .
- وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوى [٤] وقد أشرنا إليه من قبل فى حديثنا عن كتب التجويد .
- وبعض شراح الشاطبية أيضا على ما مر مثل السخاوى وشعلة وأبى شامة .

وفى القرن الثامن :

عدا بعض شراح الشاطبية مثل الجعبري وابن القاصح .

- الكنز فى القراءات العشر لأبى محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطى .
- الكفاية فى القراءات العشر له أيضا .
- البستان فى القراءات الثلاث عشرة لأبى بكر عبد الله بن أيدغدى الشهير بابن الجندى (ت ٧٦٩ هـ) .

إلى جانب مؤلفات أخرى فى القراءات الشاذة .

---

(١) مكتبة الأزهر برقم ١٥١ قراءات .

(٢) ط الأولى المطبعة الأزهرية ، والمكتبة التجارية الكبرى و ط الحلبى .

(٣) ط صبيح بمصر .

(٤) حققه الدكتور على البواب بالرياض إلى جانب جمع آخر من قبله .

وفى القرن التاسع :

إلى جانب بعض شراح الشاطبية :

- النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ)[١].
- طيبة النشر في القراءات العشر له أيضا [٢] .
- تحبير التيسير في القراءات العشر عن طريق الشاطبية والدرة له كذلك [٣] .
- لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني [٤] .
- غيث النفع في القراءات السبع للشيخ علي النووي الصفاقسى [٥] .

وفى القرن الحادى عشر والثانى عشر :

- منهم بعض شراح الشاطبية مثل على القارى (ت ١٠١٤ هـ) .
- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) .

وقد ذكر فيه ما ذكر سبط الخياط لكن أضاف أبا جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصرى فأصبحت القراءات أربع عشرة ، وتطرق إلى ما يسمى الأصول والفرش .

- تهذيب القراءات العشر لساجقلى زاده (ت ١١٤٥ هـ) [٦] .

وهناك مؤلفات فى طبقات القراء منها :

---

(١) ط. القاهرة بتحقيق الشيخ محمد الضباع ، وط. د. محيسن .

(٢) ط. القاهرة .

(٣) ط. دمشق بتحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق .

(٤) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٥) مطبوع على هامش سراج القارئ المبتدى .

(٦) منه نسخة بدار الكتب المصرية - المكتبة التيمورية رقم ١٩ م تفسير .

- غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى [١] .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) .

(١) ط . القاهرة الأولى ١٣٥٢ هـ عنى بنشره ح . برجستراسر .

الفصل الخامس

القـراءات واللهجـات

أولاً - صلة القراءات بالأصوات العربية وائتلافها ولهجات العرب في ذلك :

اهتم المسلمون - منذ ظهور الدين الإسلامى - بالحفاظ على القرآن الكريم ولغته - خوف التحريف والتغيير - حتى لا تنبهم معانيه على أهله ، وكان ذلك بدافع دينى ، فقد نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ دستوراً للأمة الإسلامية لقراءته ، واتباع ما جاء به ، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ « العلق » وقال سبحانه : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ « القيامة » .

وما خوطب به النبى ﷺ هو خطاب للمجتمع الإسلامى كله .

والمطلوب من المسلم ترتيل القرآن الكريم : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) ﴾ « المزمل » ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ (٢٨) ﴾ « الزمر » وهذا يعنى إتقان النطق الصحيح لحروفه مفردة ومركبة ، والتحرى والدقة فى النطق لهما أهمية فى صيانة القرآن الكريم ، وحفظه على مر الأيام لتتحقق نبوءة القرآن الكريم بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ « الحجر » .

وهذا الإتقان ، وتلك الإجادة فى النطق تبعد بالمسلم عن اللحن ، والتحريف ، وذلك لا يكون إلا بالتلقى والمشافهة ، والتدرب

والرياضة ، وفق قواعد مرسومة متلقاة - بصفة خاصة - عن أئمة القراءة المتصلة بالرسول ﷺ .

ولقد لمس العلماء ذلك منذ الصدر الأول ، فوضعوا الضوابط لقراءته . وتحديد نطقه تحديداً سليماً . فيعطى كل حرف حقه فى مخرجه وصفته ، سواء أكان مفرداً أو مركباً مع غيره ، وأى بعد عن هذا المنهج المرسوم يعد خروجاً على القراءة الصحيحة ولحنا يؤدى بصاحبه إلى الوقوع فى الإثم والضلالة .

فلو نطق ناطق (الحمد لله) بقلب الحاء عينا . أو نطق (الدين) بإبدال الدال تاء ، أو (المغضوب عليهم) بتحويل الغين إلى خاء كان ذلك لحنا صراحا . وعدت قراءته باطلة [١] ومعنى هذا عدم إعطاء (الحاء) و (الدال) و (الغين) حقوقها الصوتية بنطقها وفق مخارجها . كل ذلك لحن لا شك فيه .

ومن هنا قام علم التجويد والقراءات على أساس وصف مخارج الحروف ، حرفاً حرفا ، بتحديدها تحديداً دقيقا فى قواعد تهدى الناطق ، وترشده إلى التمثل الصحيح للأصوات العربية وطريقة نطقها فى القرآن الكريم ، كما حددت - فى هذا العلم أيضاً - صفات الحروف وعرفت أنواعها من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة وتوسط ، وانفتاح واستعلاء وإطباق ، إلى غير ذلك ، وما يترتب عليها من قوة الحرف أو ضعفه [٢] .

ومعنى هذا أن الاعتدال على إجادة هذه المخارج واالصفات واجب الاتباع لتحقيق النطق الفصيح المجود للقرآن الكريم .

---

(١) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ١ / ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ١ / ١٩٨ ، ١٩٩ ومحمد مكى : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ٣١ ، ٣٢ ، وانظر أساس ذلك فى الخليل : العين ١ / ٥٣ ، ٦٤ وما بعدها ، وسيبويه : الكتاب ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ وما بعدها ، وابن جنى : سر صناعة الإعراب ١ / ٥٠ ، ٥١ وغيرها .

وهذا النطق يمثل الحروف الهجائية التي استوت - عند العرب - على أحسن وجه وأكمله ، وتخلصت من الحروف المستقبحة والسقيمة التي كانت تستعمل عند بعض القبائل وتخلصت منها العربية النموذجية بفضل تهذيبها ونزول القرآن الكريم بها .

ومن ذلك :

١ - الباء التي كالميم : وهي في لهجات مازن [١] وهي قولهم : باسمك ؟ في ما اسمك ؟

٢ - الجيم التي كالكاف : وكانت شائعة في اليمن وهي موجودة بكثرة عند أهل البحرين مثل : رجل وجمل يقولون فيهما : ركل وكمل [٢] .

٣ - الصاد التي تنطق كالسين : مثل قولهم في (صالح) : (سالح) وهي من لغة بني العنبر (وليس في حسن إبدال الصاد من السين ، لأن الصاد أصفى في السمع من السين ، وأصغر في الفم) [٣] .

٤ - الكاف التي بين الجيم والكاف : وهي مثل الجيم المصرية في النطق مثل (جافر) في نطق (كافر) وهي من لغات اليمن وبغداد [٤] .

---

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ١ / ٥١ .

(٢) ابن دريد : الجمهرة ١ / ٥ وابن فارس : الصاحبي ص ٣٦ ، ٣٧ وابن يعيش : المفصل ١٢٧،١٠ .

(٣) ابن يعيش : المفصل ١٢٨،١٠ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ٤٠٤ وشرحه للسيرافي ، وابن جني : سر الصناعة ١ / ٥١ وابن يعيش : المفصل ١٠ / ١٢٧ ، ١٢٨ والرافعي : تاريخ آداب العرب ص ١٠٠ ، ١١١ .

٥ - حرف بين الكاف والقاف ، وقد ذكره ابن دريد وابن فارس ، قالا : فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيقولون : (الكوم) يريدون (القوم) فتكون القاف بين الكاف والقاف ، وهى لغة معروفة فيهم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفول

يريد فى كل ذلك القاف [١] .

ويمكن أن ندرج تحت التحولات الصوتية لبعض الحروف تلك الظواهر التى نسبت لبعض القبائل كالعنعنة ، وهى قلب الهمزة المصدرة عيناً فى المشهور من ذلك وأصحابها هم تميم وأسد وقيس وذلك مثل (أن) يقولون فيها : (عن) كقول الشاعر :

أعن ترسَّمت من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابة من عينيك مسجُوم

وقول الآخر :

فما أبن حتى قُلن يا ليت عننا تُرابٌ وعن الأرض بالناس تُخسف

وقلب العين الساكنة نوناً - وهو ما يسمى بالاستنطاء - مثل : اليد المنطية خير من اليد السفلى ، وهى من لهجات سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار ، وقلب الكاف - فى خطاب المؤنثة شينا - فيما يسمى (الكشكشة) مثل : منش وعليش وهى فى ربيعة ومضر ، وقلب الكاف - مطلقاً - شينا مثل : لبيش اللهم لبيش ، وتسمى الشنشنة وتنسب لأهل اليمن .

وإبدال السين تاء كقول الشاعر :

يا قاتل الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات

---

(١) ابن دريد : الجمهرة ١ / ٥ وابن فارس : الصاحبى : ص ٣٦ ، ٣٧ وابن يعيش : المفصل ١٠ / ١٢٧ .

وتسمى (الوتم) وهى لأهل اليمن أيضاً [١] .

وإن مخارج الحروف وصفاتها المشار إليها إما أن تتباعد ، وإما أن تتقارب أو تتجانس .

فالمتباعدان : هما الحرفان المختلفان مخرجا وصفة . كالحاء والباء .

والمتماثلان : هما الحرفان المتحدان فى المخرج والصفة كالتاءين والراءين وغير ذلك .

والمتجانسان : هما المتفقان فى المخرج المختلفان فى الصفة كالتاء والطاء والسين والصاد .

والمتقاربان : هما الصوتان اللذان بينهما تقارب فى المخرج أو الصفة أو فيهما ، كالدال والسين أو الشين ، والذال والزاى واللام مع الراء [٢] .

ولا شك أن الأصوات المفردة التى تحدثنا عنها تجتمع لتكون الكلمات ، ويذكر علماء الأصوات أن تأليف الكلمات من الحروف المتباعدة المخارج يكون أحسن ليختلف الصديان فيعذبا بتراخيهما [٣] .

وتنفر اللغة العربية من تركيب الكلمات من حروف متقاربة ، فقرب مخارج الحروف يمنع من تأليف بعض الكلمات لثقلها على اللسان ، فالقاف والكاف لا تأتلف منهما كلمة واحدة ، فلا يقال :

---

(١) السيوطى : المزهر ١ / ٢٢١ ، ٢٢٢ وانظر كتابنا (العربية - خصائصها وسماتها) ص ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١ ، والشيخ على محمد الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة مخطوطة دار الكتب المصرية ص ٤١٥ - ٤١٨ .

(قك) و (كق) [١] ، وقد قال ابن جنى : إن حروف أقصى اللسان لا تتجاور ألبتة .

وكذلك لا يقال : سض ولا طس وظث وضس وشض ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه ، والمشقة على النفس لتكلفته وحروف الحلق - أيضاً - أقل الحروف ائتلافاً [٢] .

وقد يلجأ العرب إلى تقريب الصوت من الصوت - مخرجاً أو صفة - حينما تقع في الكلمات بعض الحروف المتجانسة أو المتقاربة ، ويتضح ذلك في صيغة (افتعل) مما فاؤه صاد أو ضاد أو طاء . أو ظاء . أو دال أو ذال أو زاى حيث تقرب تاء الافتعال مما قبلها بقلبها إلى صوت يناسبه مخرجا أو صفة ، ومعظم صور هذا التقريب واجبة لاتفاق الصوتين فى المخرج واختلافهما فى الصفة .

أما بناء (افتعل) من واوى الفاء أو يائيها فللعربى فيه مسلكان :

أحدهما : ألا يقلب أحد الصوتين الواو والياء تاء قبل تاء الافتعال بل يتركان بحالهما يتأثران بالحركات السابقة عليهما . وهو لهجة الحجازيين الذين لا يعبأون بتلاعب الحركات ، فيقولون فى (افتعل) من (وسم) و (وحد) : ايتسم وايتحد - وأصلهما : اوتسم واوتحد - ومن (يبس) و (يئس) : ايتبس وايتأس .

أما المسلك الثانى : فهو قلب الواو أو الياء تاء وإدغامها فى تاء الافتعال حتى لا تتأثر كل منهما بالحركات السابقة عليها ، وهذا لهجة التميميين ، فيقولون فيما سبق : اتّسم - اتحد - اتبس - اتأس .

وقد يجتمع فى كلمة صوتان تباعد مخرجاهما ، واختلفا فى بعض الصفات - سواء كانا متجاورين أو فصل بينهما فاصل - فيختلف العرب بعضهم عن بعض فى تقريب الصوت من صاحبه .

---

(١) ابن دريد : الجمهرة ١ / ٤ - ١١ .

(٢) انظر كتابنا (أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى) ص ١٠ ، ١١ .

ومن ذلك تجاور الصاد الساكنة مع الدال في (يصدر ومصدر) ونحوهما ، فبعض العرب - من أهل البادية - يشمون الصاد صوت الزاي وبعضهم يقلبها زايا خالصة ، لما بين الدال والصاد من التنافر ، فالصاد مهموسة ، والدال مجهورة ، ويقتضي الانسجام جعلهما معا مجهورين .

وكذلك اجتماع السين مع الطاء أو القاف أو الغين في مثل : سراط - يساقون - أسبغ ، فأهل البادية - أيضاً - يقلبون السين صادا ، إذ السين صوت مستفل ، وهذه الأصوات مستعلية فأبدلت السين صادا لتقرب منها بالاستعلاء [١] .

وكما يكون التأثر بالمجاورة بين الأصوات الساكنة يكون بين أصوات اللين ومن ذلك تأثر الكسرة بالضمة في مثل : (الحمد لله) - بضم الدال واللام - وقراءة (للملائكة اسجدوا) بضم التاء ، وتأثر الضمة بالكسرة في قراءة (الحمد لله) بكسر الدال واللام ، وقراءة (فلإمه الثلث) بكسر همزة (إمه) ومثل : (اضرب الساقين إمك هابل) بكسر همزة وميم (إمك) وتأثر الفتحة بالكسرة في قراءة (براءة من الله) بكسر نون (من) [٢] .

وقد يلجأ العرب إلى الإدغام ، وعرفه ابن جني بأنه : تقريب صوت من صوت [٣] ولكن علماء القراءات يقولون : الإدغام إدخال حرف في حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة [٤] .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٢ / ٤٢٦ وابن جني : الخصائص ٢ / ٤٤ ، ١٦٨ ، وسر الصناعة ١ / ٥٦ ، ٥٧ ، والمحتسب ٢ / ٢٨٣ .

(٢) ابن جني : الخصائص ٣ / ١٤٤ ، ١٤٥ والمحتسب ١ / ٧١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٣ ، ٢ / ٢١ .

(٣) ابن جني : الخصائص ٢ / ٢٣٧ .

(٤) محمد مكي : القول المفيد ص ١٠٤ .

وقسمه القراء إلى صغير وكبير ، فالصغير هو ما سكن فيه الحرف الأول ، والكبير ما تحرك فيه [١] .

ويجرى فى المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين .

فإذا سكن الأول وتحرك الثانى فى المثلين فالإدغام واجب . ولقاء المثلين متحركين يوجب الإظهار - إلا عند أبى عمرو والسوسى فيجوز الإدغام فى مثل : (مناسككم) - فى البقرة - و (ماسلككم) - فى المدثر - وهذا فى كلمة واحدة ، وفى كلمتين مثل : (لذهب بسمعهم) - (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) . حيث ثقفتموهم [٢] .

ولقاء المتجانسين والمتقاربين مجال خصب لتأثر أحد الصوتين بالآخر ومن ذلك فى المتجانسين إدغام القاف فى الكاف مثل (ألم تخلقكم) والطاء فى الصاد فى مثل : اصبر وفى الضاد مثل : اضْغن ونحو ذلك ، هذا فى كلمة واحدة ، وفى كلمتين كإدغام التاء فى الطاء مثل (وقالت طائفة) والذال فى الظاء مثل : (إذ ظلمتم) واللام فى الراء مثل : (بل ران على قلوبهم) والقاف فى الكاف مثل (خلق كل شئ) والسين فى الزاى مثل (وإذا النفوس زوجت) [٣] .

ومنه فى المتقاربين إدغام النون فى الميم فى (امحى) و (اماز) . والتاء فى الثاء نحو (اثاقل) هذا فى كلمة ، وفى كلمتين مثل إدغام الدال فى الذال أو الزاى أو الظاء كقوله تعالى : (ولقد ذرأنا - ولقد زينا - لقد ظلمك) وكإدغام التاء فى الثاء (كذبت ثمود) والدال

---

(١) محمد مكى : القول المفيد ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ والبنا الدمياطى : الإتحاف ص ٢٢ والضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ .

(٢) البنا الدمياطى : الإتحاف ص ٢١ ، ٢٢ ومحمد مكى : القول المفيد ص ١٠٥ ، ١٠٧ وابن جنى : الخصائص ٣ / ١٢٧ : جيب بكر - ثوب بكر ونحوهما .

(٣) الضباع : شرح الشاطبية ص ٤ ، ٤١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ وانظر : الدمياطى الإتحاف ص ٢١ - ٢٧ .

في الثاء مثل (من يرد ثواب الدنيا) والذال في السين مثل (إذ سمعتموه) [١] .

ومن هنا بدا لنا أن المطلوب من القارئ إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله من غير إسراف ولا تعسف ، وكذلك إعطاؤها صفاتها الواجبة لها .

وندرك من ذلك - أيضاً - أن الصوت يأخذ وضعاً خاصاً حال تركبه مع غيره ، فلذلك سمات وخصائص ينبغي للقارىء أن يلم بها ، فقد تتجاور الحروف المتماثلة أو المتجانسة أو المتقاربة ، والقوى منها أو الضعيف ، والمفخم أو المرقق . فيجذب القوى الضعيف . ويقلب المفخم المرقق ، ولذا فإن هذا يحتاج إلى رياضة شديدة للنطق حال التركيب [٢] .

وقد ساق ابن الجزرى - رحمه الله - أمثلة كثيرة لذلك وكيفية تحديد النطق أو عدمها في حالات من تجاور بعض الحروف مع مجانسها أو مقاربها ، وحروف القلقلة ، وتكرير الحروف وغير ذلك .

فالحاء - مثلاً - تجب العناية بإظهارها إذا وقع بعدها مجانسها أو مقاربها ، لا سيما إذا سكنت نحو (فاصفح عنهم) و (فسبحه) فكثيراً ما يقلبونها في الأول عينا ، ويدغمونها كذلك ، وكذلك يقلبون الهاء في (سبحه) حاء لضعف الهاء وقوة الحاء فتجذبها فينطقون بحاء مشددة ، وكل ذلك لا يجوز إجماعاً .

والذال يعتنى بإظهارها إذا سكنت وأتى بعدها نون نحو (فنبذناه) (وإذ نتقنا) ، وكذلك يعتنى بترقيقها وبيان انفتاحها ، واستفالها ، إذا جاورها حرف مفخم ، وإلا ربما انقلبت ظاء نحو

---

(١) الدمياطى : الإتحاف ص ٢١ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ١ / ٢١٤ و ٢١٥ بتصرف كبير .

(ذرهم) - ذره) - (أنذرتكم) - (الأذقان) - ولا سيما فى نحو : المنذرين - ذللنا - لئلا تشتبه بنحو : المنظرين - ظللنا ، وبعض العجم يجعلها زايا .

والزاى يتحفظ ببيان جهرها ، لا سيما إذا سكنت نحو (تزدري) و (أزكى) و (رزقا) و (مزجاة) و (ليزلقونك) و (وزرك) ، ولكن التحفظ بذلك إذا كان مجاورها حرفاً مهموساً آكد ، لئلا يقرب من السين نحو (ما كنزتم) .

والسين يعتنى ببيان انفتاحها واستفالها إذا أتى بعدها حرف إطباق لئلا تجذبها قوته فتقلبها صادا نحو (بسطه) - (مسطورا) - (تستطيع) - أقسط) .

ويتحفظ ببيان همسها إذا أتى بعدها غير ذلك نحو (مستقيم) - (مسجد) فربما ضارعت الزاى وهكذا .

والفاء يجب إظهارها مع الباء عند أكثر القراء نحو (نخسف بهم) .

والمشافهة هى التى تكشف حقيقة ذلك ، والرياضة والدربة تؤديان إليه [١] .

ثانيا: تنوع القراءات والتأليف فيها والاحتجاج لها وصلة ذلك بالأحرف السبعة:

مع اختلاف اللهجات داخل الجزيرة العربية ، واختلاف اللغات خارجها تنوعت القراءات وتعددت .

والمعروف أن المصاحف التى كتبها عثمان - رضى الله عنه - أرسل بها إلى الأمصار ، وقرأ كل مصر بما فى مصحفهم ، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من (فى) رسول الله ﷺ ووجد فى تلك

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢١٨ - ٢٢٤ بتصرف .

الأمصار - فيما بعد - من يقوم فى أمر القراءة مقام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وقد قام بذلك كثير منهم فى الأمصار الإسلامية كالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام [١] .

ثم برز أعلام للقراءة تجردوا للأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية . حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرجع إليهم ، ويؤخذ عنهم [٢] وربما كان عددهم كثيراً إلا أن الذين اشتهروا منهم فى نهاية القرن الثانى الهجرى سبعة عرفوا بالعدالة والضبط والإتقان وهم : عبد الله بن كثير [٣] وكان بمكة ، ونافع بن عبد الرحمن [٤] وكان بالمدينة ، وعبد الله بن عامر [٥] وكان بالشام ، وأبو عمرو بن العلاء [٦] ويعقوب بن إسحاق الحضرمى [٧] وكانا بالبصرة، وحمزة بن حبيب الزيات [٨] وعاصم بن أبى النجود [٩] وكانا بالكوفة .

ثم جاء ابن مجاهد [١٠] فسبع السبعة وشذذ ما عداها ، وكانت كتبه التى ألفها فى القراءات محوراً لدراسات كثيرة فى القراءات ، وتوالت مؤلفات العلماء فى القراءات والاحتجاج لها [١١] .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٩ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٨ .

(٣) ت ١٢٠ هـ .

(٤) ت ١٦٩ هـ .

(٥) ت ١١٨ هـ .

(٦) ت ١٥٤ هـ .

(٧) ت ٢٠٥ هـ .

(٨) ت ١٥٦ هـ .

(٩) ت ١٢٧ هـ .

(١٠) ت ٣٢٤ هـ .

(١١) يقصد بالاحتجاج هنا بيان سبب اختيار القراءة أو بيان قوتها أو ضعفها وتوجيهها .

وفى غضون كتب النحو والتفسير نجد احتجاجاً للقراءات كتاب سيبويه ، والبحر المحيط لأبى حيان وغيرهما .

(أ) تفسير الحديث المشهور فى إنزال القرآن على سبعة أحرف :

الواقع أن الاحتجاج للقراءات ينبغى أن يقوم على أساس اللهجات العربية ، فهى تمثل القسم الأعظم من هذه القراءات .

ولتوضيح ذلك نسوق الحديث المشهور فى هذا الصدد ، ونورد الآراء فى تفسيره ، ونرجح ما نميل إليه بما يؤيد هذا الرأى الذى يجعل اللجهات أساسا للقراءات القرآنية .

فقد « روى أن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال : دخلت المسجد أصلى ، فدخل رجل فافتتح النحل ، فقرأ فخالفنى فى القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، ثم جاء رجل فقام يصلى ، فقرأ وافتتح النحل فخالفنى وخالف صاحبى ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبى ﷺ فقلت : استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت ، فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر وقال : أحسنت ، فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ صدرى بيده وقال : أعيذك بالله يا أبى من الشك ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتانى فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتى ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ

القرآن على حرفين ، فقلت اللهم خفف عن أمتى ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف »[١] .

وقد اضطربت أقوال العلماء فى تأويل هذا الحديث وتفسيره . وبيان الأوجه السبعة التى نزل عليها القرآن وزادها السيوطى تفصيلا فى كتابه (الإتقان) .

ومن ذلك ما ذهب إليه ابن قتيبة والرازى والباقلانى ، وابن الجزرى من أن المراد من الحرف : الوجه وبالأحرف السبعة : أوجه سبعة من الاختلاف لا تخرج عنها هى :

١ - الاختلاف فى الحركات بلا تغير فى المعنى أو الصورة نحو ﴿ قَرْحٌ (١٤٠) ﴾ « آل عمران » بضم القاف وفتحها - و ﴿ بِالْبُخْلِ (٣٧) ﴾ « النساء » بضم الباء مع سكون الخاء . وبفتح الباء مع سكون الخاء أو فتحها .

٢ - اختلاف الحركات مع تغير فى المعنى فقط نحو ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (٤٥) ﴾ « يوسف » - القراءة المشهورة بضم الهمزة وتشديد الميم - أى مدة طويلة ، وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم المخففة وهاء - بمعنى النسيان .

٣ - اختلاف الحروف بتغير فى المعنى لا الصورة نحو : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ (٣٠) ﴾ « يونس »[٢] . قرأها حمزة والكسائى بتاءين من (التلاوة) أو (التلو) ، قال

---

(١) صحيح مسلم ٦ / ١٠١ - ١٠٤ والنسائى ١ / ١٤٩ ، ١٥٠ والبخارى ١٩ / ٢٠ . ٢١ والنشر ١ / ٢٠ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٢٨٣ .

الأخفش : تتلو من التلاوة أى تقرأ كل نفس ما أسلفت ، وقال آخرون : تتبع أى تتبع كل نفس ما أسلفت [١] .

والقراءة المشهورة بالتاء والباء أى تختبر كل نفس ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو ، أقبيح أم حسن ، أنافع أم ضار ، أمقبول أم مردود ، كما يتعرف الرجل الشئ باختباره .

٤ - اختلاف الحروف بتغير فى الصورة لا المعنى نحو : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً (٦٩) ﴾ « الأعراف » رسمت بالصاد وقرئت بالصاد والسين .

٥ - اختلاف الحروف مع تغير الصورة والمعنى نحو ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ (٩) ﴾ «الجمعة» قرئ : (فامضوا إلى ذكر الله) .

٦ - الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ (١٩) ﴾ « ق » . قرأ أبو بكر وابن مسعود (وجاءت سكرة الحق بالموت) .

٧ - الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ (١٣٢) ﴾ « البقرة » قرئ (وأوصى بها) [٢] .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالأوجه السبعة القراءات السبع ، وهذا وهم ربما نشأ عن اختيار ابن مجاهد سبع قراءات فقط

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٣٣١ .

(٢) يلاحظ أن قراءة (وادكر بعد أمه) بفتح الهمزة والميم وهاء مكسورة منونة وقراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت) وقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) من القراءات الشاذة التى ليست قرآناً فلا تحل القراءة بها . وانظر الأوجه السبعة المذكورة فى النشر ١ / ٢٦ .

فأشكل ذلك على العامة ، ووهم من قل نظره أن هذه القراءات السبع هى المقصودة فى الحديث النبوى [(١)] .

ولعل هذا التفسير مبنى على الموافقة فى العدد (سبع) مع أن ذلك خلط بين ، لأن القراءات السبع هى تلك الصفات التى وردت عليها القراءات النموذجية التى نسبت إلى أشهر القبائل العربية . واشتهرت فى العصور الإسلامية الأولى ، ولا شك أن هناك الكثير غيرها من الوجوه التى تنسب إلى القبائل العربية الأخرى لم تدون فى كتب القراءات ، أو دونت ولكنها لم تأخذ الاهتمام بمثل ما أخذته تلك المشهورات ، ولذلك فإننا نجد بعض العلماء يذكر أن القراءات عشر أو أربع عشرة .

« ويقول الشيخ الإمام المجتهد أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله .

« لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التى أنزل عليها القرآن ، لا لاعتقاده ، واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هى الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم ، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقنى إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمى إمام جامع البصرة ، وإمام قراء البصرة فى زمانه فى رأس المائتين » ، ثم قال العلامة ابن تيمية : « ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة فى أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة فى جميع أمصار المسلمين ، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة ، أو قراءة يعقوب

---

(١) ابن الجزرى : النشر ١ / ٣٦ ، ٣٧ بتصرف .

الحضرمي ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها ، بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف .

بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح المدنيين ، وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي ، وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء ، ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة والأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب ، ويقرأونه في الصلاة ، وخارج الصلاة ، وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم »[١] .

فليس المراد - إذا - بالأحرف السبعة تلك القراءات السبع وذلك باتفاق علماء السلف والخلف[٢] .

ويبدو أن المراد بالسبع أوسع مما هو مدون في كتب القراءات عن السبع المعروفة ، وليس معنى الاتفاق في لفظ العدد (سبع) أنها سبعة أوجه على التحديد ، فلفظ (سبع) في الحديث لا مفهوم له ، فهو يعني الكثرة المطلقة ، لأن هذا العدد يدل على الكثرة في اللغات السامية .

يقول ابن الجزري :

« ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير ، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك ، والعرب

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٤٠ .

يطلقون لفظ (السبعة والسبعين والسبعمائة) ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ (٢٦١) ﴾ «البقرة» وقال : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ حبة (٨٠) ﴾ « التوبة » وقال ﷺ فى الحسنة : (إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة) [١] .

ولذا فإننا نلاحظ أن القراءات أوسع من هذه السبع المعروفة فى كتب القراءات ، وهناك قراءات كثيرة وصفت - أحياناً - بالشذوذ لعدم تواترها أو لعدم توافر شروط الصحة فيها حسب ما يذكره المحققون للقراءات ، وفى كتاب المحتسب لابن جنى كثير من تلك القراءات التى حاول وصلها بالعربية .

ويرى أكثر العلماء أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات أو لهجات وهى - فيما رأى بعضهم - قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن ، وقيل غير ذلك . وفسر ذلك بعضهم بأن أصول قبائل العرب تنتهى إلى سبعة ، أو أن اللغات (اللهجات) الفصحى سبع لا أقل ولا أكثر [٢] .

وتحديد العدد بسبع فقط تعسف ، فالواضح أن العدد لا مفهوم له على ما ذكرنا ، والمراد السعة والتيسير كما يذكر ابن الجزرى .

فاللغة عادة اجتماعية من الصعب التنازل عنها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد تستعصى على القاريء بعض النواحى الصوتية التى لا تتوافر فى لهجته ، فجاء هذا الحديث ليؤكد صحة القراءة حسب لهجة القارئ على ما تعود لسانه فى بيئته .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

ونحن نعلم أن القبائل العربية كثيرة ، وبيئاتها مختلفة ، وطرائق النطق عندهم متفاوتة ، فأتيح لكل منهم أن يقرأ بطريقته الخاصة وأن يؤدى النطق على ما تعود ، يقول ابن الجزرى :

(وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع) [١] . فالواضح أن المراد بالأوجه السبعة هنا اللهجات العربية المتعددة ولا يطلب تكلف الخروج عليها .

وبهذا يتضح أن القراءات القرآنية لها صلة قوية باللهجات العربية وفقاً لشرحنا للحديث المشهور (أنزل القرآن على سبعة أحرف) .

(ب) تدوين القرآن فى المصاحف وعلاقة ذلك بالأحرف السبعة :

ويقتضينا المقام أن نبين أمر تدوين القرآن فى المصاحف وعلاقة ذلك بالأحرف السبعة ، وما تتضمنه من اللهجات . وعلاقة القراءات التى بين أيدينا اليوم بذلك أيضاً .

وهنا نقول :

يذهب بعض العلماء من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية - التى كتبت على يد عثمان رضى الله عنه وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية - تضم جميع الأحرف السبعة بما

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢٢ .

ذكر لها من تفسيرات ، إذ يدعو الحديث المشار إليه آنفاً إلى حفاظ الأمة على تلك الأوجه ، لأنها منقولة مأثورة عن النبى ﷺ ، وقد تناقلتها الصحابة ، وأن تلك المصاحف التى أرسلت إلى الأمصار نقلت من الصحف التى كتبها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولو ترك شئ من هذه الأوجه لكان تركاً لبعض الوجوه المروية التى نزل عليها كتاب الله العزيز (١) .

ولعل المراد بالسبعة عند هؤلاء - وهو ما لا نراه مراداً - من أنها سبعة أوجه لغوية أو سبع لهجات . لعل ذلك هو الذى سوغ لهم هذا الرأى .

أما على ما نراه من أن الأوجه السبعة يقصد بها اللهجات العربية - لأن العدد لا مفهوم له - على ذلك فإن اعتبار المصاحف العثمانية مشتملة عليها جميعاً اعتبار غير مقبول ، إذ إن اللهجات كثيرة إلى حد غير محتمل التحقيق فى كتاب الله العزيز بتلك الصورة الواسعة .

فالقرآن ليس كتاباً أعد للمباراة باللهجات ، وإنما يضم الفصيح الواسع الانتشار منها .

ولعل الرسم الخطى فى تلك المصاحف يؤكد ما نذهب إليه . فالكتابة العثمانية التى دونت بها تلك المصاحف تشتمل على صور لهجية يمكن تمثيلها بالنطق المنقول على لسان القراء .

ولذا فالرأى الدقيق والمعقول هو أن المصاحف العثمانية تشتمل على بعض الأوجه السبعة دون بعض ، وهو ما نفسره عملياً ببعض اللهجات العربية دون البعض الآخر ، والمعروف أن جبريل - عليه السلام - كان يأتى إلى النبى ﷺ فيدارسه القرآن ، ويروى أن النبى

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣١ بتصرف .

ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة ، وعرضه في عامه الذى قبض فيه مرتين ، وفى تلك العرضات كانت بعض الآيات تتناول بالنسخ أو التبديل ، حتى استقر الأمر على ما كتبت عليه صورته الأخيرة التى ضمتها المصاحف العثمانية .

وإذا فهذه المصاحف تتضمن ما عرضه النبى ﷺ فى العرض الأخير . وما تحققت صحته عنه ﷺ مما لم ينسخ [١] .

فمثلاً : أسلوب الإمالة والفتح مما اختلفت فيه قبائل العرب . والإمالة . هى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف إن كان بعدها ألف نحو الياء ، وإلا فالممال الفتحة وحدها مثل : الفتى . والهدى ، وملهى ، وأرطى ، وباع ، وهاب ، وعالم ، وكاتب ، والضحى . ورأيت خبط رياح ، ومن عمرو ، ونعمة [٢] .

وقد اشتهرت الإمالة عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها . مثل : أسد ، وعبد القيس ، وتميم ، وتغلب ، وطئ وبكر بن وائل .

كما اشتهرت على ألسنة قراء الكوفة بالعراق فى القرن الثانى الهجرى أمثال حمزة والكسائى وخلف ، كما كان لها تأثير واضح أيضاً على ألسنة علماء الكوفة ، وأهلها ، واستمر ذلك حتى عصر أبى عمرو الدانى في القرن الخامس الهجرى ، حيث قال : (إن الكسائى يعنى بذلك [٣] أن الإمالة لغة أهل الكوفة وهى باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب [٤] .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٨ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٢ .

(٢) ابن جنى ، سر الصناعة ١ / ٥٨ والأشمونى ٤ / ٢٢٠ وابن هشام : أوضح المسالك مع المنار ٢ / ٣٠٠ ، وابن الجزرى : النشر ٢ / ٣٠ .

(٣) الإشارة إلى إمالة ما قبل هاء التأنيث .

(٤) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٨٢ .

أما الفتح فاشتهر عند قبائل غربى الجزيرة من سكان الحجاز كقريش وثقيف وسعد بن بكر والأنصار وكنانة وهوازن .

واشتهر الفتح عند قراء الحجاز كنافع وأبى جعفر من قراء المدينة وابن كثير من قراء مكة .

وهذا الأسلوب - بطريقتيه - واضح فى خط المصاحف العثمانية فقد كتب فيها بالياء نحو : هدى والهدى ويحيى وموسى ويغشيها وسويها وجليها وآتيكم .. مما يمثل صورة الإمالة ، وورد فى خط المصاحف أيضاً أمثال هذه المواضع مكتوبة بالألف كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾ « إبراهيم » ومما يؤكد ذلك كتابة (سيماهم) بطريقتى الإمالة والفتح فى موضعين مختلفين ، ففى سورة البقرة : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ (٢٧٣) ﴾ كتبت بالياء على طريقة الإمالة ، وفى سورة الفتح ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ (٢٩) ﴾ كتبت بالألف على طريقة الفتح .

ولذلك نظائر كثيرة مما يتضح فى خط المصاحف العثمانية كالإظهار والإدغام والمد والقصر ، والتخفيف ، والتشديد ، وإبدال أحرف من أخرى .

ولذا فكل ما جاء موافقاً لرسم المصحف يعد من الأوجه السبعة التى نزل بها القرآن الكريم إذا صح سنده واستقام وجهه فى العربية [١] .

أما ما جاء مخالفاً للمصاحف العثمانية فإنه يعد منسوخاً أو من قبيل التفسير الذى يكتب مع النص أو خبر آحاد لا يثبت به قرآن[٢] .

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٣١ ، ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٣٢ ، وانظر : الأستاذ عبد الوهاب حمودة : القراءات واللهجات ص ٤٣ .

ومن ذلك بعض ما أورده ابن قتيبة ورفاقه فيما ذكرناه فى الوجه الخامس عندهم ، كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) بدل (فاسعوا) والوجه السادس عندهم كقراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت) مكان (وجاءت سكرة الموت بالحق) ، والوجه السابع كقراءة ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ ونحوه مما يعد تفسيراً ألحق بالنص كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه مما سبق .

(جـ) القراءات وتمثيلها للأوجه السبعة :

ونحب أن نشير فى هذا الصدد إلى القراءات التى بين أيدينا اليوم من حيث تمثيلها للأوجه السبعة أو بعضها . والقول الفصل فى هذا الموضوع ينبنى على ما ذكرناه من أن المصاحف العثمانية تشتمل على بعض الأوجه السبعة ، وهى التى وافقت الرسم الذى جاءت عليه تلك المصاحف ، وأما ما عدا ذلك فيعد منسوخاً أو خبر آحاد . فالقراءات تجرى على هذا المنوال .

والقراءات ليست على درجة واحدة ، فمنها المقبول والمردود وقد وضع العلماء قواعد لذلك :

فتعد القراءة صحيحة إذا توافرت لها ثلاثة عناصر :

١ - أن توافق القراءة العربية ولو بوجه كقراءة ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئْكُمْ ﴿٥٤﴾ ﴾ « البقرة » - بإسكان همزة بارئكم - على لهجة تميم وأسد الذين يحذفون بعض الحركات عند تواليها وكقراءة أبى جعفر ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا ﴿٣٤﴾ ﴾ « البقرة » - بضم تاء الملائكة مع أنها مجرورة - تبعاً لضمة الجيم بعدها ، إذ الحاجز غير حصين وهو السين الساكنة .

٢ - أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا كأن يثبت رسمها في بعضها دون البعض الآخر كقراءة ابن عامر (وبالزبر وبالكتاب المنير) ﴿ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ « آل عمران » بإثبات الباء في (الزبر) و (الكتاب) فهذا موجود في مصحف الشام ، وكقراءة ابن كثير ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴿١٠٠﴾ ﴾ « في آخر سورة براءة وهي التوبة » - بزيادة (من) فهذا ثابت في المصحف المكي ؛ والمراد بعبارة (ولو احتمالا) أن يوافقها تقديراً ، وذلك كمخالفة صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك فلا يعد خلافاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ﴿ تَسْأَلْنِي ﴿٧٠﴾ ﴾ « الكهف » وقراءة ﴿ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ « المنافقون » بإثبات الواو (وأكونُ) بالرفع والظاء من ﴿ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ « التكوير » ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف في ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقص أخرى وتقديمها أو تأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه (١) .

٣ - أن يصح سندها عن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ ومعنى (صحة السند) أن يرويها العدل الضابط عن مثله (كذا) حتى تنتهي مع الشهرة .

يقول ابن الجزري في ذلك :

(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا

---

(١) ابن الجزري : النشر ١ / ١٢ ، ١٣ .

يجوز ردها ولا يحتمل إنكارها ، والمراد بالوجه ما كان من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أو مختلفا فيه ، اختلافاً لا يضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ، وأئمة القراءة لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ،والأقيس فى العربية . بل على الأثبت فى الأثر ، والأصح فى النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة » [١] .

وعلى هذا فما روى من قراءات فى القرآن ثلاثة أقسام :

١ - قسم يقرأ به اليوم : وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال ، وهن : أن ينقل عن الثقات عن النبى ﷺ ، ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغاً ويكون موافقا لخط المصحف .

٢ - القسم الثانى : ما صح نقله عن الآحاد . وصح وجهه فى العربية ، وخالف لفظه خط المصحف . فهذا يقبل ولا يقرأ به . لا فى الصلاة ولا فى غيرها .

٣ - والقسم الثالث : ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية ، فهذا لا يقبل ، وإن وافق خط المصحف [٢] .

وعلى هذا فالقراءات التى بين أيدينا تمثل بعض الأوجه السبعة ، وهى تلك التى توافق خط مصاحف الأمصار سوى ما وقع فيه الخلاف من الحروف اليسيرة أما ما عدا ذلك فلا يدخل فى الأحرف السبعة ولا يمثلها مما أشرنا إلى أنه من المنسوخ أو مما ألحق بالنص ، مما يعد تفسيراً له .

فلا ريب أن القراءات الصحيحة لا تمثل - كما قلنا - كل لهجات العرب - التى تفسر بها الأوجه السبعة - بل تمثل بعضها ، وذلك ما أكدته النصوص القرآنية والرسم العثمانى الذى وردت عليه .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٩ - ١١ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ١ / ١٤ ، ٤٤ .

ثالثاً : منهج اللغويين والنحاة فى معالجة القراءات والأساس الصحيح لتفسيرها :

وتدفعنا النتائج التي توصلنا إليها فيما سبق أن نتناول - بالبحث والتحليل - منهج اللغويين والنحاة فى معالجة القراءات القرآنية وموقفهم منها ، ونبين أن الأساس الصحيح لتفسيرها يقوم على اعتبار صلتها باللهجات العربية ، حيث تبين عدم وفاء المنهج النحوى بالتفسير المطلوب .

وبين يدى القاريء والباحث المتأمل نذكر أن لكل لغة أنماطاً معينة ترسم طريق توليد الصيغ ، وارتباط الألفاظ بالمعانى فيها . وليس بمستطاع المتحدث باللغة أن يضع لفظاً لكل معنى يرد على خاطره ، كما أنه لا يستطيع أن يستعمل صيغة لكل غرض ، أو تركيبا لكل حديث .

وإذا كان هذا شأن اللغات - فإن لغتنا العربية بلغت الذروة فى دقتها ، وتناسقها ، ووضوح طرق استعمالها . فأمام المتحدث بها منهج مرسوم يسير وفقه فى توليد الألفاظ من المواد اللغوية ، وقواعد ونظم موروثة فى استعمالها ، وتراكيبها اللغوية . فليس عليه إلا أن يسمع ما يقوله العربى ، ويسير على منواله .

وهذا هو القياس الذى يؤدى إلى الاقتصاد فى المجهود الذى يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد [١] ويحفظ للغة قواعدها وينمى ألفاظها .

وأساس القياس هو المسموع عن العرب وهو يتمثل فى الآتى :

١ - القرآن الكريم : فلا ريب أنه يحمل طابع الاستعمالات العربية

---

(١) فندريس : اللغة ٢٠ .

الأصيلة ، وهو موثوق به غاية الثقة ، ويعد أقوى النصوص التى يجب اتخاذها أصلاً للقياس عليها .

وتعتبر قراءات القرآن الكريم - التى ثبتت صحة روايتها - مصدرا مهما للقياس لأنها تعبر عن لهجات عربية صحيحة .

٢ - الحديث الشريف : يعد مصدراً يحتج به فى اللغة ، ويقاس على ما ورد من ألفاظه ، واستعمالاته ؛ لأن الرسول ﷺ أفصح العرب - كما قال - : (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش) . وقد أوتى جوامع الكلم كما قال عليه الصلاة والسلام .

والذى تجدر الإشارة إليه هو عدم اهتمام اللغويين والنحاة بالاستشهاد على الظواهر اللغوية ، وقوانينها بالقرآنالكريم والسنة النبوية الشريفة اهتماما واسعا ، فالباحث يرى أنهم يأتون بالشواهد من مأثور الكلام شعرا ونثراً ، وربما اعتمدوا فى تقعيد قواعدهم على شاهد واحد - كما هو معروف عند الكوفيين - وربما لم يعرف قائله ، وقد يكون مصنوعا ، فقد أجاز الكوفيون دخول اللام فى خبر (لكن) واستشهدوا بهذا الشطر الذى لا تعرف له تتمة :

ولكننى من حبها لعميد [١]

وورد صريحا أن « سيبويه » سأل اللاحقى : هل تعدى العرب (فعلاً) - بفتح الفاء وكسر العين - قال : فوضعت له هذا البيت :

حذر أموراً لا تضير وآمن   ما ليس منجيه من الأقدار [٢]

ومع ذلك لم يهتموا بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، وفى القليل يعرجون على نصوص منه ، فيستشهدون بآية بدلاً من هذا البيت

---

(١) العينى : شرح شواهد الأشمونى ١ / ٢٨٠ أورد له ابن عقيل صدراً هو :
(يلومونني فى حب ليلى عواذلى)

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٩٨ وسيبويه - الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ١ / ١١٣ .

المجهول ، أو هذه العبارات السقيمة ، أو تلك التراكيب المصنوعة . ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [١] .

كذلك جرى جمهور النحاة على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف فى تقرير الأحكام العربية ، لروايته بالمعنى ، وكان الأولى بهم أن يعتبروه حجة فى اللغة ، وبخاصة بعد أن دون (وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول حين كان أولئك الرواة الذين يتصرفون فى ألفاظ الحديث - على تقدير تصرفهم - ممن يوثق بهم . ويحتج فى أحكام الألفاظ بعباراتهم) [٢] .

وقد أدى عدم اهتمام اللغويين والنحاة بهذين المصدرين فى الاحتجاج إلى وجود مشكلات لغوية كثيرة ، وتأويلات معقدة ، ربما كان من السهل التخلص منها بالرجوع إلى هذين الأثرين اللذين يمثلان اللغة فى صورتها المثالية .

٣ - ما ورد إلينا من اللغة النموذجية ، ألفاظ ونصوصاً .

٤ - ما ورد من لهجات العرب ، فقد جمعت ألفاظ واستعمالات لغوية تنسب إلى قبائل متعددة فى الجزيرة وتعد كلها حجة .

ويعتمد فى ذلك على ألفاظها ، وشواهدها نثراً وشعراً .

ويشترط - فيما نقل عن العرب - للقياس عليه أن يكون مما قاله العرب الذين عاشوا خلال فترة الاحتجاج ؛ وقد حددها المجمع اللغوى فى القاهرة بنهاية القرن الرابع الهجرى - فى البادية - وبمنتصف القرن الثانى الهجرى فى الحضر ، فلا يحتج بما ورد بعد ذلك فى مكانه بدوا أو حضرا .

---

(١) عبد المجيد عابدين : المدخل إلى دراسة النحو العربى فى ضوء اللغات السامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) الإمام محمد الخضر حسين : القياس فى اللغة العربية ص ٣٢ ، ٣٣ بتصرف .

والملاحظة ترينا أن سيلا عارماً من اللهجات قد ذاب فى الإطار اللغوى العام ، وأصبح داخلاً فيه ، فاللغة النموذجية التى صارت لغة العرب جميعاً قبل الإسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان - وإن ادعى بعض الباحثين أنها تتمثل فى لهجة قريش - كانت تحوى عناصر أخرى من لهجات كثيرة غيرها .

وقد ثبت - باعتراف الباحثين - أن لهجة قريش استمدت من اللهجات الأخرى ما رأته حسناً ومقبولاً من أصوات ، ومفردات وتراكيب .

ولما جاء عصر التقنين اللغوى استنبط علماء العربية القواعد من كل ما وصلوا إليه دون تمييز بين ما هو عام ، وما هو خاص . وبذلك صنعوا بناء لغويا متكاملا لم يفرقوا فيه بين ما هو أصلا لغة عامة للعرب ، وما هو إحدى اللهجات المنزوية .

وكانت مقاييسهم - فى هذا الصدد - صارمة ، وقد فلسفوا لها ، وعدوا ما خرج عليها شاذا أو مؤولا .

وكان لهم - فى هذه المقاييس - منهج معروف يتسم بالتحكم العقلى . فهم يدخلون الشواهد (العينات اللغوية) فى بوتقة واحدة ، ويصهرونها حتى تلائم ماوضعوه من قواعد مناسبة لها .

وقد طبقوا هذا المنهج على القراءات ، وإن كان بعيدا عن السلوك اللغوى للظواهر اللهجية المتمثلة فى القراءات ، فقد أدخلوها أو حاولوا إدخالها فى إطار النسق العام للقواعد المستنبطة ، وأخضعوها لمقايسهم .

فنراهم عند الاحتجاج لها يسلكونها فى هذا المسلك ؛

ويؤصلونها بهذا التأصيل ، سواء فى المجال الصوتى أو مجال التقنين . ووضع القواعد المعيارية .

ولو وقفنا أمام بعض القراءات لنرى رأيهم فيها لبدا لنا ذلك واضحا فى مجالات متعددة .

(أ) المجال الصوتى :

١ - الاختلافات الصوتية وهى - كما تعلم - الظاهرة الواسعة التى تمثل لنا أهم اتجاهات القراءات .

والمعروف أن الأصوات العربية نوعان :

حركات وسواكن أو كما يسميها الباحثون المحدثون : صوائت وصوامت ، فالحركات أو الصوائت هى الألف والواو والياء - إذا كانت مداً والحركات القصار : الفتحة والكسرة والضمة ، أما السواكن أو الصوامت فهى بقية حروف الهجاء .

ونلاحظ أن بعض القراءات تأخذ صورا متعددة فى هذا الإطار الصوتى بنوعيه وتبدو كما يلى :

١ - قراءات تفضل حركة معينة : فتحة - كسرة - ضمة .

٢ - قراءات تثبت حركة أو تحذفها .

٣ - قراءات تبدل حرفا من آخر .

٤ - قراءات تقرب صوتاً من آخر بما يحقق الانسجام والتماثل .

ومن خلال عرضنا لبعض القراءات فى هذه المجالات التى أشرنا إليها وتحليلنا لها نبين أن التخريج اللهجى هو السائد وأنه هو الذى تؤيده البراهين العلمية والصوتية قديماً وحديثاً .

ووفقاً للتقسيم المشار إليه نرى أن بعض القراءات يفضل فيها

القاريء حركة على أخرى وأحياناً صوتا صامتاً على آخر . فتفضيل حركة على أخرى يتمثل فى النطق بفتحة فى موقع معين على حين يفضل قارئ آخر النطق بكسرة أو ضمة .

فمن المفاضلة بين الفتحة والكسرة ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) ﴾ « الزخرف » قرئ (براء) وقرأ بعضهم (برئ) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً (٢٣) ﴾ « ص » قرأ الحسن بن هرمز (نعجة) - بكسر النون - وقرأ الباقون بفتحها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (١٢٣) ﴾ « التوبة » قرأ الجمهور (غلظة) - بكسر الغين - والأعمش . وأبان بن تغلب والمفضل - كلاهما عن عاصم بفتحها .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) ﴾ « محمد » قرأ الجمهور (عسيتم) بفتح السين وقرأها نافع بكسر السين وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا (٢٤٦) ﴾ « البقرة » بفتح سين عسيتم وكسرها .

وقوله جل ثناؤه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى (٣٣) ﴾ « الأحزاب » قرأ (قرن) - بفتح القاف - نافع وعاصم وأبو جعفر ، وقرأها الباقون بكسر القاف .

ومن المفاضلة بين الضمة والكسرة ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) ﴾

« الزخرف » قرأ (يصدون) - بضم الصاد - نافع وابن عباس والكسائى وأبو جعفر وخلف ووافقهم الحسن والأعمش ، وقرأها الباقون بكسر الصاد .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا (٨) ﴾ «الحشر» .

قرأ أبو بكر - عن عاصم - (رضوان) بضم الراء هنا ، وفى جميع القرآن إلا فى سورة المائدة ، فقد نقل عنه كسر الراء ، وقرأ الباقون بكسر الراء .

وقوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥) ﴾ « الرحمن » .

قرأ الجمهور : (شواظ) - بضم الشين - وقرأها ابن كثير والحسن وابن محيصن والأعمش - بكسر الشين .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ (٤٢) ﴾ « الأنفال » قرئ (العدوة) بضم العين وكسرها .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) ﴾ « الرحمن » [1] نسب إلى الكسائى ضم الميم من (يطمثهن) - فى الآيتين - ونسب كذلك إلى أبى الحارث ، ومعظم القراء بكسر الميم وقرأ أبو هريرة ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا (٢٢) ﴾ « الأنعام » بكسر الشين .

ولو راجعنا تحليل هذه القراءات فى كتب اللغة لوجدنا النظرة

---

(١) سورة الرحمن الآيتان ٥٦ ، ٧٤ .

إليها من خلال القوانين المعيارية ، والتفسيرات النحوية والصرفية ، وكأن المسألة لا تعدو أن تكون نطقاً صادراً عن اختيار القاريء ، وعلى أساس من علمه بالقوانين اللغوية ، وليس منبعثاً عن الفطرة ، والسليقة وما تقتضيه البيئة التى عاش فيها .

فالفراء - وغيره - يحللون قراءة الفتح فى (براء) على أن الكلمة مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد وغيره . فلا يؤنث ، ولا يثنى ، ولا يجمع كالمصادر فى الغالب ، أما (بريء) فهو مفرد . وهو مؤنث . ويثنى ويجمع .

وقراءة (عسيتم) بكسر السين يعرضها الفراء وغيره على مقاييس معيارية بعيدة عما يقتضيه المقام من النظر إلى القراءات فى ظلال صحة الرواية والنقل ، ولذا نرى الفراء يشك فى صحة القراءة بالكسر . ويقول : لو كان كذلك لقال (عسى) - بكسر السين - فى موضع (عسى) بفتحها - وبناء على ذلك اتهم العرب بأنهم غيروا ما لا يصح تغييره ، وعلى حد قوله : (ربما اجترأ العرب على تغيير بعض اللغة . كما قالوا : لستم - بضم اللام ، يريدون . لستم - بفتحها ، لأنه فعل لا يتصرف ليس له (يفعل) ، وكذلك (عسى) ليس له (يفعل) فلعله اجترئ على (عسى) كما اجترئ على (لستم) [١] .

ومع ذلك يعتبر كسر السين لهجة نادرة .

ويوافقه أبو عبيد الذى يقول : (القراءة عندنا هى الفتح لأنها أعرف اللغتين ، ولو كان لستم لقرئت (عسى ربنا) وما اختلفوا فى هذا الحرف » [٢] .

---

(١) البحر ٤ / ٩٤ .

(٢) حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

فلم يقم هذا التحليل على أساس لهجى أو علمى بقدر ما هو قائم على أساس قواعد مرسومة فى الذهن لا ينبغى وفق رأى الفراء ألا تتعدى ، ومن هذا المنطلق يتهم الفراء العرب بالجرأة على التغيير ، وكأن ذلك إجراء من غير موجب ، ومن غير من يملك التصرف اللغوى ، مع أنه صادر من العرب أصحاب اللغة الذين يعد كلامهم حجة .

وقراءة (قرن) - بفتح القاف أو كسرها - يحللها الفراء فى ضوء القواعد الصرفية المألوفة ، فالقراءة بالفتح أصلها (اقررن) - بفتح الراء الأولى وسكون الثانية وهى مأخوذة من (قر يقر) - بكسر الراء الأولى فى الماضى ، وفتحها فى المضارع ، وقراءة كسر القاف أصلها (اقررن) - بكسر الراء الأولى وسكون الثانية - وهى مأخوذة من (قر) بفتح الراء الأولى فى الماضى ، وكسرها فى المضارع .

ويجوز أن تكون مأخوذة من الوقار ، تقول للرجل : قد وقر فى منزله يقر - بفتح القاف فى الماضى وكسرها فى المضارع - وقوراً .

وفى قراءة (يصدون) بضم الصاد - و (يصدون) - بكسرها - يذكر الفراء أن العرب تقول : يصد بضم الصاد وكسرها ، مثل يشد - بضم الشين وكسرها - وكأن المسألة لا تتعدى جواز الأمرين معاً عند العرب لا أنهما لهجتان لطائفتين مختلفتين بحيث كانت كل طائفة من القبائل الناطقة لا تستعمل النطق الخاص بصاحبتها إلا على سبيل العدوى اللغوية ، ومعروف أن العربى كان يتمسك بلهجته لا يفارقها تعصباً لها فى معظم الأحيان كما تثبت كتب اللغة ذلك .

وقد حاول بعضهم أن يوجد فرقاً فى المعنى بين (يصدون) بضم الصاد وكسرها فمعناها بضم الصاد يعرضون عن الحق من أجل

ضرب المثل ، ومعناها - بكسر الصاد - يصيحون وترتفع لهم حمية بضرب المثل [١] .

والواقع أنهما لغتان (لهجتان) .

وأغرب من هذا أن بعضهم فسر القراءتين فى (رضوان) - بكسر الراء وبضمها - على أنه للتفريق بين الاسم والمصدر ، وذلك أن اسم خازن الجنة (رضوان) - بكسر الراء - كذا جاء فى الحديث (ورضوان) بضم الراء - مصدر (رضى ، يرضى رضا ومرضاة ورضواناً) - بضم الراء فى (رضوان) ففرق بين الاسم والمصدر [٢] .

ونحن نسأل : كيف يكون المعنى مقبولاً فى الآية على قراءة الكسر اعتماداً على أساس هذا التفريق ؟ الواقع أن ذلك لا يمكن قبوله فى تفسير الكسر والضم .

والأولى أن يؤخذ باعتبار كل منهما لهجة ، والكلمة مصدر وردت بلغتين معروفتين ، فالمصدر يأتى - وفقاً لهما - مرة على (فعلان) - بكسر الفاء - ومرة أخرى على (فعلان) - بضم الفاء - من الفعل رضى [٢] .

ويفسر الفراء قراءة (شواظ) بضم الشين - و(شواظ) بكسرها على جواز النطق بالوجهين ، فالعرب تقول : صوار بكسر الصاد وضمها ، وهو فى هذا التحليل يجرى فى فلك معيارى قياسى ، فكما تقول هذا وذاك بجوز النطق بهما معاً ، والقاريء يتمثل الوارد فى ذلك .

---

(١) البحر ٨ / ٢٥ .

(١) حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ .

وقراءتا (لم يطمثهن) - بضم الميم تارة وكسرها تارة أخرى - يعتبرهما الفراء من الأمور الجائزة ، فضم الميم أو كسرها وارد عن العرب ، والقارئ الذى قرأ الكلمة بضم الميم قرأها كذلك بكسرها ، وكأن القضية ليست قضية رواية ، وتدقيق فى التثبت فيهما بقدر إرادته أن يطبق عليها ما عرفه من قواعد ، فطالما أنه سمع من العرب الضم والكسر فالقارئ أراد أن يتمثل الناحيتين معاً ، فنطق الكلمة بالكسر والضم وكأن القارئ ليس أكثر من مقلد لا أنه عربى ينطق بفطرته .

والواقع أن القضية ليست معيارية بهذا المعنى ، وأن التحليل الأصيل يجرى فى فلك لهجى ، إذ إن الناطقين العرب - فى المناطق المختلفة - كانت لهم أحوالهم المكانية والزمانية والاجتماعية التى كانت تجعلهم يتجهون اتجاهات نطقية مناسبة لطبيعة البيئة التى يعيشون فيها ، فتفضيل حركة على أخرى ليس أمراً مشتركاً بين جميع العرب ، بل إن من يفضل الفتح فى موضع معين لا ينطق بالكسر فيه ، ومن يفضل الضم لا يستعمل الكسر كذلك ، وليست المسألة فوضى يستعمل كل واحد ما يستعمل الآخر ، وهذا واضح فى دراسة الفصحى والعاميات على سواء .

ولذا فإن المتأمل فى كتب اللغة والقراءات يلمح ما يهديه إلى التحليل الصحيح ففى بعضها ينسب الفتح أو الكسر أو الضم أحياناً إلى بعض قبائل العرب ، وقد تشير بعض تلك الكتب إلى أن هذا النطق أو ذاك من اللغات (اللهجات) ويلاحظ أن الضم نسب للقبائل البدوية كتميم وأسد وأهل البادية من العالية ونجد ، أما الفتح أو الكسر فهو لهجة أيضاً للقبائل الحضرية من أهل الحجاز .

وهذا الذى تنقله تلك الكتب تؤيده قوانين علم الأصوات

الحديث كما ذكرنا من قبل في حديثنا عن تبادل الحركات في اللهجات العربية .

ولعلنا لو تأملنا قراءة ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ (٢٢) ﴾ « إبراهيم » نجد كيف يدور التحليل القديم في إطار معيارى . والصواب أن توجه في إطار لهجى .

قرئ (بمصرخي) بفتح ياء المتكلم ، وقد كسرها حمزة والأعمش ويحيى بن وثاب ، وحمدان بن أعين ، وجماعة من التابعين .

وأهل النحو يلحنون من قرأها بالكسر - حمزة ومن معه - قالوا : وذلك أن ياء الإضافة (أى ياء المتكلم) إذا لم يكن قبلها ساكن حركت إلى الفتح . تقول : هذا غلامى قد جاء - بفتح ياء المتكلم - وذلك أن الاسم المضمر لما كان على حرف واحد ، وقد منع الإعراب حرك بأخف الحركات ، كما تقول : هو قام ويجوز إسكان الياء ، لثقل الياء التى قبلها كسرة ، فإذا كان قبل الياء ساكن حركت - إلى الفتح لا غير مثل هداى ومحياى لأن أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها فإذا كان قبلها ساكن صارت حركتها لازمة لالتقاء الساكنين فتقول : (ما أنتم بمصرخى) بالفتح [1] .

وكغيره من النحاة نقل الفراء القراءتين فى (مصرخى) بالفتح والكسر ، وسوغ قراءة الفتح بأن ياء المتكلم يجوز أن تسكن إذا تحرك ما قبلها مثل كتابى وغلامى ، فإذا سكن ما قبلها ردت إلى الفتح الذى كان لها مثل هداى ومحياى ، والياء من (مصرخى) ساكنة . وياء المتكلم بعدها ساكنة فحركت بحركة قد كانت لها ، فهذا مطرد فى الكلام ، والياء المدغم فيها تفتح أبداً .

وبناء على هذه القاعدة المعيارية لاحظنا أنه نظر إلى قراءة كسر الياء على أنها خارجة عن القاعدة وعدَّها وهما - على حد تعبيره - يقول : (ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى ، فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء فى (بمصرخى) خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك) .

وقد حاول بعض النحويين أن يوجهها - كذلك - فى إطار

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٧ .

القواعد فقال : إن الياء حركت بالكسرة للتخلص من التقاء الساكنين ، وأصله : (بمصرخين لي) حذفت النون للإضافة فالتقى ساكنان ياء الإعراب ، وياء الإضافة - وهي ياء المتكلم - وأصلها السكون . فكسرت للتخلص من الساكنين .

وقال أبو زرعة : وأما حمزة فليس لاحنا عند الحذاق ، لأن الياء حركتها حركة بناء ، لا حركة إعراب . والعرب تكسر لالتقاء الساكنين كما تفتح [١] .

ولعل هؤلاء النحاة قد تناسوا اللهجات العربية . وأنها تخضع للبيئات . وأن القواعد التي وضعوها قد صيغت - أحيانا - بعيدة عن المنهج الذى ينبغي اتباعه ، واتجهت إلى غير الواقع . فنطق ياء المتكلم مكسورة هنا لهجة لبعض العرب . وهم بنو يربوع . وإذا ثبتت صحة القراءة ، وكان لها سند لهجي لا يجوز الطعن فيها . وهذه القراءة بكسر الياء متواترة صحيحة . فالطاعن فيها غالط . والنفى لسماعها لا يدل على عدمها ، فمن سمعها مقدم عليه إذ هو مثبت .

فإذا انتقلنا إلى مجال آخر وهو حذف الحركات وإثباتها وجدنا أن بعض القراء يثبت حركة معينة في مكان معين على حين أن غيره يحذفها .

فقد ورد في بعض القراءات حذف الفتحة والألف ، كما نقل حذف الضمة أيضاً إذا توالت الحركات .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ﴾ ، قرأ (قال سلام) - بسين مفتوحة وألف جمهور القراء نافع وابن كثير ، وأبو عمرو وابن عامر

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف ، وقرأ (قال سلم) بسين مكسورة وبلا ألف - يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي وحمزة والكسائي ، وذكر عن النبي ﷺ أنه قرأ بها .

وقوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ قرأ الجمهور (وحرام) - بفتح الحاء والراء والألف - وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش و (حرم) بكسر الحاء وسكون الراء بلا ألف .

وكان تحليل بعض اللغويين للقراءات هنا معيارياً أيضاً . فقراءتا حذف الألف في سلام وحرام أو ذكرها - في رأى الفراء - جائزتان وواردتان عن العرب ، فيقال : حل وحلال وحرم وحرام ، لأن التفسير جاء (سلموا عليه فرد عليهم) فمعنى سلم وسلام وحرم وحرام واحد ، وأشار الفراء - مع ذلك - إلى أن كلا الاستعمالين لهجة عربية ، فالقراءة بذكر الألف لأهل المدينة ، وهى الأفشى . وكان الأنسب والأجور به أن يقرر أن الأمر ليس على سبيل الجواز بهذه الصورة الواسعة ، بل إنه محدود في إطار النطق الذى يلهج به فريق من العرب دون آخر .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴿٥﴾ ﴾ « النساء » قرأ نافع وابن عامر (قيما) بغير ألف ، وقرأ الباقون (قياما) بألف . فالواضح فى هاتين القراءتين الاتجاه اللهجى ، فقيماً وقياماً لهجتان والمعنى واحد ، وهو ما يقيم شأن الناس ويعيشهم [1] .

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴿٢٦٥﴾ ﴾

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠ ، ١٩١ .

« البقرة » قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (أكلها) بسكون الكاف ، وقرأ الباقون بضم الكاف .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴾ « سبأ » قرأ (أكل) بضم الكاف ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبو جعفر ، والأعمش وخلف ، وأبو عمرو ويعقوب ، واليزيدى والحسن ، وقرأها بسكون الكاف نافع وابن كثير .

ولم يفكر الفراء فى توجيه قراءتى (أكل) بضم الكاف وسكونها ولكنه فكر فى توجيه تنوين (أكل) وعدم تنوينها ، وجرى ذلك فى فلك النحو للبرهنة على صحة التنوين وعدمه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا (٦٧) ﴾ « البقرة » قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع (هزوا) ساكنة الزاى ، وقرأ الباقون بضمها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) ﴾ « البقرة » قراء نافع وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر والبزى (خطوات) بتسكين الطاء ، والباقون بضمها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (٥٧) ﴾ « الأعراف » قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (نشرا) بضم النون والشين ، والباقون بضم النون وسكون الشين .

فقراءة (أكل) بتسكين الكاف وضمها و (هزوا) بتسكين الزاى وضمها لهجتان التخفيف لتميم والتثقيل لأهل الحجاز ، فكل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فمن العرب من يثقله ومنهم من

يخففه ، فمن خفف طلب التخفيف لأنه استثقل ضمتين فى كلمة واحدة ، والمستعمل فى العربية هو الضم فى (خطوات) وقد تخفف [١] ، وكذلك من قرأ (نشرا) - بسكون الشين - قد خفف مثل (رسل) [٢] .

فالإطار الذى تذكر فيه هذه القراءات والذى يجب أن يحتذى هو ما يوجه إليه من اختلاف البيئة والأحداث اللغوية المحيطة بها .

فالملاحظ من تتبع الدراسات اللغوية أن توالى الحركات (الصوائت) من لهجة الحجاز ، وأن التخفيف وحذف الحركات من لهجات بنى تميم وأسد وبعض نجد ، وذلك يكشف عما تميل إليه البيئة الحضرية من التأنى فى النطق بحيث تعطى كل صوت حقه . كما أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة والاقتصاد فى الجهد العضلى ، وهذا الحذف يوفر لهم ذلك ، وقد يحدث العكس أحيانا فيحذف بعض الحضريين الحركات ويثبتها بعض البدويين ، وهذا محمول على تأثر الفريقين أحدهما بالآخر ، وقد ذكر ابن جنى أن الحجازين يستبدلون كسرة الشين فى عشرة المفردة بسكونها عند التركيب فقالوا : أحدى عشرة إلى تسع عشرة بكسر الشين - مع أنهم يسكنون فى الإفراد وهم يعكسون فى نظائره من (فخذ ونحوه) .

وباستعراضنا للقراءات الواردة فى قوله تعالى : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ « الفاتحة » نلاحظ تعدد النطق بكلمة (الصراط) ، فهى بالصاد - عند أكثر القراء - وبالسين والصاد - عند ابن كثير - وبهما وبالمضارعة بين الزاى والصاد - أى إشمام الصاد صوت الزاى

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

- عند أبى عمرو وحمزة - وبالزاى الخالصة - عند أبى عمرو - أيضاً - كما رواه الأصمعى (١) .

وفى كتاب الحجة لأبى على الفارسى بيان لاحتجاج أبى بكر بن السراج لهذه القراءات المتعددة فى الآية السابقة .

فقراءة الكلمة بالسين جاءت - فى رأيه - على الأصل ، إذ إن السين هى الصوت الأساسى فى هذه الكلمة والصاد بدل منه ، « ولا ينقل عن الأصل إلى ما ليس بأصل » (٢) .

وقراءة الصاد لها - أيضاً - وجه ، إذ هى أخف على اللسان لاتفاق الصاد مع الطاء فى الاستعلاء والإطباق .

وهو يرجح القراءة بالصاد على القراءة بالسين لهذا الانسجام الصوتى ، فالسين مستفلة منفتحة ، والطاء مستعلية مطبقة ، والانتقال بينهما صعب ، فلما قلبت السين صادا زالت تلك الصعوبة وأمكن النطق بسهولة .

وقراءة الزاى لها وجهة أيضاً ، لاتفاق الزاى مع الطاء فى الجهر ، ولكنها - فى رأيه - ضعيفة ، وروايتها عن أبى عمرو غير دقيقة . ولعل أذن الأصمعى قد خانته فى السماع الصحيح .

وكما قال : « إن الأصمعى غير نحوى ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاى فتوهمها زايا » (٣) .

وقراءة المضارعة - عنده - تستند إلى مبدأ الخفة ، والبعد عن الالتباس ، بجعلها زايا خالصة ، أو صاداً خالصة .

---

(١) أبو على الفارسى : الحجة فى علل القراءات السبع . ط دار الكاتب العربى ١ / ٣٦ والبنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣ .

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ط. بيروت .

(٣) أبو على الفارسى : الحجة ١ / ٣٧ .

ولكنه يضعفها أيضاً ، لما فى صورة النطق بها من صعوبة إذ فيها (تكلف حرف بين حرفين ، وليس هو بحرف يبنى عليه الكلم . ولا هو من حروف المعجم) [١] .

ويأتى بعد ذلك احتجاج أبى على الفارسى لهذه القراءات فيتفق مع صاحبه - ابن السراج - فى بعض الوجوه ، ويختلف معه فى بعضها الآخر .

فقراءة السين صحيحة ، وقراءة الصاد أقوى منها ، ويعلل أبو على لذلك بما علل به ابن السراج مع زيادة فى الإيضاح لظاهرة الانتقال الصوتى .

فالانتقال من السين إلى الطاء انتقال من المستفل إلى المستعلى . وفى ذلك لون من صعوبة النطق على حين أن الانتقال من الصاد إلى الطاء انتقال من مستعل إلى نظير مستعل آخر وذلك سهل .

وقد أورد لذلك نظائر قياسية كإبدال السين المستفلة صاداً قبل القاف المستعلية للتناسب ، وكمنع إمالة الألف فى (واقد) ونحوها لأنها مجاورة للقاف المستعلية بعدها ، والسبب فى المنع كراهة أن يصعدوا بالمستعلى بعد التسفل بالإمالة .

وإذا كان التصاعد أمراً صعباً فإن النزول من المرتفع إلى المستفل أسهل ، وذلك واضح فى أن العربى أجاز ذلك لسهولته على اللسان فقال : قست وقسوت بقاف مستعلية بعدها سين مستفلة وأمال (قادر) ونحوها مما وقعت فيه الألف بعد حرف القاف المستعلى (لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد ، وهذا يستخف ولا يستثقل كما استثقل عكسه) [٢] .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٣٨ .

وعلى هذا فإبدال السين صادا يؤدى إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما .

وينساق أبو على إلى نقطة أخرى : كيف يترك الأصل وهو السين فى (صراط) إلى ما ليس بأصل وهو الصاد ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل بأن ذلك مبنى على أصول كلام العرب . وليس مستغربا ، إذ إنهم فى مواضع أخرى تركوا ما هو أصل فى كلامهم إلى ما ليس بأصل ، طلباً لاتفاق الصوتين ألا تراهم قالوا : شمباء وممبك ، فلم يبينوا النون التى هى الأصل فى الشنب ومن عامر لما أرادوا أن يوفقوا بين الصوتين .

ويضعف أبو على القراءة بالزاى بعدة نظائر قياسية : أولها : أن السين هنا نظير الصاد المتحركة التى لا يبدلها العرب زايا . فكلمة (صراط) فى نظره شبيهة بكلمة (صدرت) . وكلمة (صدقت) ونحوهما ، فالسين نظير الصاد ، والطاء نظير الدال . وكما أن الصاد فى الكلمتين الأخيرتين لا تبدل زايا لتحركها فكذلك السين فى (سراط) لا تبدل زايا لتحركها .

ثانيها : بعد موقع السين عن موقع الطاء فى الكلمة لوجود الفاصل بينهما - وهو الألف - مما يضعف القول بالإبدال ، إذ الحاجز يمنع إبدالها زايا .

ونظير ذلك تحقيق الصاد وعدم قلبها زايا لوجود الفاصل بينها وبين الدال من حركة أو حرف ، مثل : صدق ومصادر كما ذكر سيبويه .

وكذلك الإدغام ، فالمتقاربان إذا وقعا فى كلمة واحدة ، وفصلت الحركة بينهما لم يدغما ، وذلك نحو (وتد) فكما لم يقو الإدغام ، ولم يكثر مع حجز الحركة كذلك لا يقوى البدل مع الحركة .

أما قراءة المضارعة فيقويها أبو على باعتبارات معيارية .

أولها : أن وجود الفاصل يحسن المضارعة فالصاد فى (صدقت) و (مصادر) والصاد فى (صراط) امتنع إخلاصها زايا ، ولكن ينطق بها بين الصاد والزاى على سبيل المشاكلة .

ثانيها : نقل عن العرب أنهم يشربون الشين والجيم صوت الزاى - على سبيل المضارعة - إذا وقعتا قبل الدال فى مثل : (أشدق) و (أجدر) فإشراب الصاد فى (صراط) صوت الزاى أولى وأجدر ، فالصاد والزاى من مخرج واحد ، ومتقاربان فى الصفات . على حين أن الشين أو الجيم والزاى متباعدة مخرجا ، وإن تقاربت فى بعض الصفات .

ثالثها : أن أهل مكة قرأوا بالمضارعة ، وقد وازن بينها وبين قراءة إخلاص الصاد وتحقيقها وأعمل فكره المعيارى فى الاحتجاج لاختيار الصاد . فالصاد الخالصة أولى من وجوه :

الأول : أن الصاد منقلبة عن السين ، وهذا نوع من الإعلال . فإذا ضورع بها فقد أعلت مرة أخرى ، والعرب يكرهون إعلال حرفين متواليين ، ولذلك نلاحظ أنهم لم يحذفوا النون من بنى النجار مع توالى النونات حيث كانت اللام قد أعلت بالقلب لئلا يتوالى إعلالان ، الحذف والقلب ، وإن كانا فى كلمتين مختلفتين ، فإذا كره فى هذا النحو كان توالى إعلالين فى حرف واحد أبعد .

والثانى : قياس على الإدغام ، فالمضارعة تشبه الإدغام فى أنه تقريب الحرف الأول من الثانى ، وكما أن الصاد لا تدغم فى الطاء لانتقاض صوتها بذلك فكذلك لا ينبغى أن يضارع بها لأن هذه المضارعة فى حكم الإدغام [١] .

---

(١) ينظر فى كل ما تقدم المصدر السابق جـ ١ ص ٣٦ - ٤٢ بتصرف .

ونلاحظ من استعراض هذا الاحتجاج للقراءات المتعددة في (الصراط) ومقارنته باحتجاج ابن السراج السابق أن كلا منهما مبنى على إعمال المقاييس المعيارية التى توصل إليها العلماء آنذاك وتحكموا بها في النصوص المروية ، ولم يميلوا إلى جانب الرواية والأثر بقدر ما كانوا يضربون في النواحي العقلية . ومن هذا الاتجاه رأينا أن كلا منهما يضعف إحدى القراءات اعتماداً على هذا المنهج دون الاعتبار للنقل والرواية . وكانت النتائج التى توصل إليها كل منهما مختلفة لا بتنائها على اعتبارات منطقية بحتة ، فقد ادعى ابن السراج - بناء على مقاييس منطقية صرفة - أن الأصمعى لم يكن نحويا . وأن ذاكرته قد خانته فى السماع ، وأن تكلف حرف بين حرفين غير معروف فى حروف المعجم ، والمناقشة الموضوعية تجعل هذا الاحتجاج ضعيفا .

كما أن القول بأن الحرف بين الحرفين غير معروف فى الأبجدية مبنى على ما وصلت إليه الأبجدية العربية من رقى وفصاحة - بعد تهذيبها - ولم يلاحظ ابن السراج بقاء مثل هذه الحروف عند قبيل من العرب ، ولذا فإن تعقيبه بقوله - ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب)[1] يرد عليه .

ومعظم ما استند إليه أبو على من أصول ونظائر ليؤكد بها اطراد ظاهرة قلب أحد الصوتين إلى الآخر بعيد عن الاتجاه المنهجى فى الاسندلال ، وكأنه يريد بذلك أن يجعل هذا الإبدال ظاهرة عامة يراها العرب جميعاً ، ويسلكون مسالكها حتى إنها تجرى وفق حكمتهم وما اقتضت طبيعتهم فى كل مكان .

وذلك يجرى فى فلك ما وضعوه من أصول وقواعد يريدون لها الاطراد .

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٨ .

ولكن علم اللغة الحديث يبين أن هذه الاستعمالات المتعددة ليست شائعة عند العرب جميعاً ، بل هى تعدد لألوان النطق وفقا لاختلاف الناطقين ، وما يناسب بيئاتهم التى يعيشون فيها ، والمؤثرات الحضارية ، والثقافية ، والنفسية ، وغيرها .

وفى إطار التحليل اللهجى للقراءات ، والذى نحبذه ونعضده نستطيع - بإذن الله - أن نحتج لهذه الألوان المختلفة من القراءات فى ضوء البيئة العربية ، وظروفها الاجتماعية .

فليست قراءة السين أصلاً ، وقراءة الصاد فرعاً - كما توهم المحتجون من اللغويين - إذ إن ذلك كان يتأتى لو أن الناطقين بالصاد هم الناطقون بالسين فى عصرين متتاليين مثلاً .

لكن الواقع أن السين لجماعة ، والصاد لجماعة أخرى ، والزاى لغيرها ، والمضارعة لفريق غير هؤلاء . ولعلنا نلمح أن تلك جميعها لهجات من القصة المشهورة التى رواها الأصمعى ، وهى قوله : اختلف رجلان فى الصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فتحاكما إلى ثالث فقال : أما أنا فأقول : الزقر ، فدل على أنها ثلاث لغات (لهجات) (١) .

ونخلص من ذلك إلى أن الفكر القياسى الذى انتهجه بعض اللغويين والنحاة القدامى لم يصل إلى المطلوب فى تفسير القراءات ، وأن وصلها باللهجات هو الحل العلمى المنهجى السليم .

وفى ضوء علم اللغة الحديث يمكن تخريج القراءات فى الآية المذكورة .

فالمعروف أن العرب فريقان : بدو وحضر ، ولكل منهما طرائق خاصة بالنطق ، ويثبت علم اللغة الحديث أن البدو يميلون إلى

---

(١) ابن جنى : المحتسب ٢ / ١٦٩ ، ٢٨٣ ، والسيوطى : المزهر ١ / ٢٩٩ .

الأصوات الواضحة أو الأكثر وضوحاً ، على حين أن الحضر يميلون إلى الأصوات الخافتة ، ولذا يفضل البدو الأصوات المجهورة ، أو المستعلية المطبقة لشدة وضوحها وعلوها المناسب لخلاء الصحراء التى يضيع فيها الصوت ما لم يكن عالياً ، على حين يفضل الحضريون الأصوات المهموسة أو المستفلة المنفتحة لمناسبتها لخفض الصوت اللازم للبيئة الحضارية ذات المساكن والجدران التى تحجز الصوت ، وتنقله دون أن يتبدل ، فلا تحتاج إلى علو الصوت ، بل تدعو إلى خفوته .

وتنقل لنا كتب اللغة اسماء بعض القبائل التى تنسب إليها تلك الطرائق النطقية من استعمال السين أو الصاد أو الزاى أو المضارعة .

وقد نسب أبو حيان ظاهرة إشمام السين صوت الزاى إلى قبائل قيس، وقلبها زايا خالصة إلى قبائل عذرة [١] ، وكعب ، وبنى القين ، وقيس معروفة ببداوتها ، وعذرة قبيلة اشتهرت بالعشق ، وهى بطن من قضاعة وهم بدو ، وكعب بطن عامر بن صعصعة من هوازن ، وكانت تسكن العروض مجاورة لبنى تميم ، وبنو القين بطن من بنى أسد [٢] ، وهى بدوية على ما نعرف .

ولعل ظاهرة الإطباق أيضاً تنسب إلى أهل البادية حيث عرفنا أن صوت الإطباق فيه من الوضوح ما يناسب البيئة الصحراوية [٣] .

ومن خلال هذا المنهج الذى اتسم بالتحكم العقلى وفق ما صاغه اللغويون والنحاة من مبادئ ومحاولتهم أن يدخلوا اللهجات

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط ١ / ٢٥ .

(٢) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٧١ ، ٣٥٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، والهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٥٩ .

(٣) د. عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠ .

فى إطارها كانوا يقفون من بعض القراءات موقفاً بعيداً عن المنهج العلمى الموضوعى ، فرموها بالغلط - فى بعض الأحيان ، ولو كانت القراءة صحيحة الرواية أو سبعية .

٢ - إثبات صلة ضمير الغائب المذكر وحذفها :

فقد وردت بعض القراءات بحذف صلة الضمير (الهاء) واوا كانت أو ياء .

فمن قراءات حذف الواو - مع اختلاس [١] حركة (الهاء) وإسكانها :

١ - ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ « الزمر » .

قرأ حمزة ونافع ويعقوب وحفص باختلاس ضمة الهاء ، وقرأ السوسى بإسكانها [٢] .

٢ - ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾ « البلد » .

قرأ يعقوب وابن وردان باختلاس ضمة الهاء والباقون بإثبات الواو [٣] .

٣ - ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ « طه » .

قرئ (نحشره) بإسكان الهاء .

ومن قراءات حذف الياء مع اختلاس الحركة وإسكانها :

١ - ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴿٧٥﴾ ﴾ « آل عمران » .

---

(١) الاختلاس : أن يأتى القارئ بثلثى الحركة ولا يكملها . شرح الضباع على الشاطبية ص ١٩٢ .

(٢) البنا الدمياطى : الإتحاف ٣٧٥ وابن الجزرى .

(٣) البنا الدمياطى ، الإتحاف ٤٤٩ وابن الجزرى : النشر ٢ / ٤٠١ .

قرأ قالون ونقل عن هشام - مع الخلاف - باختلاس كسرة الهاء [١] .

وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكانها [٢] .

٢ - ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا (١٤٥) ﴾ « آل عمران » .

قرأ يعقوب وقالون باختلاس كسرة الهاء .

وقرأ أبو عمرو وحمزة وهشام وأبو بكر بإسكانها [٣] .

٣ - ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ (٢٨) ﴾ « النمل » .

حكى اختلاس كسرة هاء (ألقه) عن أبى عمرو ، وقرأ بالاختلاس - أيضا - قالون وهشام ، فيما نقل عنه مع الخلاف ، والحلوانى .

وقرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بالإسكان .

وقرأ الباقون بإثبات الياء [٤] .

والمعروف أن هاء الضمير المذكر يلحق بها واو أو ياء زائدة صلة لها كما تزاد الألف فى المؤنث فى مثل قولك : ضربتها ومررت بها وضربته ليستوى ضربته المذكر والمؤنث فى باب الزيادة [٥] .

وقد تحذف هذه الصلة حسب اتجاهات القبائل ، ويتوقف ذلك على ما يسبقها من حروف وحركات أو سكون .

---

(١) البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ١٧٦ .

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ١٧٩ وأبو حيان : البحر المحيط ٣ / ٧١ .

(٤) البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ٣٣٦ وابن الجزرى : النشر ٢ / ٣٣٧ وأبو حيان : البحر ٧ / ٧٠ .

(٥) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٩١ وأبو زرعة ، حجة القراءات ١٦٦ ، ١٦٧ .

فإذا سبقت بحرف لين (ألف - واو - ياء ساكنة) فبعض العرب يحذف صلة الضمير (الهاء) في حال الوصل . وبعضهم يثبتها ويرى سيبويه أن الأجود الحذف [١] على حين يرى المبرد أن إثبات الواو أو الياء صلة للضمير عربي حسن ، وأنه هو الأصل [٢] وهذا في مثل قولك : يداه تجودان بالخير - أكرموه فإنه جدير بالإكرام - عليه ثوب قشيب .

وتجرى على ذلك القراءة في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) ﴾ « الإسراء » ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ (٢٠) ﴾ « يوسف » ﴿ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ (١٧٦) ﴾ « الأعراف » .

ويعلل اللغويون لحذف صلة الهاء بأن قبلها حرف لين وهي خفية وبعدها يقع حرف لين ، فكرهوا اجتماع حرفين ساكنين كلاهما لين وليس بينهما إلا حرف خفي .

وإن سبقت بحرف ساكن غير لين فالأجود عند سيبويه إثبات صلة الهاء ، والأجود عند المبرد الحذف ، وذلك في مثل أصابته جائحة ، وقوله تعالى مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ (٧) ﴾ « آل عمران » .

وقد عللوا لذلك أيضاً بما عللوا به لسابقه ، وهو أنهم كرهوا حرفين ساكنين بينهما حرف خفي .

وإن سبقت الهاء بحرف متحرك ، فالأجود إثبات صلتها كما تثبت الألف مع المؤنث .

وحذف صلة الضمير - مع إبقاء الحركة واختلاسها أو مع حذف الحركة وإسكان الضمير - يعده هؤلاء اللغويون - كسيبويه والمبرد - ضرورة لا تجوز إلا في الشعر .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٩١ .

(٢) المبرد : المقتضب ١ / ٢٦٦ .

ويعلل المبرد للحذف مع اختلاس الحركة بأن الشعراء يفعلون ذلك لأن الصلة واوا كانت أو ياء - ليست بأصل ، وإنما هى زائدة فيحذفونها كما يحذفون سائر الزوائد ، ومن ذلك قول الشاعر :

وما لهُ من مجد تليد وماله من الريح حظ لا الجنوب ولا الصبا

وحذف الحركة وإسكان الضمير يعد من أشد الضرورات . وجاز ذلك أيضاً لأنها زيادة ، كما فى قول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيله ومطواى مشتاقان له أرقان

ويتفق ابن جنى مع العالمين السابقين فى اعتبار حذف صلة الهاء ، واختلاس الحركة ضرورة كما فى قول الشماخ :

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقة أو زمير

فيطبق المنهج العقلى المعيارى حين يقول :

ينبغى أن يكون ذلك ضرورة وصنعة لا مذهبا ولغة ، لأنا لا نعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها لغة . وكذلك يجب عندى وينبغى ألا يكون لغة لضعفه فى القياس ، ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل ، ولا مذهب الوقف ، أما الوصل فيوجب إثبات واوه (كلقيتهو أمس) وأما الوقف فيوجب الإسكان (كلقيته) فيجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن لا لغة .

وأنشدنى الشجرى لنفسه :

وإنا ليرعى فى المخوف سوامنا كأنه لم يشعر به من يحاربه

فاختلس ما بعد هاء (كأنه) ومطل ما بعد هاء (بهى) ، واختلاس ذلك ضرورة وصنعة على ما تقدم القول به .

بيد أن ابن جنى اعتبر حذف صلة الهاء وإسكانها لغة ، لأنها سمعت ، ووصل ذلك إلى علمه فقد نقل بيت يعلى الأزدى ، وهو :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو .. إلخ .

ثم قال : فهاتان لغتان أعنى إثبات الواو فى (أخيلهو) وتسكين الهاء فى قوله (له) لأن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزد السراة ، وإذا كان كذلك فهما لغتان ، وليس إسكان الهاء فى (له) عن حذف لحق بالصنعة الكلمة لكن ذلك لغة [1] .

والنحويون لعدم درايتهم - أحيانا - باللهجات أو تناسيهم لها يضعون النصوص الواردة تحت مقاييسهم ويخضعونها لها فإذا اتفقت معها أجازوها وإلا منعوها ، وحذروا من استعمالها .

فحذف صلة الضمير - بعد الحرف المتحرك - قد اعتبروه ضرورة لا تجوز إلا فى الشعر ، وابن جنى لما لم يثبت عنده اختلاس الحركة على أنه لغة ضعفه فى القياس . على حين أجاز إسكان الهاء لأنه نقل عن الأخفش أنه لغة لبعض العرب .

ومن هذا المنطلق وجدنا بعض اللغويين والنحاة القدامى يحيفون على بعض القراءات الواردة بالاختلاس وبالإسكان للضمير بعد الحرف المتحرك ، فوجدناهم يرمونها بالغلط ، لأنهم جعلوا ذلك من باب الضرورات الشعرية التى لا تجوز فى النثر ، ومن باب أولى - عندهم - لا تصح فى القرآن .

وبهذا أنكروا قراءات متواترة أو سبعية ، منها بعض القراءات السابقة .

فهذا هو الزجاج قد غلط أبا عمرو فيما روى عنه من كسر هاء الضمير فى (فألقه) مع اختلاس الحركة ، أو مع إسكانها ، وكذلك فى كل ما أشبهه من قراءات فى مواضع أخرى .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

وفي قراءة ﴿ يرضهُ لكُمْ (٧) ﴾ « الزمر » باختلاس حركة الهاء - قال أبو حاتم : هو غلط [١] .

وهذا التغليط مبني على تحكيم المنهج النحوي فيما يستعمله العرب من طرق صوتية خاصة .

ولعل سيبويه والمبرد عدا ذلك من باب الضرورة التي لا تجوز إلا في الشعر لأنه لم يصلهما أنها لهجات كما وصلهما ذلك عن حذف الصلة إذا كان ما قبل الهاء ساكنا .

ومن هنا وجدنا ابن جني يصرح بأنه لا يعلم ذلك ، فلم يصله أن اختلاس الحركة مع حذف الصلة لغة لأى قبيل من العرب .

وأنا أعجب منه لأنه نقل شعرا لابن الشجرى - وهو أعرابى من عقيل - وقد ورد عنهم أنهم يختلسون حركة الضمير فكيف لم يتنبه ابن جني لذلك ؟

فبعض العلماء نقل لنا أن اختلاس الحركة وإسكان هاء الضمير لهجة بني عقيل وكلاب في مثل هذه الحالة التي قرر السابقون أنها ضرورة . قال الكسائي : سمعت أعراب عقيل وكلاب يقولون : ﴿ لربّه لكنودٌ (٦) ﴾ « العاديات » بالجزم و (لربه لكنود) بغير تمام . ولهُ ولهْ مال ، وغير عقيل وكلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس ولا سكون في (له) وشبهه إلا في الضرورة [٢] .

وقد أجاز ذلك الفراء وحكى أنه لغة لبعض العرب [٣] ، وذهب ابن جني ينقل عن أبي الحسن الأخفش أن إسكان الهاء لغة لأزد السراة .

---

(١) أبو حيان : البحر ٧ / ٤١٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ١ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ونقل أبو حيان ذلك أكثر من مرة [١] ومن هنا نعى على الزجاج تغليطه لما نقل عن أبى عمرو من اختلاس حركة الهاء وإسكانها لأن القراءة سبعية ، وهى تجرى وفق إحدى لهجات العرب ، قال : (وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الكسر غلط ليس بشىء ، إذ هى قراءة السبعة ، وهى متواترة وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبى عمرو بن العلاء فإنه عربى صريح ، وسامع لغة وإمام فى النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا) [٢] .

ونرى أن التهجم على القراءات ، وعدم الاعتداد بثقة النقل والرواية منهج غير سديد ، لأنه إذا ثبتت صحة الرواية والنقل فينبغى أن تخضع القوانين والقواعد لها لا العكس ، فإذا ثبت أن ذلك من لهجات العرب كان النقد غير بناء .

وليست القضية قضية قياس منطقى ، لأن اللغة ليست منطقاً بل هى ظاهرة اجتماعية .

وعلم اللغة الحديث يفسر ظاهرة إثبات صلة الضمير وحذفها وتنوع اللهجات فى ذلك .

فالمعروف أن العرب الحضريين يميلون إلى التأنى فى النطق وإعطاء كل صوت حقه ، فإذا كان الضمير - الهاء - موصولاً بزائدة من واو ، أو ياء أثبتوها ، على حين أن قبائل البادية تميل إلى سرعة النطق بالأصوات ، وهذا يؤدى إلى الحيف على بعض أصوات اللين بحذفها تارة ، وتقصيرها تارة أخرى .

وبنو عقيل وكلاب من القبائل البدوية التى تميل إلى اختصار أصوات اللين ولا تأبه بالتأنى فى النطق .

---

(١) انظر الموضع السابق وانظر أيضاً : ٦/ ٢٨٧ .

(٢) أبو حيان : البحر ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

ومعروف أن أصوات اللين عرضة لتغيرات كثيرة فى اللهجات العربية المختلفة ، ولما كثر فيها هذا النوع من التغيرات لجأ علماء اللغة إلى وضع القوانين الضابطة لطريقة نطقها ، وإعطائها حقها من المد وغيره ، ولاسيما عند مجاورتها لأصوات يخشى عليها أن تذوب فيها ، أو تفقد بعض خصائصها الصوتية ، ونحن نلاحظ - فى اللهجات الدارجة - تغيراً واسع النطاق فى أصوات اللين جره عليها عدم الاهتمام بها وتركها خاضعة للتطور .

٣ - حركة هاء ضمير الغائب المذكر :

وهذه قراءة ابن عامر ﴿ أَرْجِهْ (١١٢) ﴾ « الأعراف » بالهمز وكسر الهاء من غير إشباع تتعرض لتهجم النحاة عليها .

« قال أهل النحو : هذا غلط لأن الكسرة لا تجوز فى الهاء إذا سكن ما قبلها نحو (منهم) بكسر الهاء ، وإنما يجوز كسر الهاء ، إذا كان ما قبلها ياء أو كسرة فتكسر الهاء من أجلهما [١] .

ونحن نعلم أن هاء ضمير الغائب تحرك بالضم إذا لم تسبق بياء ساكنة أو كسرة مثل (له - يعلمه - منه) ونحو ذلك ، فإذا سبقت بياء ساكنة أو كسرة فللعرب فيها طريقتان ، فبعضهم يبقيها على أصل الضم ، وهم الحجازيون فيقولون عليه وبه، وقرئ بها فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ (١٠) ﴾ « الفتح » ، ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ (٨١) ﴾ « القصص » فقال ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا (١٠) ﴾ « طه » .

وبقية العرب يكسرون الهاء لمناسبة الياء والكسر فيقولون : عليه - به .

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ٢٨٩ .

وبناء على هذا فإن اللهجات تتعدد فيما سبق بياء ساكنة أو كسرة .

وربما كانت هناك لهجات فيما هو ساكن من غير الياء مثل (منه) ويؤيده تلك القراءة التى معنا (أرجئه) لكن النحويين يجعلونها من باب الغلط .

وبعضهم يفسرها بأن كسرة هاء الضمير ليست محولة عن ضمتها وإنما هى كسرة التخلص من التقاء الساكنين ، فقد سكنها القارئ وفقاً لبعض اللهجات التى تحذف صلة الضمير والهمزة الساكنة قبله فاضطر إلى تحريك الهاء بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين (١) .

ولكن لماذا يذهبون إلى أن القارئ سكن أولاً ثم تخلص بالكسر ؟ وما الداعى له إلى ذلك ؟ ألم يكن من الممكن أن يبقى الضمة طالما أنه يريد التحريك ؟

ولماذا لا تعد هذه القراءة دليلاً لورود كسر هاء الضمير عن العرب إذا سبقت بساكن غير الياء ؟ إن هذا أولى من مثل هذه التخاريج التى لم تكن فى ذهن القارئ حال قراءته ، ولا يمكن أن تطرأ فى ذهن عربى ينطق بفطرته .

ويظهر أن بعض النحاة كان يعتبر القراءة اجتهاداً ورأياً ، فهذا الفراء يعرض لقراءة حمزة فى قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴿٧٢﴾ ﴾ « الأنفال » - بكسر الواو فى ولايتهم - ثم يقول : « يريد من ميراثهم ، وكسر الواو أعجب إلى من فتحها لأنه إنما يفتح أكثر ذلك إذا كانت فى معنى (نصرة)

---

(١) المصدر السابق : ٢٨٩ - ٢٩٣ .

قال : فكان الكسائي يفتحها ، ويذهب بها إلى النصرة . ولا أراه علم التفسير » (١) .

فالفراء بفضل الكسر ، ويتهم الكسائي بعدم المعرفة بعلم التفسير مما أوقعه في هذا الاختيار ، وكأن الأمر جائز له أن يختار هذا أو ذاك دون رواية مأثورة ، وليس الأمر كذلك .

٤ - تخفيف مضارع « رأى » وأمره :

ولقد قرئ الفعل (أرنا) - بسكون الراء - في هذه الآيات : ﴿ وأرنا مناسكنا (١٢٨) ﴾ « البقرة » - ﴿ أرنا الله جهرة (١٥٣) ﴾ « النساء » - ﴿ أرنا اللذين أضلانا (٢٩) ﴾ « فصلت » .

وكذلك الفعل (أرني) في قوله تعالى : ﴿ أرني كيف تحيي الموتى (٢٦٠) ﴾ « البقرة » و ﴿ أرني أنظر إليك (١٤٣) ﴾ « الأعراف » .

قرأها بسكون الراء ابن كثير ويعقوب ، وفي بعضها قرأ أبو بكر وابن ذكوان وورد الخلاف في ذلك عن أبي عمرو .. وقرأ الباقون بكسر الراء في جميعها (٢) . ومثلها الفعل (تر) (٣) .

قال الزمخشري عن هذه القراءة إنها استرذلت . لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة ، وهي دليل عليها فإسقاطها إجحاف (٤) .

وتعليل الزمخشري لرأيه سبق به ابن جني في حديثه عن قراءة أبي عبد الرحمن ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (١) ﴾

---

(١) المصدر السابق : ٣١٤ .

(٢) ابن الجزري : النشر ٢ / ٢٢٢ ، والبنا الدمياطي : الإتحاف ١٤٨ .

(٣) انظر البقرة : الآيتين ٢٤٣ ، ٢٥٨ والنساء الآيتين ٤٣ ، ٤٩ وإبراهيم الآية ١٩ والفيل الآية ١ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ١ / ١٨٨ .

« الفيل » قال أبو الفتح : هذا السكون إنما بابه الشعر لا القرآن لما فيه من استهلاك الحرف والحركة قبله [١] .

وذكر أبو على الفارسى أن بعض الناس أنكر القراءة بإسكان الراء فى (أرنا) ونحوها ، من أجل أن الكسرة تدل على ما حذف فيقبح حذفها . ثم رد هذا الإنكار والتمس لصحة القراءة وجها مناسبا أيضاً فقال : « ما قاله هذا القائل - يعني منكر القراءة - ليس بشئ ألا تراهم أدغموا فى ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴿٣٨﴾ ﴾ « الكهف » ، فالأصل (لكن أنا) ثم نقلوا الحركة وحذفوا ثم أدغموا ، فذهاب الحركة فى (أرنا) ليس بدون ذهابها فى الإدغام » [٢] .

والواقع أن التعليل المنهجى لهذه القراءة يقوم على ربطها باللهجات العربية ، لا على هذه الوجوه القياسية التى فرضها اللغويون والنحاة ، وجعلوها أساس أحكامهم ، حتى أنكر بعضهم هذه القراءة ، وهى متواترة منقولة عن القراء الموثوق بهم .

فهذا الطعن غير لائق ، ولا سيما إذا عرفنا أن بعض العرب كبنى تميم يميلون إلى التخفيف بحذف بعض الحركات المتوالية كما فى فخذ وكتف ورسل .

وأكثر لغات العرب - كما يقول ابن جنى - تخفف المضارع والأمر من الفعل (رأى) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء قبلها على عادة التخفيف فى نحو ذلك [٣] .

وزادت بعض القبائل هذا التخفيف بإسكان الراء على حد فخذ وكتف ، وقد نقل أبو حيان أن هذا من لغة بنى تميم [٤] وله شواهد عربية تدل عليه كقول الشاعر :

---

(١) ابن جنى : المحتسب ٢ / ٣٧٣ .

(٢) أبو حيان : البحر ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) ابن جنى : المحتسب ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) أبو حيان : البحر ٨ / ٥١٢ .

أرنا إداوة عبـــد الله نملؤها من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

وأنشد أبو زيد في نوادره :

قالت سليمى اشتر لنا دقيقا واشتر فعجل خادما لبيقا [١]

وعلم الأصوات الحديث يفسر هذا الظاهر الصوتية التى تميل إليها قبائل البادية ، فالمعروف أن البدو يميلون إلى عدم النطق بالحركات المتوالية - وبخاصة إذا كانت مختلفة من فتحة وكسرة ونحوهما - فيخففون ذلك بإسكان الوسط منها ، ولا بأس أن تنسب تلك الظاهرة لبنى تميم ، ولا داعى إلى قياسها على الإدغام كما فعل أبو على . ولا على إجراء الوصل مجرى الوقف ونحو ذلك مما يحاول النحاة ربط هذه الظاهرة به ، فكل ذلك بعيد عن التفسير الحقيقى لطريقة النطق العربى .

٥ - السكون والحركة فى الصوامت الحلقية :

ولنتأمل بعض صور التسكين والحركة فى الصوامت الحلقية وكيف يحاول اللغويون تفسيرها بمنطقهم الخاص البعيد عن المنهج السوى .

ففى قوله تعالى : ﴿ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ (١٤٣) ﴾ « الأنعام » قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (من المعز) بفتح العين ، وقرأها الباقون ساكنة العين .

ونلاحظ هنا أن الفتح جاء مع حرف العين فى (المعز) ولم يجئ مع الهمزة فى (الضأن) وهذا جعل بعض علمائنا القدامى يعتبرون أن تسكين العين هو الأصل وأن الفتح فرع عنه ، يقول أبو زرعة : الأصل تسكين العين لأنه جمع (ماعز) مثل : تاجر وتجر ، وصاحب

---

(١) ابن جنى : المحتسب ٢ / ٣٧٣ وأبو حيان : البحر ٢ / ٢٤٩ .

وصحب ، وحجتهم إجماع الجميع على تسكين الهمزة فى (الضأن) وهو جمع (ضائن) كماعز .

ويعللون لعدم القراءة بفتح همزة (الضأن) بقولهم : « إن الهمزة أثقل من العين ، لأنها تخرج من أقصى الحلق ، وتحريكها أثقل من تحريك العين ، ولذلك فرق بينهما » [١] .

وهذا كلام غير واقعى ، فاعتبار التسكين أصلاً ، والفتح فرعاً غير سديد ، لأن الأصالة والفرعية لا تتأتى إلا عند طائفة واحدة من العرب فى عصرين متتاليين ، والثابت تاريخياً ولهجياً أن الفتح لبنى عقيل وأضرابهم .

يقول ابن جنى : (لقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق ، وهو قول بعضهم نحوه يريد نحوه ، وهذا ما لا يتوقف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق ، لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة [٢] .

وأبو حيان ينسب تلك الظاهرة إلى بعض بنى بكر بن وائل [٣] وتثبت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين [٤] وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين [٥] ومن هذا تفهم (سر التشابه فى اللهجة بين القبيلتين) [٦] .

فليس الفتح فرعاً عن التسكين كما يقولون .

والتعليل لعدم تحريك الهمزة بأنها أثقل من العين غير مسلم ،

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) ابن جنى : المحتسب ١,١٦٧ .

(٣) أبو حيان : البحر ٣ / ٢٤٧ .

(٤) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٥) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ والقلقشندى : نهاية الأب ١٧٨ .

(٦) د/ عبده الراجحى : اللهجات العربية ص ١١٣ .

فإن أبا زرعة ينقل أن التحريك جائز فيها لأن كليهما (العين والهمزة) من حروف الحلق، والعرب تفتح إذا كان فى الكلمة حرف حلقى ساكن مثل: النهر والنهر والزهر والزهر والطعن والطعن.

ومع هذا فإن إطلاقه الفتح عند العرب دون تحديد لبعضهم يقتضى أن الأمر جائز، فيسكن حرف الحلق أو يفتح عند العرب جميعاً. مع أن الواقع غير ذلك، فكل منهما لقبيل من العرب كما عرفت.

وهذا يؤكد عدم دقة المنهج المعيارى فى تحليل القراءة والنظر إليها.

ويثبت علم الأصوات الحديث. ما أثبته علم الأصوات القديم - من حب حرف الحلق للفتحة، قال ابن جنى - فى التعليل لقراءة ﴿ بِالْبَخَلِ ﴾ «الحديد» بفتح الباء والخاء - : (لا أبعد أن تكون الخاء لكونها حرفاً حلقياً يفتح ما قبلها كما تفتح هى نفسها فيما كان ساكناً من حروف الحلق نحو قولهم فى الصخر الصخَر)[1].

ويقول المحدثون: «إن حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج إلى اتساع مجراه فى الفم، ولذلك ناسبه من أصوات اللين، أكثرها اتساعاً وهو الفتح»[2].

٦ - تحقيق الهمز وتسهيله:

ويعلل اللغويون والنحاة بعض الظواهر الخاصة بتحقيق الهمز وتسهيله تعليلاً معيارياً لا يتسق والمنهج اللهجى المطلوب لتفسير القراءات وبيان اتجاهاتها.

---

(١) ابن جنى: المحتسب ١ / ١٦٧.

(٢) د. أنيس: فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٨.

ففى سورة قريش ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ ② ﴾ « قريش » قرأ يحيى عن أبى بكر : (إئْلافهم) - بهمزتين الثانية منهما ساكنة - وروى عن الأعمش : (إإيلافهم) بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء .

ولقد حكم النحويون المقاييس المعيارية فى هاتين القراءتين فقالوا : إن تحقيق الهمزتين فى (إئلافهم) لا وجه له .

وذلك لأن القاعدة تقول : إذا اجتمعت همزتان فى أول الكلمة والأولى منهما متحركة ، والثانية ساكنة ، قلبت الثانية مدة من جنس حركة ما قبلها ، مثل : آمن - آلف - إيمان - إيلاف - أومن .

وأكثر منه بعداً - فى نظرهم - ما روى عن الأعمش (من تحقيق الهمزتين وزيادة ياء بعدهما) لأنه حقق الهمزتين وألحق ياء لا مذهب لها ولا وجه .

وقد جرت بعض المحاولات لتفسير تحقيق الهمزتين فى هاتين القراءتين بأنه على سبيل التشبيه بهمزة الاستفهام وهمزة الضمير الملتقيتين فى (أأنت ؟) ووجه الشبه أن الثانية منهما أصلية . والأولى داخلة عليها ، وليست بأصل ، فالمصدر (إئلافهم) أصله من الفعل (ألف) دخلت همزة فى أول المصدر لم تكن موجودة من قبل [١] .

واعتراض النحويين وعلماء الصرف قائم على أساس القواعد التى وضعوها ، ولو رجعوا إلى طبائع العرب فى الهمز لوجدوا أن بعضهم يهمز ، ويبالغ فى الهمز - أحياناً - إلى هذا الحد وغيره ، وهذا عند أصحاب الطباع البدوية ، وزيادة الياء - كما يحكى ابن الجزرى « على لهجة المشبعين من العرب الذين يقولون : الدراهيم

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٧٧٣ ، ٧٧٤ .

والصياريف - في الدراهم والصيارف - وليست ضرورة بل هي لهجة مستعملة »[1] .

فإذا أتت بعض القراءات بذلك فلا بأس من الاعتداد به ، وقبوله . أما أن تحكم القواعد في القراءات فينسب إليها الضعف لخروجها على قواعدهم فهذا لا ينبغي أن يكون ، بل يجب أن توضع القواعد وفقاً للقراءات الثابتة الرواية .

واللغويون - في بعض الأحيان - يرمون العرب بالغفلة وعدم الحكمة كما نلحظ ذلك عند توجيههم قراءة ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ « النحل » - بهمز (سأقيها) فيدعون أن العرب تهمز ما لا يهمز تشبيها بما يهمز ، فالكلمات (كأس - يأس - ساق) وزنها واحد . ولذا يشتبه بعضها ببعض ، فيهمزونها جميعاً ، مع أن الواجب التفريق بين ما يستحق الهمز وما لا يستحقه - والعرب تقول : حلأت السويق - والأصل حليت - تشبيها بـ (حلأت الإنسان عن المال والإبل)[2] .

والواقع أن الأمر ليس كما تصوروا ، وأن العربي لم يكن غافلاً إلى حد أن تختلط عليه الكلمات بعضها ببعض فلا يميز بين ما يصح همزه وما لا يصح .

وقد يفسر عالم اللغة الهمز بعيداً عن الاتجاه الصحيح كقراءة أبي جعفر وخالد بن إلياس وأبي عمرو - في رواية - ﴿ وربأت ﴾ (٥) « الحج »[3] - بالهمزة -[4] .

---

(١) ابن الجزري : النشر ٢ / ٢٩٩ عند تخريجه لقراءة (أفئيدة) .

(٢) بمعنى طرد ، أبو زرعة حجة القراءات ص ٤٧٠ .

(٣) الآية ٣٩ من فصلت .

(٤) أبو حيان : البحر ٦ / ٣٥٣ .

قال ابن جنى : « المسموع فى هذا المعنى (ربت) لأنه من (ربا - يربو) إذا ذهب فى جهاته زائد ، وهذه حال الأرض إذا ربت .

وأما الهمزة فمن (ربأت القوم) إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظر لهم ، وتحفظهم . وهذا إنما فيه الشخوص والانتصاب وليس فيه دلالة على الوفور والانبساط ، إلا أنه يجوز أن يكون ذهب به إلى علو الأرض لما فيه من إفراط الربو ، فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة قد شاعت فى جميع جهاتها ، فلذلك همز ، وأخذه من ربأت القوم أى كنت طليعة لهم » [١] .

والتفسير العلمى الصحيح لذلك مبنى على أساس لهجى . فبعض الأعراب كانوا يهمزون ما لا يهمز مثل (شأبة ودأبة) و (جأن) فى شابة ودابة وجان ، ويقولون : (حلأت) فى (حليت) مبالغة فى الهمز [٢] ، بما يناسب بيئتهم التى يعيشون فيها ، ولم يكن هذا غفلة منهم أو التباساً لبعض الكلمات ببعض .

ونقل ابن الجزرى أن ذلك على لغة (لهجة) من همز الألف على حد قول أبى حية النميرى :

أحب المؤقدين إلى مؤسى

وقال أبو حيان ، بل همزها لغة فيها ، قال ابن الجزرى : وهذا هو الصحيح والله أعلم [٣] .

ونلاحظ - أيضاً - أن اللغويين القدامى يجعلون الهمز جائزاً فى صور من الكلمات وردت عن العرب مهموزة تارة ، وغير مهموزة تارة أخرى ، فعند قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى فى قوله تعالى :

---

(١) ابن جنى : المحتسب ٢ / ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) انظر : أبو حيان : البحر من كلام للزمخشرى عن هذه اللغة ١ / ١٨٥ .

(٣) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٣٣٨ .

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ (٥٢) ﴾ « سبأ » بهمز (التناؤش) ينقل أبو زرعة (أنهم يجوزون أن يكون من (التناوش) فهمزوا الواو لأن الواو مضمومة ، وكل واو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدلت منها همزة ، وإن شئت لم تبدل مثل : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) ﴾ « المرسلات » .

وابن جنى - كغيره من قدامى اللغويين - يعد ذلك لوناً من ألوان التصرف . فالكلمات واوية الفاء أو يائيتها تعتريها - فى نظره - تصرفات متنوعة ، إذ تأتى مفتوحة ومكسورة ومضمومة . وقد يؤدى الكسر والضم إلى قلبها همزة مثل إسادة . وأجوه ويعصر وأعصر ويسر وأسر [١] .

ويقولون فى مثل : (جون) : جؤن . وكذلك كل همزة مفتوحة قبلها ضمة ، فإنك إذا خففتها قلبتها واوا مثل لا يواخذكم الله ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ (٢٢٥) ﴾ « البقرة » والمولفة ﴿ وَالْمُؤَلَّفَةِ (٦٠) ﴾ « التوبة » .

وما سماه هؤلاء تصرفاً وتبدلاً يعد لوناً من ألوان اللهجات المتعددة ، فتحقيق الهمز لتميم ومن على شاكلتهم ، والتسهيل بالواو أو الياء للحجازيين ، وقد اتضح ذلك فى القراءات [٢] .

فعلى هذا ليس الأمران جائزين ، لأن كل فريق من العرب كان له اتجاه خاص ، لا يمكن أن يذهب إلي غيره ، أو يذهب إليه غيره ، اللهم إلا إذا كان هذا الجواز للمستعربين الذين ليسوا من أهل اللغة بالفطرة والسليقة أو كان ذلك على سبيل العدوى اللغوية بالتأثر والتأثير بين القبائل المختلفة نتيجة الاحتكاك والاتصال بينها .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٣ / ١٨٣ .

(٢) انظر كتابنا (أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ص ٥٢ ، ٥٣ .

٧ - الإدغام والفك :

وهذا أبو عثمان المازنى يصف قراءة نافع وأبى عمرو : ﴿ عاد لولى (٥٠) ﴾ « النجم » موصولة مدغمة بأنها سيئة .

قال أبو عثمان : أساء عندى أبو عمرو فى قراءته ، لأنه أدغم النون فى لام المعرفة واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة . والدليل على ذلك أنك تقول (الأحمر) فإذا طرحت حركة الهمزة على اللام تقول فى (الأحمر) : (الحمر) ولم تحذف ألف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة .

ثم يناقض المازنى نفسه فيروى عن أبى الحسن ما يفيد صحة هذا الإدغام لروايته عن العرب ، فبعضهم يقول : (هذالحمر قد جاء) وهذا يعنى أن الحركة أصبحت بعد النقل لازمة ، ودليل ذلك أنك حذفت ألف الوصل ولو لم تكن لازمة لما حذفت ، وهذا حجة لقراءة أبى عمرو .

وحصر الجواز فى قضية لزوم الحركة وعدم لزومها حصر يقوم على المعيارية فى نطاقها المحدود ، و على أساسه يخطئ أبو عثمان القراءة ، ويصف صاحبها بالإساءة ، ولكن كيف يمكن أن يقبل حكمان متناقضان فى آن واحد ؟

فمرة يزعم المازنى أن قراءة أبى عمرو خطأ إذا اعتبرت الحركة المنقولة غير لازمة .

ومرة أخرى يزعم أن قراءة أبى عمرو صحيحة إذا اعتبرت الحركة المنقولة لازمة .

فكيف يصح ذلك ؟ وكيف يؤخذ بمثل هذه الأحكام التى لا تنطلق من النصوص ولا ترجع إلى لهجات العرب وطرائقهم فى الاستعمال ؟

لقد نقل الزجاج أن للعرب طرائق عدة فى استعمال كلمة الأولى فأجودها وأعلاها : سكون اللام وإثبات الهمزة ، والثانية التى تليها فى الجودة : ضم اللام وطرح الهمزة ، فمن العرب من يقول : (لولى) فيطرح همزة الوصل لتحرك اللام ، وعليها وردت القراءة [١] .

والإدغام والفك - كما نعلم - يرجعان إلى طائفتين كبيرتين من العرب ، فالحجازيون يفضلون الفك ، والتميميون يميلون إلي الإدغام .

وكما يبرهن علم الأصوات الحديث نرى أن الفك يقتضى مجهودا عضليا أكبر فى تحقيق الأصوات . وفصل بعضها عن بعض . على حين تؤدى السرعة فى النطق إلى إدخال الأصوات وخلط بعضها ببعض ، وهذا يستدعى مجهوداً عضليا أقل من سابقة ، فيكون الإدغام أسرع للنطق عند سكان البادية .

ألا ترى بعد هذا التطواف فى المجال الصوتى أن التفسير اللهجى هو الذى يبعدنا عن تجريح القراءات المتواترة أو صحيحة السند ؟ وفى الوقت نفسه يريح عقولنا من الجرى وراء أمور نظرية بعيدة عن التفسير العلمى الصحيح ؟

(ب) مجال الإعراب ونسق الجمل :

ونعرض نماذج أخرى لتحكم النحاة فى مجال الإعراب ، ونسق الجمل ، ونبين كيف أعملوا العقل والمنطق فى توجيه القراءات ومحاولة إخضاعها للقياس اللغوى الذى استقر فى فكر النحاة ، وتبين - كذلك - الرأى الصائب فى التوجيه والتحليل وهو الاتجاه اللهجى .

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٦٨٧ .

فقد لاحظنا أن طائفة كبيرة من النحويين يتجهون إلى فرض القيود المعيارية على القراءات ، ومن ذلك ما لاحظناه فى كتب النحو من توجيهات لها فى مجال الإعراب وتركيب العبارة .

١ - إلزام المثنى الألف :

ومن أمثلة ذلك الآية الكريمة : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴿٦٣﴾ ﴾ « طه » فتذكر كتب النحو القراءات الواردة فيها ثم تعلل لها بمنطق عقلى مجرد .

يقول ابن هشام : اجتمع النصب بالياء والرفع بالألف فى قوله تعالى : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ .

وفى هذا الموضوع قراءات إحداها هذه وهى تشديد النون من (إن) و (هذين) بالياء وهى قراءة أبى عمرو ، وهى جارية على سنن العربية . [لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء لغة فصحاء العرب ، وأبو عمرو مستغن عن إقامة دليل على صحتها] .

والثانية : (إن) - بالتخفيف - و (هذان) بالألف فـ (إن) مخففة مهملة [وجعلها بعضهم بمعنى (ما) النافية واللام بمعنى (إلا) والتقارير : ما هذان إلا ساحران] (١) .

والثالثة : (إن) - بالتشديد - و (هذان) بالألف وهى مشكلة .

وقد أجيب عنها بأوجه أحدها : أن لغة (لهجة) بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وآخرين استعمال المثنى بالألف دائماً ، قال :

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابى التراب عقيم (٢)

---

(١) ولكن جعلها مخففة أولى لوجود اللام ، والقراءة بالألف مكتوبة هكذا فى الإمام (مصحف عثمان) .

(٢) حكى ذلك أبو عبيدة عن أبى الخطاب ، وهو رأس رؤساء الرواة . أبو زرعة : حجة القراءات ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

وقال آخر :

إن أباهـــا وأبـــا أبـــاهـــا قــد بلغــا في المجــد غــايتــاهــا

الثانى : أن (إن) بمعنى (نعم) [قال المبرد : إنه أحسن ما قيل في تخريج القراءة على حد قول الشاعر :

ويقلن شـــيب قـــد عـــلا ك وقـــد كـــبـــرت فـــقلت إنه

ومثلها في ذلك ما حكى أن رجلا سأل ابن الزبير شيئا فلم يعطه فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال : إن وراكبها ، أى نعم ولعن الله راكبها .

و (إن) التى بمعنى (نعم) لا تعمل شيئا كما أن (نعم) كذلك فهذان مبتدأ ، مرفوع بالألف و (ساحران) خبر لمبتدأ محذوف أى لهما ساحران ، والجملة خبر (هذان) ولا يكون (لساحران) خبر (هذان) لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ [وقيل : اللام للتوكيد دخلت في خبر المبتدأ كما تقول ، زيد لأخوك . قال الشاعر :

خـــالى لأنت ومن جـــرير خـــاله ينـل العـــلاء ويكرم الأخـــوالا

وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى . (أجل) فيكون المعنى - والله أعلم - فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ، قالوا : (أجل) تصديقاً من بعضهم لبعض ثم قالوا ، هذان لساحران] .

الثالث : أن الأصل : (إنه هذان لهما ساحران) [كما تقول ، إنه زيد منطلق ثم تقول : إن زيد منطلق] فالهاء ضمير الشأن ، وما بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع رفع على أنها خبر (إن) ثم حذف المبتدأ وهو كثير ، وحذف ضمير الشأن كما حذف من قوله ﷺ : (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) ومن قول بعض العرب : (إن بك زيد مأخوذ) .

الرابع : أنه لما ثنى (هذان) اجتمع ألفان ، ألف (هذا) وألف التثنية ، فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين ، فمن قدر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياء ، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها [وقال الفراء : إنهم زادوا في (هذان) النون للتثنية ، وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر كما فعلوا في (الذى) فقالوا (الذين) في الرفع والنصب والجر] .

الخامس : أنه لماكان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في التثنية ، فيكون المثنى كالمفرد ، لأنه فرع عنه (١) .

ولعنا ندرك أن النحويين لما وجدوا هذه القراءة تخالف - من حيث الظاهر - القواعد التى وضعوها حاولوا أن يسلكوها تحتها بتأويلات كثيرة فيها ضرب من التحكم .

ونلمح هذا التحكم واضحاً في جعل اسم (إن) ضمير شأن محذوفاً أو أن المحذوف ألف التثنية ، أو إجراء المثنى مجرى المفرد لأنه فرع عليه ، فكل تلك الأوجه اعتبارات لا تؤيدها ظواهر اللغة التى بنيت على أساس اجتماعى ، واقعى ، بعيد عن الفلسفة والخيال .

واعتبار (إن) بمعنى (نعم) لا يؤيده سياق الآية فضلاً عما ترتب عليه من فساد في الإعراب ، إذا اعتبر (لساحران) خبراً لمبتدأ محذوف ، والأصل (لهما ساحران) وقد ألجأهم إلى ذلك وجود لام الابتداء وهى لا تدخل في خبر المبتدأ ، وهذا دليل فساد هذا الوجه ، وخياليته التى لا تلائم السياق المعنوى أو التركيبى .

---

(١) ابن هشام : شذور الذهب بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط السعادة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ ص ٤٦ - ٤٩ وما بين الأقواس بنظر فيه : أبو زرعة : حجة القراءات : ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

ولو أنهم اكتفوا فى التخريج بالوجه الأول - وهو أنها لهجة لبعض العرب الذين يلزمون المثنى الألف - لأراحوا عقولنا من هذه المتاهات الفرضية المجردة .

ولقد جنى المنهج النحوى على بعض القراءات حين تأتى القراءة مخالفة لما جرى عليه النحاة من قواعد ، فإن أفلحوا فى ربطها بالتأويل والفلسفة فبها ونعمت ، وإلا فإنهم يرمونها بالضعف أو الرداءة أو اللحن .

فقد رمى بعضهم القراءة المذكورة ﴿إن هذان لساحران﴾ - بتشديد (إن) - باللحن [١] ، قال العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله - « قد زعم قوم أن قراءة من قرأ (إن هذان) لحن ، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه .

والمحققون من العلماء على أنه لا يتوجه إليها الطعن لأنها قراءة سبعية ثابتة فى النقل ، والقراءة سنة متبعة [٢] ثم إنه قد ثبتت صحة وجهها فى العربية بما ذهبنا إليه من توجيه لهجى مدعم بالشواهد والنصوص .

٢ - عطف الظاهر على المضمر المخفوض من غير إعادة الخافض :

ومما نحن بصدده فى اعتراض النحاة على ما يخالف قواعدهم من قراءات ما ورد من قراءة (الأرحام) - بالخفض - فى قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ①﴾ « النساء » قرأها حمزة - أحد السبعة - وغيره كقتادة والأعمش وابن عباس والحسن .

---

(١) سيبويه : الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون : ٢/ ١٠٧ ، ٣١٧ ، ٤/ ١٩٦ ، ١٩٧ . ٣٣٨ ، وابن هشام : شرح شذور الذهب ص ٥٠ .

(٢) ابن هشام : شرح شذور الذهب ص ٥٠ ، ٥١ .

وقد وصف البصريون هذه القراءة بأنها لحن لا تحل القراءة به [١] ، هكذا قال رؤساؤهم - كما ينقل القرطبي [٢] - وقد نقل الحريري عن المبرد قوله : « لو أني صليت خلف إمام فقرأبها لقطعت صلاتي » [٣] أو كما ينقل القرطبي : (لو صليت خلف إمام يقرأ (والأرحام) لأخذت نعلي ، ومضيت) [٤] .

وإنما اعتبر البصريون هذه القراءة لحناً لمخالفتها للقاعدة المشهورة وهي أنه : لا يجوز العطف على المضمر المخفوض إلا بإعادة الخافض [٥] وهو الكثير الشائع كقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ (١١) ﴾ « فصلت » وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) ﴾ « غافر » .

ولا يجوز مخالفة ذلك إلا في الشعر كما قال الشاعر :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب [٦]

وبناء على خروج القراءة على القاعدة التي وضعوها كان الحكم عليها عنيفاً كما رأيت وهو رميها بأنها لحن .

ونقل الزجاج إجماع النحويين على قبح النسق باسم ظاهر على اسم مضمر إلا بإظهار الخافض ، وقال المازني : الثاني في العطف شريك للأول ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثاني وإلا لم

---

(١) الأشموني : ٢ / ١٥٥ .

(٢) القرطبي : ط الشعب ص ١٥٧٢ .

(٣) الحريري : درة الغواص ٨٣ .

(٤) القرطبي ص ١٥٧٣ .

(٥) يقول أبو علي الفارسي : إن عطف الظاهر على المضمر المخفوض بالباء ضعيف في القياس لأن الضمير قد صار عوضاً مما كان به متصلاً بالاسم من التنوين فقبح أن يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين. أبو زرعة : حجة القراءات . التعليق ص ١٨٨ .

(٦) سيبويه : الكتاب ٢ / ٣٨١ ، ٣٨٢ وأبو زرعة : حجة القراءات ص ١٨٨ .

يصلح أن يكون الثانى شريكاً له ، فكما لا تقول : مررت بزيد وك فكذلك لا تقول : مررت بك وزيد [١] .

بل أكثر من ذلك اعتبر الزجاج هذه القراءة خطأ عظيماً فى أصول الدين ، فقد رتب على فساد الإعراب الذى لا تسنده القاعدة فساد المعنى ، فالمعنى على العطف - كما يرى الزجاج - يؤدى إلى جواز القسم بالله وبالرحم مع أن القسم لا يجوز إلا بالله كما فى الحديث (لا تحلفوا بآبائكم) .

ولكن هذا التحيف على القراءة غير مسلم . إذ إن بعض الشواهد العربية جاءت مماثلة لها ، وبعضها شعرى ذكره سيبويه وغيره ، وبعضها أيضاً من النثر ، ومنه آيات من القرآن الكريم لا يفهم معناها إلا على هذا العطف كقوله تعالى : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٢١٧) ﴾ « البقرة » فالمسجد الحرام - بالجر - معطوف على الضمير المجرور بالباء فى (به) دون إعادة الجار.

ومن هنا رأينا فريقا من النحاة - وهم الكوفيون ويونس ، والأخفش - يقرر جواز العطف على الضمير المجرور وإن لم يتكرر الجار مع المعطوف ، ويتخذ من تلك الشواهد أدلة على صحته وجرى على هذا الرأى ابن مالك حين قال :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا

وليس عندى لازماً إذ قد أتى فى النظم والنثر الصحيح مثبتا [٢]

وعطف (الأرحام) على الضمير لا يفسد المعنى - كما توهم

---

(١) انظر المصدر السابق لأبى زرعة .

(٢) الأشمونى ٣ / ١١٤ ، ١١٥ .

والمنكر الذى لا يجوز من النسق هو أن يعطف الظاهر على المضمر الذى لم يجر له ذكر .

الزجاج - فليس المراد الحلف في هذا المقام بل المراد معان أخرى ذكرها القرطبي[١] .

وبعض المعتدلين من النحاة واللغويين يرون تخريج القراءة تخريجاً يتفق والمذهبين البصري والكوفي ، فالأرحام مجرورة بحرف جر محذوف لدلالة المتقدم عليه ، وقد ذكر ابن جني ذلك ، قال : « وعلى نحو من هذا تتوجه - عندنا - قراءة حمزة - وهي قوله سبحانه : ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس[٢] بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف ، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس : إنني لم أحمل (الأرحام) على العطف على المجرور المضمر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : وبالأرحام ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها ، كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك : (بمن تمرر أمرر) و (على من تنزل أنزل) ولم تقل : أمرر به ولا أنزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما ، وإذا جاز للفرزدق أن يحذف حرف الجر لدلالة ما قبله عليه مع مخالفته له في الحكم في قوله :

وإني من قوم بهم يتقى العدا ورأب الثأى والجانب المتخوف

أراد : وبهم رأب الثأى فحذف الباء في هذا الموضع لتقدمها في قوله : بهم يتقي العدا وإن كانت حالاهما مختلفين ، ونظائر هذا كثيرة - كان حذف الباء من قوله : (والأرحام) لمشابهتها الباء في (به) موضعاً وحكماً أجدر »[٣] .

---

(١) القرطبي ص ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ .

(٢) يقصد المبرد .

(٣) ابن جني : الخصائص ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

والقول الفصل الذى يوافق معتقدنا فى الرد على من رمى هذه القراءة باللحن هو ما أشار إليه الإمام القشيرى حين قال : « هذا الكلام مردود عن أئمة الدين ، لأن القراءات التى قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبى ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة ، وإذا ثبت شئ عن النبى ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبى ﷺ ، واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محظور . ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن العربية تتلقى من النبى ﷺ ، ولا يشك أحد فى فصاحته »[١] وكل ما يمكن أن يقال - حينذاك - أن بعض الظواهر اللهجية أكثر من بعض ، فهذه الظاهرة شائعة وتلك قليلة الشيوع فى النصوص التى نقلها لنا رواة اللغة :

٣ - تسكين حركة الإعراب :

ومن ذلك - أيضاً - إسكان راء (بارئكم) فى قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ (٥٤) ﴾ « البقرة » وقوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ (٥٤) ﴾ « البقرة » وتسكين راء الأفعال المعربة المرفوعة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً (٦٧) ﴾ « البقرة » و ﴿ وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ « آل عمران » ، ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾ « الأنعام » ، ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ (١٥٧) ﴾ « الأعراف » . ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا (٣٢) ﴾ « الطور .

فقد روى - فى كل ذلك - تسكين الراء عن أبى عمرو[٢] .

---

(١) القرطبى : ص ١٥٧٤ .

(٢) انظر : ابن الجزرى : النشر ٢ / ٢١٥ ، ٢٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ والبنا الدمياطى والإتحاف ٢١٥ ، ٢٣١ وأبو زرعة : حجة القراءات ص ٩٦ ، ٢١٤ بتصرف .

ولم يعترف سيبويه بصحة الرواية بالإسكان ، وقال : إن أبا عمرو قرأ بالاختلاس ولكن الراوى لم يضبط عن أبى عمرو لأنه اختلس الحركة فظن أنه سكن .

وقد جعل سيبويه التسكين خاصاً بالشعر ، كقول امريء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمــــا من الله ولا واغل

وطعن المبرد فى الإسكان ومنعه ، وزعم أن قراءة أبى عمرو بذلك لحن .

والواقع أن الطعن على الراوى بأنه لم يضبط غير مقبول « فإن من يزعم أن أئمة القراءة ينقلون حروف القرآن من غير تحقيق ولا بصيرة ، ولا توقيف فقد ظن بهم ما هم منه مبرءون ، وعنه منزهون » .

وهذا يبطل قول من زعم أن الراوى عن أبى عمرو أساء السمع ، إذ كان أبو عمرو يختلس الحركة فى (بارئكم) ونحوها فتوهمه الإسكان الصحيح فحكاه عنه ، وكيف يقبل أنه يسيئ السمع فى موضع ولا يسيئه فى موضع آخر مثله ؟

وقد قرأ آخرون بإسكان لام الفعل فى هذه الأسماء والأفعال المذكورة وغيرها نحو ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ (١٢٩) ﴾ « البقرة » ﴿ نَحْشُرُهُمْ (٢٢) ﴾ « الأنعام » وأحدهم محمد بن عبد الرحمن بن محيصن أحد أئمة القراءة بمكة ، وقرأ مسلم بن محارب (وبعولتهن أحق) بإسكان التاء ، وقرأ غيره (ورسلنا) بإسكان اللام [١] ولا يسوغ وصف هذه القراءات باللحن أيضاً .

---

(١) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٢١٣ ، ٢١٤ بتصرف .

« فالإسكان عربى جيد وقد نقله سيبويه فى بيت امرئ القيس ونحوه ، والعرب تفعل ذلك لكراهة توالى الحركات فى الكلمة الواحدة [١] وفى الكلمتين ، تخفيفاً ، وقد أكثر الأستاذ أبو على الفارسى فى الاستشهاد من كلام العرب على الإسكان ثم قال : فإذا ساغ ما ذكر فى هذه القراءة من التأويل لم يسغ أن يقال : لحن [٢] .

وهذه قراءات سبعية فكيف يجوز الطعن فيها ؟

ويقول ابن الجزرى : « إن الطعن مردود على قائله ، ووجهها فى العربية ظاهر غير منكر ، وهو التخفيف ، وإجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة نحو (إبل وعضد وعنق) على أنهم نقلوا أن لغة تميم تسكن المرفوع من (يعلمهم) ونحوه ، وعزاه الفراء إلى تميم وأسد » [٣] .

وإجماع الأئمة على جواز تسكين حركة الإعراب فى الإدغام دليل على جوازه هنا وأنشدوا أيضاً :

رحت وفى رجليك ما فيهما   وقد بدا هنك من المئزر

وقال جرير :

سيروا بنى العم فالأهواز موعدكم   أو نهر تيرى فما تعرفكم العرب

وهذا يكون عند من يميل إلى التخفيف من العرب ، فيسكن لكثرة الحركات ، وهم أرباب البادية كتميم وأسد ، أما بقية العرب من أهل المدن فيفضلون توفية كل حرف حقه من الإعراب ونطق الحركات كالحجازيين ، وجاءت عليها قراءة الباقين ، (بارئكم - ويأمركم) بالإتباع .

---

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٣٥٢ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ٢١٣ ، ٢١٤ .

٤ - الفصل بين المتضايفين :

ولنقف أمام قراءة أخرى هى قراءة ابن عامر وأهل الشام قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴿١٣٧﴾ ﴾ « الأنعام » ببناء (زين) للمجهول و (قتل) بالرفع و (أولادهم) بالنصب و (شركائهم) بالخفض فيما حكى أبو عبيد [١].

وللنحويين فى هذه القراءة مواقف متعارضة من حيث الإنكار والتأييد .

فالمنكرون هم البصريون ومن شايعهم ممن لا يجيز الفصل بين المتضايفين ، إلا فى ضرورة الشعر ، وفى حالات خاصة ، فقد اعتبروا تلك القراءة من قبيل اللحن [٢] .

وقال أبو على الفارسى : هذا قبيح الاستعمال ولو عدل عنها (يقصد قارئها ابن عامر) كان أولى :

وقال الفراء عن ذلك ونحوه إنه ليس بشئ [٣] .

وقال الزمخشرى : « وأما قراءة ابن عامر فشئ لو كان فى مكان الضرورات - وهو الشعر - لكان سمجا مردوداً كما سمج ورد .

زج القلوص أبى مزادة

---

(١) القرطبى ص ٢٥٢٨ ، والأشمونى ٢ / ٢٧٦ ، والبنا الدمياطى : الإتحاف ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الفراء : معانى القرآن ١ / ٣٥٨ ، ٢ / ٨١ ، ٨٢ .

فكيف به فى الكلام المنثور ؟ فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟ والذى حمل ابن عامر على ذلك أنه رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء) لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم لوجد فى ذلك مندوحة »[١] .

وقال أحمد بن حمدان النحوى : « قراءة ابن عامر لا تجوز فى العربية وهى زلة عالم ، وإذا زل العالم لم يجز اتباعه ، ورد قوله إلى الإجماع وكذلك يجب أن يرد من زل منهم أو سها إلى الإجماع فهو أولى من الإصرار على غير الصواب » .

وكأنهم بذلك يتصورون أن القراءة المذكورة ليست منقولة عن طريق التواتر عن النبى ﷺ بل هى اجتهاد ورأى شخصى لابن عامر ، ولذلك كانوا يريدون أن يتخلى عنها ، ووصفها الفراء والزمخشرى وصفاً سيئاً واعتبرها ابن حمدان زلة عالم .

وقد وصف مكى هذه القراءة بالضعف فقال : وهذه القراءة فيها ضعف للتفريق بين المضاف والمضاف إليه ، لأنه إنما يجوز مثل هذا التفريق فى الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها ، وهو فى المفعول به فى الشعر بعيد . فإجازته فى القراءة أبعد[٢] .

ولكن هذا التصور المبنى على الطعن فى هذه القراءة غير سديد لعدة أسباب .

أولها : أن الفصل بين المتضايفين قد جاء فى السعة فى مواطن عديدة منها أن يكون المضاف مصدراً ، والمضاف إليه فاعله والأصل مفعوله كالقراءة التى بين أيدينا ، ولها شواهد من الشعر كثيرة مثل .

---

(١) الزمخشرى : الكشاف ٢ / ٧٠ ، ٥٦٦ وابن الجزرى : النشر ٢ / ٢٦٣ وأبو حيان : البحر ٤ / ٢٣٠ .

(٢) القرطبى ص ٢٥٢٨ .

فسقناهم سوق البغاث الأجادل

فـزجـجـتـهـا بمزجـة   زج القلوص أبى مـزادة

فداسهم دوس الحصيد الدائس

وغير ذلك كثير : فهذه الظاهرة اللغوية جائزة عربية (١) .

ثانيـهـا : أن القـراءات ليـسـت اجـتـهـاداً ورأياً بل هى منـقـولة مـأثورة ، وقـد قـال ابن الجـزرى : نعـوذ بالله من قـراءة القـرآن بالرأى والتشـهى ، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير نقل ؟

ويقول أبو حيـان فى الرد على الزمخشرى : « وأعجب لعجمى ضعـيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيـرها فى لسـان العـرب فى غيـر ما بيت ، وأعجب لسـوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغـربا ، وقـد اعـتـمـد المسلمـون على نقلهم لضـبـطهم ومـعـرفـتـهم وديانتهم (٢) .

وقال الإمام القشيرى - بصدد الدفاع عن هذه القراءة التى معنا - «وقال قوم : هذا قبـيـح ، وهذا محال لأنه إذا ثبت بالتواتر عن النبى ﷺ فهو الفصيح لا القبيح ، وقد ورد فى كلام العرب وفى مصحف عثمان (شركائهم) - بالياء - وهذا يدل على قراءة ابن عامر » (٣) .

وقد أنحى صاحب الإتحاف باللائمة على من خطأ هذه القراءة ، وقال : « هى متواترة صحيحة ، وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سنداً ، وأقدمهم هجرة ، من كبـار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان ، وأبى الدرداء ، ومعاوية ، وفضالة بن عبيد ، وهو

---

(١) سيبويه : ط بولاق ١ / ٩٠ - ٩٢ والرضى : شرح الكافية ١ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) أبو حيان : البحر ٤ / ٢٣٠ .

(٣) القرطبى ٢٥٢٩ .

مع ذلك عربى صريح من صميم العرب ، وكلامه حجة ، وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ، فكيف وقد قرأ بما تلقى ، وتلقن وسمع ، ورأى ، إذ هي كذلك في المصحف الشامي ، وقد قال بعض الحفاظ : إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة ، قال : ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئاً على ابن عامر من قراءته ، ولا طعن فيها » .

ثم فند مزاعم النحاة في منع الفصل بين المتضايفين قائلا : « إنه لا يعول على هذا الكلام ، وإن صدر عن أئمة أكابر لأنه طعن في المتواتر » وبين أن غيرهم قد أجاز ذلك ، وأيده بالمأثور من لسان العرب نثرا ونظما .

ونعي على هؤلاء أنهم قد يعتمدون الشاهد الواحد عن الشخص الواحد ولو كان أمة أو راعيا لا يوثق به ، فكيف بهذه القراءة المنقولة المأثورة ؟ يقول :

« ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو أمة أو راعيا أنه استعمله في النثر لرجع إليه ، فكيف وفيمن أثبت تابعي عن الصحابة عمن لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد بطل قولهم وثبتت قراءته سالمة من المعارض ولله الحمد » (١) .

وقد امتدح ابن الجزرى ابن عامر كثيراً ونقل رأى ابن مالك في إجازة القراءة ، وإجازته الفصل بين المتضايفين مستدلاً بهذه القراءة قائلاً في الكافية الشافية :

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر (٢)

---

(١) البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

أما صاحب الشاطبية فقد ذكر أبياتاً هى :

ومفعوله بين المضافين فاصل ولم يلف غير الظرف فى الشعر فاصلا

كلله در اليوم من لامها فلا تلم من مليمى النحو إلا مجهلا[١]

وهو فى ذلك يدعو القارئ إلى أن يلتزم التريث فلا يلوم المضعف لهذه القراءة ، وإنما يلوم من يجهل ابن عامر لأن هذا الإمام لم يقرأ بالتشهى ، بل بالنقل الصحيح وهو - مع ذلك - عربى صميم ، من صميم العرب ، وضبطه صحيح وكلامه حجة .

وقد أردت بذلك العرض للنماذج السابقة من القراءات . وتخريجاتها اللغوية والنحوية وتعليقنا عليها أن أوضح أن تحكيم القوانين اللغوية دفع المحتجين للقراءات إلى التماس الوجوه العقلية الصرفة التى لا ترتبط بنظائرها إلا ارتباطاً ظاهرياً ، ولذا لا ترتاح النفس إلى مثل هذه الألوان من الاحتجاج .

ولو أنهم أرجعوا هذه القراءات إلى أصلها فى اللهجات العربية وربطها ، بالبيئة التى تنتمى إليها بدوية أو حضرية لكان ذلك أنسب للمقام وأدعى إلى الاطمئنان النفسى ، وأقرب إلى البرهنة اللغوية الموضوعية .

فاللجوء إلى قانون القياس فى التعليل للقراءات غير سديد ، إذ إن الظواهر اللغوية ليست مطردة ، وفى كل مجال نجد عناصر تخالف العناصر الكثيرة الشائعة ، وهذا لا يضر اللغة ، ولا ينال منها ، ولا يقتضى تأويلها بما يدخلها تحت الشائع الكثير لأن لها طبيعتها المميزة التى تجعلها ذات طابع استقلالى خاص .

وبهذا يندفع التهجم على القراءات القرآنية ، وتثبت صحتها

---

(١) الضياع : شرح الشاطبية ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

فإذا ثبت نقلها عن النبى ﷺ وصحابته والتابعين فإن ذلك - وحده - يكفى فى إثباتها ، وصحة الأخذ بها ونحن نرى أنها ترجع إلى اللهجات العربية ، إذ إن القارئين لها عرب يحتج بكلامهم ، فلا يجوز ردها .

وقد وجدنا أن ابن جنى هذا العالم اللغوى الكبير يذكرنا بأن كل اللهجات الواردة عن العرب حجة ، وذلك فى باب عقده بهذا العنوان فى كتابه (الخصائص) ويقول فيه - عقب ذكره اختلاف الحجازيين والتميميين فى ظاهرة لغوية - (ليس لك أن ترد إحدى اللغتين [١] بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنساً بها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا ، أو لا ترى إلى قول النبى ﷺ : « نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف » هذا حكم اللغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالمتراسلتين ، فأما أن تقل إحداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا ، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياساً ، إلا أن إنساناً لو استعمل القليل لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه) [٢] .

وبناء على ذلك وجدنا ابن جنى يحتج للقراءات - فى كتابه المحتسب - معتمداً على الأثر والسماع لا على قواعد النحو ومبدأ القياس [٣] .

---

(١) يطلق علماؤنا القدامى (اللغة) ويقصدون بها (اللهجة) .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢ / ١٠ - ١٢ بتصرف .

(٣) ابن جنى : المحتسب ١ ,٣٢ ، ٣٣ ، ٢٩٢ وغيرها .

ونخلص - بعد هذا التطواف - بعدة نتائج تمثل الرأى الذى ننتمى إليه وهى :

١ - متى ثبتت صحة الرواية للقراءة فهى مقبولة لا يجوز الطعن فيها .

٢ - إن محاولة إخضاع القراءات لأصول النحو التى رسمها علماؤنا لا تعطي التفسير الصحيح للقراءات ، وقد تبين أن التحكم فى القراءات بهذا المنهج القياسى لم يكن عاماً عند النحاة جميعاً .

٣ - الأولى تفسير هذه القراءات على أساس لهجى ، من حيث المكان والزمان ، والاجتماع والثقافة ، والحضارة ، فهى مظهر من مظاهر اللهجات التى كانت منتشرة فى الجزيرة ، وذاب بعضها فى اللغة العامة ، وبعضها ظل محتفظا بطابعه ، واضحاً فيما بقى من اللهجات التى تمثلها لنا هذه القراءات وما بقى من أشعار العرب وأحاديثهم التى وصلتنا فى كتب اللغة والنحو .

٤ - إن علم الأصوات الحديث يستطيع وضع التفسير الملائم لهذه اللهجات التى تمثلها القراءات ، وقد كشف عن كثير من الجوانب التى توضح آثار البيئة وعوامل الزمن فيها .

الفصل السادس

الإدغام والفك بين القراء واللغويين

الإدغام فى القراءات وتفسيره من الوجهة اللغوية :

الإدغام [١] ظاهرة لغوية واقعة فى كلام العرب ، قال أبو عمرو بن العلاء الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها [٢] .

كما أن الأصل أن يأتى الحرفان دون إدغام وهو ما يسمى بالفك وهو الأصل [٣] أو اللغة القديمة [٤] .

وقد وضح كل من ذلك فى القراءات وتناوله تفصيلا علماء اللغة والقراءات .

تعريف الإدغام :

فى اللغة : الإدخال . يقال أدغمت اللجام فى فم الدابة أى أدخلته فيه ، قال ساعد بن حؤية :

بمقربات بأيديهم أعنتها   خوص إذا فزعوا أدغمن باللحم

ويستعمل - فى اللغة أيضا - بمعنى التغطية ، يقال : دغم الغيث الأرض يدغمها : غشيها وغطاها ، وأدغمت الشئ ، غطيته [٥] .

---

(١) على وزن (إفعال) مصدر (أدغم) - بسكون الدال قبلها همزة القطع - وهذا مذهب الكوفيين وعليه علماء التجويد وينطق بتشديد الدال (افتعال) من ادغم وهذا مذهب البصريين ، شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٢) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٧٥ .

(٣) الحجة لابن خالويه ص ١٧١ .

(٤) الكتاب ٤ / ٤٧٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٨ / ٧٨ وشرح الشافية للرضى ص ٣٣١ والكشف لمكى بن أبى طالب ١ / ١٤٣ .

وهو فى اصطلاح القراء وعلماء اللغة له تعريفات تختلف فى اللفظ وتتحد فى المعنى .

يعرفه بعض أهل الأداء بأنه : إدخال الحرف فى الحرف ودفنه فيه حتى لا يقع بينهما فصل بوقف ولا بحركة ولكنك تعمل العضو الناطق بهما إعمالا واحداً فيكون الحاصل منهما فى اللفظ حرفا واحدا مشددا [١] .

وذكر بعض علماء القراءات أنه اللفظ بحرفين حرفا كالتالى مشددا [٢] ويقول بعضهم : الإدغام : أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك فتصيرهما حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة وهو بوزن حرفين [٣] .

وقال مكى بن أبى طالب : الإدغام معناه : إدخال شئ فى شئ ، فمعنى أدغمت الحرف فى الحرف : أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظة الثانى فصارا مثلين والأول ساكن [٤] .

وهذا الذى قال به علماء الأداء نقل عن اللغويين .

فينسب إلى الخليل أنه عرف الإدغام بأنه : إدخال حرف فى حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة [٥] .

وقال ابن السراج : الإدغام هو : وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة

---

(١) الدر النثير الورقة ٩ .

(٢) النشر ١ / ٢٧٤ وإبراز المعانى ص ٥٩ .

(٣) سراج القارئ المبتدئ ص ٤٤ .

(٤) الكشف ١ / ١٤٣ والتبصرة ص ٣٥ .

(٥) تهذيب اللغة نسبة إلى الليث ٨ / ٧٨ وانظر القول المفيد فى علم التجويد ص ١٠٤ .

ويشتد الحرف ، ألا ترى أن كل حرف شديد يقوم فى العروض والوزن مقام حرفين الأول ساكن [١] .

وعرفه الرضى بقوله : وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك بلا سكتة على الأول ، بحيث يعتمد بهما على المخرج اعتمادة واحدة قوية [٢] .

وقال ابن جنى : إنما يجب أن يدغم الشئ فى مثله حتى ينبو اللسان عنهما نبوة واحدة فإذا اختلف الحرفان لم يجز الإدغام [٣] وفى الإدغام يسوى بين لفظى الحرفين [٤] وفى الإدغام يتماثل الحرفان [٥] .

وبهذا ندرك صلة التعريفات الاصطلاحية بعضها ببعض وصلتها بالمعنى اللغوى العام وهو الإدخال والتغطية .

الهدف من الإدغام : يعد الإدغام مظهرا من مظاهر تخفيف النطق فالفك يقتضى تكرار النطق بالحرف فينطق اللسان بالحرف الأول ثم يعود إلى النطق بالحرف المماثل أو المجانس له مرة أخرى وهذا أمر مستثقل (لصعوبة اللفظ بالمكرر على اللسان لأنه بمنزلة من يمشى وهو مقيد يرفع رجله مرتين أو ثلاثا ويردها فى كل مرة إلى الموضع الذى رفعها منه) [٦] .

وقد أشار سيبويه إلى أن مما (يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم فى موضع واحد ثم يعودوا إليه فلما صعب عليهم أن

---

(١) الأصول فى النحو ٣ / ٤٠٥ .

(٢) انظر : شرح الشافية للرضى ص ٣٣٩ ، وانظر كتب النحو الأخرى مثل الأشمونى بحاشية الصبان ٤ / ٣٤٥ ، والخضرى على ابن عقيل ٢ / ٢١٢ .

(٣) المنصف ٢ / ٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٢٥٣ .

(٥) سر الصناعة ١ / ٦٣ .

(٦) النشر ١ / ٢١٧ بتصرف قليل وشرح المفصل ١٠ / ١٣١ والسبعة لابن مجاهد ص ١٢٥

يداركوا فى موضع واحد ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا لتكون رفعة واحدة) [١] .

فهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال إذ على اللسان كلفة شديدة فى الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه ولهذا لم يصوغوا من الأسماء ولا الأفعال رباعيا أو خماسيا فيه حرفان أصليان متماثلان منفصلان لثقل البنائين وثقل التقاء المثلين ولاسيما مع أصالتهما فلا ترى رباعيا من الأسماء والأفعال ولا خماسيا من الأسماء وفيه حرفان كذلك إلا وأحدهما زائد إما للإلحاق أو لغيره [٢] .

ويفسر هذا التخفيف الحادث بالإدغام بأن الحرفين حال الفك يطول زمن النطق بهما أكثر من زمن النطق بالحرف المدغم فى صاحبه ، فالثانى أيسر وأقل زمنا وإن كان النطق بالمدغم أطول من النطق بالحرف الواحد غير المدغم [٣] .

ويقول المحدثون : إن لكل صوت حركتين فى أعضاء النطق إحداهما أمامية والثانية خلفية فالأولى خاصة بوضع أعضاء النطق الوضع الملائم لحدوث الصوت والثانية تعطى وضع الراحة لهذه الأعضاء ، والإدغام يوفر الحركة الثانية من الصوت الأول إذا أدغم فى الثانى المماثل أو المقارب له فتصدر حال الإدغام ثلاث حركات - للصوتين - بدلا من أربع إذ يأتى وضع الراحة - الحركة الخلفية - مرة واحدة بدلا من مرتين [٤] .

وبهذه المناسبة نعرض لما قيل : هل المدغم يصير حرفا واحداً أو يظل حرفين ؟

---

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧ بشئ من التصرف .

(٢) شرح الرضى للشافية ص ٣٤١ .

(٣) شرح الشافية للجاربردى ١ / ٢٣٧ .

4 - General phonetics by Heffner. P : 176.

كل النصوص السابقة التى عرضناها تذكر أن الحرفين - حال الإدغام - يصيران حرافا واحدا أو كالحرف الواحد وأن اللسان يرتفع بهما ارتفاعة واحدة .

ويصرح بعض القدماء بأن (الحرف المشدد أبدا حرفان من جنس واحد الأول منهما ساكن) ، (وأن المدغم أبداً حرفان الأول منها ساكن والثانى متحرك)[١] .

ومع ذلك كلهم يعتقدون أن النطق يخف بالإدغام حتى كأن الحرفين حرف واحد وسلك بذلك الرضى مسلكا يقرب فيه الحرفين ويبالغ فى صلة أحدهما بالآخر إلى حد أن يجعلهما - فى نظره - حرفا واحدا لقوة الصلة الصوتية حال النطق بهما مدغمين فى مكان خروجهما يقول : (والذى أرى أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين . بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوى) ، ثم يقول : (يجوز تسكين المدغم اتفاقا إما لأنه يجوز فى الوقف الجمع بين الساكنين - عند من قال هما حرفان - وإما لأنه حرف واحد - على ما اخترنا - وإن كان كالحرفين الساكن أولهما من حيث الاعتماد التام)[٢] .

وإذا كان غير الرضى حكموا بأن الحرفين المدغمين يصيران كالحرف الواحد حال النطق ، فإن الرضى حكم بأن الحرف المدغم حرف واحد كالحرفين الساكن أولهما ، وهذا يعنى أن للرضى موقفاً يتميز بالتقريب الشديد بين الحرفين ومزجهما مزجا تاما .

---

(١) شرح المفصل ١٠ / ٩٩ .

(٢) شرح الشافية للرضى ص ٣٣٩

ونقل عن الخليل قوله : « إذا أردت مد الصوت ضعفت الحرف فقلت صل »[(١)] وفى اقشعر واسبكر يقول : هما راءان أدغمت واحدة فى الأخرى والتشديد علامة الإدغام[(٢)] .

وربما يفهم من كلام الخليل والرضى زيادة زمن النطق بالحرف الواحد لإدغام صاحبه فيه وهذا أمر لا يختلف عن نظرة القدماء الآخرين إلى حادثة الإدغام وإطالتها نطق الحرف ومزج الحرفين بحيث لا يفرق بين المخفف والمشدد إلا الزيادة الزمنية فى مدة النطق وأن التشديد مد للحروف الصامتة نظير المد للحروف الصائتة[(٣)] .

ورأى بعض المحدثين ذلك فقال : (من الخطأ أن يقال : إنه يوجد ساكنان فى أتا (atta) وساكن واحد فى أتا (ata) فالعناصر المحصورة بين الحركتين فى كلتا المجموعتين واحدة : عنصر انحباسى يتبعه عنصر انفجارى ولكن بينما نجد العنصر الانحباسى فى (ata) يتبعه العنصر الانفجارى مباشرة نجده فى (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق)[(٤)] .

وهذا التصور فى رأيهم - يرجع إلى طبيعة العملية النطقية ووحدتها فهو صامت طويل يشبه الحركة الطويلة التى هى ضعف الحركة القصيرة[(٥)] .

(فالحروف المشددة وبخاصة المتمادة - الرخوة - بينها - لها خصائص أهمها امتداد نطقها أكثر من امتداد نطق الحروف غير المشددة)[(٦)] .

---

(١) العين ١ / ١٣ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) التطور النحوى لبرجستراسر ص ٥٣ وانظر أسس علم اللغة لماريو باى ص ١٤٦ .

(٤) اللغة لفندريس ص ٤٩ .

(٥) المنهج الصوتى للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٢٠٧ .

(٦) التطور النحوى ص ٥٣ .

ونحن لا ننكر - كما ذكرنا - أن الحرف المدغم أطول زمنا من الحرف غير المدغم وذلك ما يعترف به القدماء - أيضا - لكننا نرجح الرأى القائل بأن المشدد حرفان لا حرف واحد على الحقيقة امتد به الصوت والنطق ، لأن التقسيم المقطعى يرجح أنهما حرفان لا حرف واحد فى مثل شد ومد وقد أشار بعض علماء اللغة والقراءات إلى ذلك حين ذكروا أن المشدد يقوم مقام حرفين فى الوزن واللفظ (١) وأيد ذلك بعض المحدثين بأن المضعف حرفان يستغنى به عن كتابة الحرف مكررا (٢) ويقسم إلى صامتين من الناحية الصرفية (٣) .

ويقول كانتينو : إن الحروف المضعفة يمتد النطق بها فيضاهى مداها مدى حرفين بسيطين تقريبا (٤) .

شروط الإدغام

هناك شروط يلزم توافرها لصحة الإدغام هي :

١ - وجود صوتين متجاورين خطا ولفظا ، أو خطا لا لفظا وهما متماثلان أو متجانسان أو متقاربان ، مثل (إنه هو) فتدغم النون فى النون والهاء فى الهاء للتجاور ، وفى نحو (أنا نذير) لا تدغم النون من (أنا) فى النون بعدها لفصل الألف بين النونين .

٢ - ألا يكون التضعيف للإلحاق - فى الاسم - كقردد أو فى الفعل كجلبب لأن الغرض بالإلحاق الوزن فلا يكسر ذلك الوزن بالإدغام .

---

(١) التمهيد فى علم التجويد الورقة ٣٧ والرعاية لمكى ص ٢١٩ وسراج القارئ المبتدئ ص ٤٤ والأصول فى النحو ٣ / ٤٠٥ .

(٢) نحو وعى لغوى للدكتور مازن المبارك ص ٦٤ .

(٣) المنهج الصوتى للبنية العربية ص ٢٠٧ .

(٤) دروس فى علم أصوات العربية ص ٢٥ .

٣ - ألا يكون الحرف الأول تاء ضمير ، سواء كان متكلما أو مخاطبا نحو : (كنت ترابا - أفأنت تسمع - خلقت طينا) إذ لا يعرف - عند الإدغام - ضمير المتكلم من ضمير المخاطب ، والضمير على حرف واحد يجحف به الإدغام ، وما قبل الضمير ساكن، والشرط تحركه حتى لا يجتمع ساكنان حال الإدغام [١].

٤ - ألا يكون الحرف الأول مشددا وإلا امتنع الإدغام مثل ردد و (رب بما - مس سقر - فتم ميقات ربه - وهم بها) لأن المشدد بحرفين ، ولا يجتمع إدغامان فى مكان واحد ، وهذا لا يحدث فى اللغة ، فضلا عن عدم وقوعه فى القرآن الكريم .

٥ - ألا يكون الحرف الأول منونا مثل (غفور رحيم - سميع عليم - سارب بالنهار) لأن التنوين حاجز قوى بين الحرفين فيمتنع الإدغام .

٦ - ألا يكون الحرف الأول مدا مثل (قالوا وهم) و (فى يوم) فلابد من الإظهار ، لئلا يذهب المد بالإدغام .

٧ - ألا يكون أول المتجانسين أو المتقاربين حرف حلق مثل (فسبحه - فاصفح عنهم) لأن حروف الحلق تأبى الإدغام أو يقل فيها - فى أحوال خاصة - والبيان فى حروف الحلق أحسن من الإدغام .

٨ - ألا يكون أول المتجاورين هاء سكت مثل (ماليه هلك) ، فإنها لا تدغم لأن الوقف على الهاء منوى .

٩ - أن يتحرك ثانى المتجاورين (المدغم فيه) فإن سكن امتنع الإدغام مثل : « قال الملأ - فإن زللتم - أأقررتم » فالإدغام فى هذا ونحوه لا يجرى فى الأساليب العربية - كما نبه على ذلك علماء اللغة والتجويد - فضلا عن عدم وقوعه فى القرآن .

---

(١) التحرير السديد الورقة ١٨ .

١٠ - ألا يؤدى الإدغام إلى اللبس ، كإدغام النون الساكنة فى الواو أو الياء فى كلمة واحدة مثل : صنوان وقنوان ، ودنيا وبنيان فإذا أدغم الصوتان التبست هذه الكلمات بمضعف العين ، ولذا منع اللغويون ذلك فى اللغة مثل وتد ووطد وعند وشاة زنماء فإذا أدغمت التاء والطاء والنون فى الدال ، وأدغمت النون فى الميم لا يعرف تركيب الكلمة . هل عين وتد ووطد وعند - حال الإدغام - دال أو طاء أو غيرهما ؟ وعينها ساكنة فى الوزن أو متحركة سكنت للإدغام ؟ وهل عين « زنماء » مضعفة أو لا ؟ لذا امتنع الإدغام فيما يؤدى إلى اللبس فى هذا ونظائره ، وكذلك مثل شرر وقصص وعدد فلو أدغم فعل - بفتح الفاء والعين - مع خفته - لا لتبس بفعل - ساكن العين فيكثر الالتباس [١] .

وعلى هذا يلتقى المثلان والمتجانسان والمتقاربان :

فالمثلان هما : الصوتان المتحدان فى المخرج والصفة كالتاءين ، والراءين ونحو ذلك .

والمتجانسان هما : الصوتان المتفقان فى المخرج المختلفان فى الصفة كالتاء والطاء والسين والصاد .

والمتقاربان هما : الصوتان اللذان بينهما تقارب فى المخرج أو الصفة أو فيهما كالدال والسين أو الشين والذال والزاى واللام مع الراء [٢] .

وإذا سكن الأول منهما سميا بالمثلين أو المتجانسين أو المتقاربين

---

(١) شرح الشافية للرضى ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٢١ وشرح الشاطبية ص ٣٥ وشرح الشافية للرضى ص ٣٤٧ .

الصغير ، وإن تحرك الأول والثانى منهما سميا بالمثلين أو المتجانسين أو المتقاربين الكبير ، وإن تحرك الأول وسكن الثانى سميت الأنواع الثلاثة بالمطلق .

والموضع الثالث يمتنع معه الإدغام ، لكون الحركة فاصلة بين الحرفين كما أنها لو زالت يلتقى ساكنان وذلك لا يجوز [١] .

والأول يجب فيه الإدغام فى المتماثلين وبعض المتجانسين والمتقاربين حسب الصور التى اتفق فيها القراء على الإدغام أو اختلفوا فيها والثانى يخضع لتعدد الأوجه فى الإدغام الكبير .

ولا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين إذ لا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد لأن لكل صوت مخرجه الخاص فيلزم قلب الحرف المراد إدغامه إلى جنس ما يدغم فيه ليتوصل بذلك إلى الإدغام [٢] .

أقسام الإدغام

جعل القراء الإدغام قسمين : صغيرا وكبيرا .

فالصغير هو : ما سكن فيه الحرف الأول .

والكبير هو : ما تحرك فيه الحرف الأول [٣] .

وهذا يعنى أن ما يسمى صغيرا يقوم على إدغام حرفين متصلين اتصالا مباشرا ، وما يسمى كبيرا يقوم على إدغام حرفين تفصل بينهما حركة ، ويقع الإدغام - فى هذه الحال - بسقوط الحركة أولا

---

(١) شرح الشافية للرضى ٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ وشرح المفصل ١٠ / ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) شرح الشافية للرضى ٣ / ٢٣٥ وانظر : علم الأصوات عند سيبويه وعندنا لشادة ص ٢٣ .

(٣) النشر ١ / ٧٤ ، والقول المفيد ص ٩٥ وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٢ وشرح الشاطبية ص ٣٥ .

- أى بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة ثم بإدغام أحد الحرفين فى الآخر. وفى كلتا الحالتين لا يجوز الإدغام إلا إذا كان الحرف الثانى متبوعا بحركة [١] .

ويسمى ابن جنى نوعى الإدغام الصغير والكبير بالإدغام الأكبر يقول : الإدغام فى الكلام على ضربين .

أحدهما : أن يلتقى المثلان على الأحكام التى يكون عنها الإدغام فيدغم الأول فى الآخر ، والأول من الحرفين فى ذلك على ضربين : ساكن ومتحرك ، المدغم الساكن الأصل كطاء قطع وكاف كسر الأولين والمتحرك نحو دال شد ولام معتل .

والآخر : أن يلتقى المتقاربان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه وذلك مثل ود فى اللغة التميمية وامحى واماز واصبر واثاقل عنه [٢] .

ويقول بعد ذلك : فهذا حديث الإدغام الأكبر [٣] .

وأطلق ابن جنى مصطلح « الإدغام الأصغر » على شئ آخر هو « تقريب صوت من صوت » [٤] أو « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك » [٥] .

---

(١) دروس فى علم أصوات العربية لكانتينو ص ٣٩ وسمى هذا النوع من الإدغام كبيرا لتأثيره فى إسكان المتحرك قبل إدغامه ولشموله نوعى المثلين والمتقاربين وقيل : سمى كبيرا لكثرة وقوعه ، إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل : لما فيه من الصعوبة ، انظر : النشر ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٢٢٧ .

(٥) المحتسب ٢ / ٢٦ .

أحكام الإدغام الصغير

له حالتان : وجوب الإدغام وجوازه .

الحكم الأول - الوجوب :

يتحقق إذا سكن الأول وتحرك الثانى من المتماثلين وذلك يكون فى كلمة واحدة ، كما إذا كانت العين واللام من جنس واحد وتحركت اللام فى الفعل الماضى أو المضارع أو الأمر المتصل بألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة أو نون التوكيد .

مثال ذلك : مدا ومدوا ويمدان ويمدون وتمدين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ﴾ (١) .

ويكون فى كلمتين متصلتين - ولم يكن أولهما مدا - نحو : اسمع علما ، ومما أتى من الأسماء المشبهة للفعل فى كلمة واحدة فى الثلاثى صب زعم الخليل أنها فعل - بكسر العين - لأنك تقول : صببت صبابة ، وكذلك الاسم الثلاثى المزيد فيه يدغم إذا وازن الفعل مثل مستعد ومرد فكل منها على مثال الفعل .

---

(١) وقوع المثلثين فى آخر الكلمة هو الكثير الشائع ولم يبنوا ثلاثيا فاؤه وعينه متماثلان إلا نادرا مثل ددن وببر بل ضعفوا حيث يمكنهم الإدغام وذلك بتماثل العين واللام إذ الفاء لو أدغم فى العين وجب إسكانه ولا يبتدأ بالساكن .

وجاء ذلك فى مزيد الأفعال والأسماء المزيدة الموازنة لها لكثرة التصرف فى الفعل قياسا فمن مزيد الفعل الثلاثى ما جاء على وزن تفعل وتفاعل مثل تترس وتتارك وتنزل وتثاقل ومضارعه ومن مزيد الرباعى تفعلل مثل تتدحرج ، أما مزيد الثلاثى من الأفعال فالأولى فى الماضى الإظهار ويجوز الإدغام مع اجتلاب همزة الوصل فى الابتداء وكذلك إذا كانت فاؤه مقارنة للتاء فى المخرج نحو اطير واثاقل وحال الإدغام فى الماضى يدغم المضارع والأسماء والأفعال المتصرفة منه ، وفى المضارع يجوز الإظهار والحذف والإدغام وحال الإدغام لا تجلب همزة الوصل كما فى الماضى لثقل المضارع ولا يدغم إلا فى الدرج ليكتفى بحركة ما قبله مثل قال تنزل ، أما فى مزيد الرباعى فلا يخفف بالإدغام إذ لو أدغمت لاحتجت إلى همزة الوصل فيؤدى إلى الثقل عند القصد إلى التخفيف والأولى إبقاؤهما ويجوز حذف أحدهما (شرح الشافية للرضى ص ٣٤١ - ٣٤٤) .

وأصل الإدغام فى الأفعال للثقل الحادث فيها ، وفى الأسماء الموازنة للأفعال لمشابهتها الفعل الثقيل وزنا .

فهذا واجب الإدغام عند جميع العرب الحجازيين والتميميين[١] وغيرهم ، فإن سكنت اللام امتنع الإدغام كما فى : ﴿ ضَلَلْتُ ﴾[٢] ﴿ قَالَ الْمَلأُ (٦٠) ﴾[٣] - ظللت .

وكأن تقع بعد الباء الساكنة باء متحركة مثل : ﴿ فَاضْرِب بِّه (٤٤) ﴾ « ص » ، أو بعد التاء الساكنة تاء متحركة مثل : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُم (١٦) ﴾ « البقرة » - ﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ (١٧) ﴾ « الكهف » أو تقع بعد الدال الساكنة دال متحركة مثل : ﴿ وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ (٦١) ﴾ « المائدة » أو بعد الذال الساكنة ذال متحركة مثل : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا (٨٧) ﴾ « الأنبياء » .

أو بعد الكاف الساكنة كاف متحركة مثل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ (٧٨) ﴾ « النساء » أو بعد اللام الساكنة لام متحركة مثل : ﴿ وَقُل لَّهُمَا (٢٣) ﴾ « الإسراء » أو الميم بعدها ميم كذلك مثل : ﴿ وَهُم مِّن (٣) ﴾ « الروم » أو النون بعدها نون على هذا النحو : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا (٤٨) ﴾ « البقرة » أو هاء بعدها هاء كذلك : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ (٧٦) ﴾ « النحل » .

كما يجب الإدغام فى بعض صور المتجانسين والمتقاربين عند القراء ومن الواجب فى ذلك إدغام التاء فى الدال فى مثل :

---

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧ - ٤١٩ (باب التضعيف) .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٦ وسورة سبأ الآية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٦٠ وغيرها .

﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ﴿١٨٩﴾ ﴾ « الأعراف » وإدغام الدال فى التاء كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ ﴿١١٧﴾ ﴾ « التوبة » و ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ « البقرة » و ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا ﴿٣٥﴾ ﴾ « العنكبوت » و ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾ « القمر » .

وإدغام التاء فى الطاء مثل : ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ «آل عمران» و ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ « آل عمران » و ﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ « الصف » .

وإدغام الذال فى الظاء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴿٣٩﴾ ﴾ « الزخرف » وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴿٦٤﴾ ﴾ « النساء » ، وإدغام اللام فى الراء مثل : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ « طه » [1] .

فهذا كله اتفق القراء على إدغامه .

الحكم الثانى الجواز :

ذلك فى غير ما هو واجب ، فإنه يسمى الإدغام الجائز ، لوروده بصور مختلفة عند العرب تارة بالإدغام وتارة بغيره (وهو الذى جرت عادة القراء بذكره فى كتب الخلاف) [2] .

ويجرى فى نوعين من الإدغام الصغير .

---

(١) النشر ٢ / ١٩ .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢ .

الأول : بعض الحروف التى تجانست مخارجها ويتمثل فى إدغام حرف من كلمة فى حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وينحصر فى : إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل .

وفيها يجرى الخلاف فى الإدغام والإظهار بين القراء .

ذال إذ (١) : عند ستة أحرف مجموعة فى (سجن تصد) (٢) مما يقع بعد إذ متحركا .

مع التاء مثل قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا (١٦٦) ﴾ « البقرة » و ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ (١٦٧) ﴾ « الأعراف » .

مع الجيم مثل : ﴿ إِذْ جَعَلَ (٢٠) ﴾ « المائدة » و ﴿ إِذْ جَاءُوكُم (١٠) ﴾ « الأحزاب » .

مع الدال مثل : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ (٣٩) ﴾ « الكهف » و ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ (٢٢) ﴾ « ص » .

مع السين مثل : ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ (١٢) ﴾ « النور » .

مع الصاد مثل : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ (٢٩) ﴾ « الأحقاف »

---

(١) يقصد بهذا ما يكون فيه ما بعد إذ متحركا مما لم يتفق القراء على إدغام ذال إذ فيه ، وهناك قسم اتفقوا على إدغامها فيه - ذكرناه فى الواجب - وقسم اتفقوا على إظهارها فيه وذلك إذا وقع بعدها متحرك من ستة عشر حرفا يجمعها قولك « ربك أحق غنى له عفو » ، أما إذا ما سكن فيه الحرف بعد إذ فتكسر له ذالها لالتقاء الساكنين مثل : وإذ استسقى ، وإذ ابتلى إلخ .

(٣) الدر النثير الورقة ٦٤ .

مع الزاى مثل : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (٤٨) ﴾ « الأنفال » .

أدغم ذلك أبو عمرو وهشام ، وأظهرها - عندها - نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ، وأدغم فى التاء والدال فحسب حمزة وخلف . وأدغمها فى غير الجيم الكسائى وخلاد .

وهكذا يختلف القراء .

دال قد [١] : اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف متحركة هى الذال والظاء والضاد والجيم والشين وحروف الصفير [٢] .

مع الذال ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (١٧٩) ﴾ « الأعراف » .

مع الظاء ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ (١) ﴾ « الطلاق » - ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ (٢٤) ﴾ « ص » .

مع الضاد ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) ﴾ « النساء » .

مع الجيم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (١٢٨) ﴾ « التوبة » .

مع الشين ﴿ قَدْ شَغَفَهَا (٣٠) ﴾ « يوسف » .

---

(١) يقصد به ما كان ما بعد دال قد متحركاً مما اختلف فيه القراء وهناك قسم اتفقوا على إدغام دال قد فيه وقسم اتفقوا على إظهارها عنده ، وإذا سكن ما بعد الدال كسرت الدال تخلصاً من التقاء الساكنين مثل فقد اهتدوا إلخ ، واتفق القراء على إظهار دال قد قبل خمسة عشر حرفاً يجمعها قولك (العفو خير بحقك تمه) الدر النشير الورقة ٦٤ .

(٢) يجمعها أوائل كلمات هذا البيت :

شهدت ضحى ظباء سابحات ذكرت زمان جرد صافنات

مع السين ﴿ قَدْ سَمِعَ (١) ﴾ « المجادلة » ﴿ مَا قَدْ سَلَفَ (٢٣) ﴾ « النساء » .

مع الزاى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا (٥) ﴾ « الملك » .

مع الصاد ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ (٨٩) ﴾ « الإسراء » .

تاء التأنيث [١] :

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف يجمعها أوائل كلمات هذا البيت :

صد جابر ظهراً ثم زارنى سحرا [٢]

مع الثاء : ﴿ بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾ « هود » ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ (٤) ﴾ « الحاقة » .

مع الجيم : ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم (٥٦) ﴾ « النساء » - ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا (٣٦) ﴾ « الحج » .

مع الزاى : ﴿ خَبَتْ زِدْنَاهُمْ (٩٧) ﴾ « الإسراء » .

---

(١) يقصد به ما تحرك فيه ما بعد تاء التأنيث مما اختلف فيه القراء ومما تحرك فيه ما بعد التاء قسم اتفقوا على إدغام التاء فيه ، وهو التاء والطاء ، والدال ، وقسم اتفقوا على إظهارها عنده وذلك إذا وقع بعدها خمسة عشر حرفاً يجمعها قولك : « العفو غنم حقه كبير » فإذا سكن ما بعد التاء كسرت التاء تخلصاً من التقاء الساكنين مثل وقالت اليهود إلخ .

(٢) الدر النشير الورقة ٦٥ .

مع السين : ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ (٢٦١) ﴾ « البقرة » . ﴿ أَقَلَّتْ سَحَابًا (٥٧) ﴾ « الأعراف » .

مع الصاد : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ (٩٠) ﴾ « النساء » في قراءة غير يعقوب ﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ (٤٠) ﴾ « الحج » .

مع الظاء : ﴿ حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا (١٤٦) ﴾ « الأنعام » ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً (١١) ﴾ « الأنبياء » .

أدغم في الحروف الستة أبو عمرو وحمزة والكسائي واختلف بعض القراء في الإدغام والإظهار في بعضها .

لام هل وبل :

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف [1] هي : التاء والثاء والزاي والسين والضاد والطاء والظاء والنون ، منها خمسة تختص ببل وهي الزاي والسين والضاد والطاء والظاء وواحد يختص بهل وهو الثاء وحرفان مشتركان فيهما معاً وهما التاء والنون .

الخاص بهل :

مع الثاء : (هل ثوب الكفار) قرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة وابن محيصن (هثوب) فأدغم اللام في الثاء [2] .

---

(١) جمعت الحروف الثمانية في أوائل كلمات هذا البيت :

تقول سلمى ضاع طالبوك نأيت ظلماً ثم زايلوك

- الدر النشير الورقة ٦٦ .

(٢) سورة المطففين ٣٦ والكتاب ٤ / ٣٥٩ وقرأ الجمهور بإظهار لام هل وانظر البحر ٨ / ٤٤٣ .

الخاص ببل :

مع الزاى : ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ (٣٣) ﴾ « الرعد » - ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ (٤٨) ﴾ « الكهف » .

مع السين : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ (١٨) ﴾ « يوسف » .

مع الضاد : ﴿ بَلْ ضَلُّوا عنهمْ (٢٨) ﴾ « الأحقاف » .

مع الطاء : ﴿ بَلْ طَبَعَ (١٥٥) ﴾ « النساء » .

مع الظاء : ﴿ بَلْ ظَنَنتُم (١٢) ﴾ « الفتح » .

المشترك بينهما :

مع التاء : ﴿ هَلْ تنقمُونَ منَّا (٥٩) ﴾ « المائدة » - ﴿ هَلْ تعلَمُ (٦٥) ﴾ « مريم » - ﴿ بَلْ تأتيهم بغتةً (٤٠) ﴾ « الأنبياء » - ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ (١٦) ﴾ « الأعلى » .

ومن ذلك قول مزاحم العقيلى :

فدع ذا ولكن هتعين متيما   على ضوء برق آخر الليل ناصب

يريد هل تعين [1] .

مع النون : ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) ﴾ « الشعراء » - ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُم (١٠٣) ﴾ « الكهف » - ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ (١٧٠) ﴾ «البقرة» - ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالحقِّ عَلَى الْبَاطِلِ (١٨) ﴾ « الأنبياء » .

أدغم اللام منهما فى الأحرف الثمانية الكسائى واختلف الآخرون إدغاماً وإظهاراً ، وهذا كله فيما كان سكون الحرف الأول

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٥٩ .

فيه سكوناً أصلياً (١) وهذا الإدغام جائز عند اللغويين لأن هذه الحروف - عدا الجيم - تخرج من بين الثنايا أو أطرافها وطرف اللسان فمخارجها متقاربة إلى جانب تقاربها فى بعض الصفات مما يجعل الإدغام سائغاً .

والجيم من وسط اللسان متجاورة مع طرفه ، وليس فى الأصوات التى تدغم فيها اللام انحراف كاللام ومع ذلك يجوز فيها الإدغام لأنها قريبة من مخرج اللام إذ هى من حروف طرف اللسان(٢) واللام تدغم فى النون والبيان أحسن لأنه قد امتنع أن يدغم فى النون وأدغمت فيه سوى اللام فكأنهم يتوجسون من الإدغام فيها (٣) .

والضاد والشين يجوز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجيهما وجاء مع الشين قول طريف بن تميم العنبرى :

تقول إذا استهلكت مالا للذة   فكيهة هشئ بكفيك لائق

يريد : هل شئ فأدغم اللام فى الشين .

ولكن هذا الإدغام أضعف من سابقه لأن مخرج الضاد من أول حافة اللسان والشين من وسطه (٤) وفى ذلك بعد عن مخرج اللام لا يتكيف معه .

النوع الثانى من الإدغام الصغير عند القراء :

إدغام حرف فى حرف من كلمة أو كلمتين حيث وقع ذلك فيما أطلق عليه حروف قربت مخارجها .

---

(١) ويلحق بهذا القسم من حيث إنه ساكن الأصل دال الصاد من كهيعص ونون السين من طسم فى السورتين : انظر الدر النثير الورقة ٦٣ (باب الإظهار والإدغام للحروف السواكن) .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٧ ، ٤٥٨ بتصرف .

(٣) المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ .

(٤) المصدر السابق ٤ / ٤٥٨ .

وهذا فيما يكون فيه للحرف الأول أصل فى التحريك ولكن استعمل فى الكلام الذى هو فيه ساكناً لسبب وهذا ما نسميه بالسكون العارض [١] .

وجملة الحروف التى تدخل تحت هذا القسم تنحصر فى ضربين :

الأول : أن يكون الحرف المدغم والحرف المدغم فيه فى كلمة واحدة وذلك : الثاء قبل التاء فى قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ « الأعراف » - ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) ﴾ « الزخرف » ﴿ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ (٢٥٩) ﴾ « البقرة » - ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) ﴾ « الإسراء » - ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾ « الشعراء » - أظهر ذلك الحرميان [٢] وعاصم والإظهار حسن لأنه الأصل وأدغم الباقون [٣] .

والذال قبل التاء وهو أصل مطرد .

فالأصل ما جاء من لفظ ﴿ أَخَذْتُم (٦٨) ﴾ « الأنفال » و ﴿ أَتَّخَذْتُمْ (٨٠) ﴾ « البقرة » و ﴿ لَاتَّخَذْتَ (٧٧) ﴾ « الكهف » أظهره ابن كثير وحفص .

والكلمتان : ﴿ فَنَبَذْتُهَا (٩٦) ﴾ « طه » و ﴿ عُذْتُ (٢٠) ﴾

---

(١) انظر الدر النثير الورقة ٦٣ .

(٢) ابن كثير ونافع .

(٣) التيسير ص ٢٤ وإبراز المعانى ١٤٧ - ١٤٧ والنشر ٢ / ١٦ ، ١٧ .

« الدخان » أدغمهما أبو عمرو وحمزة والكسائى وأظهر الباقون [١] .

الثانى : أن يكون الحرف المدغم والحرف المدغم فيه من كلمتين وهو سبعة أنواع :

١ - الباء قبل الفاء فى خمسة مواضع فى القرآن منها :

﴿ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) ﴾ « النساء » و ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (٥) ﴾ « الرعد » أدغم ذلك أبو عمرو والكسائى وخلاد ، قال سيبويه : (والباء تدغم فى الفاء للتقارب ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام فى حروف الفم) [٢] .

٢ - الباء قبل الميم فى موضعين :

﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ (٢٨٤) ﴾ « البقرة » قرأ عاصم وابن عامر برفع الباء فلزم الإظهار على قراءتهما وجزم الباقون فأظهر ورش وأدغم الباقون ، ولا خلاف - كما يقول السيرافى - فى إدغام الباء فى الميم .

ومثله : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا (٤٢) ﴾ « هود » أظهره ورش وابن عامر وخلف وأدغمه الباقون .

٣ - الفاء قبل الباء مثل قوله تعالى :

﴿ نَخْسِفْ بِهِمُ (٩) ﴾ « سبأ » أدغمه الكسائى وأظهره الباقون .

---

(١) انظر النشر ٢ / ١٦ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٨ والتيسير ٤٣ .

والإظهار فى ذلك أحسن لأنهما منفصلان ولأن التفشى الذى فى الفاء يذهب مع الإدغام ولأن الفاء تخرج من الشفتين إلى الفم ولها اتصال بالثنايا العليا فخالفت الباء فى المخرج بعض المخالفة (١) .

وتوصف قراءة الإدغام بالشذوذ - فى نظر النحاة - لأن الفاء لا تدغم فى الباء لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء وإنما أصل الإدغام فى حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف وكما أن الثاء لا تدغم فى الباء فلا تدغم الفاء فيها (٢) .

٤ - اللام قبل الذال فى ستة مواضع فى القرآن منها قوله تعالى :

﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه (٢٣١) ﴾ « البقرة » .

﴿ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء (٢٨) ﴾ «آل عمران» .

أدغم الجميع أبو الحارث الليث بن خالد البغدادى من أصحاب الكسائى (٣) وأظهر الباقون .

٥ - الثاء قبل الذال مثل :

﴿ يلهث ذلك (١٧٦) ﴾ « الأعراف » أظهره الحرميان وهشام بخلاف عن قالون وأدغم الباقون .

قال مكى : وعلة الإدغام هى أن الذال أقوى من الثاء كثيراً لأن الذال مجهورة والثاء مهموسة رخوة فحسن انتقال الأول إلى القوة بالإدغام والإظهار حسن لأنه الأصل (٤) .

---

(١) الكشف ١ / ١٥٥ بتصرف .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

(٣) ت ٢٤٠هـ وانظر إدغام القراء ص ٥٣ حيث روى أبو الحارث ذلك عن الكسائى .

(٤) الكشف ١ / ١٥٧ والنشر ٢ / ١٥ وتحبير التيسير ٤٤ وانظر شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

٦ - الدال قبل الثاء :

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ فى موضعين فى آل عمران أظهر الحرميان وعاصم وأدغم الباقون .

٧ - الراء قبل اللام وهو كثير فى القرآن كقوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿٤٨﴾ ﴾ « القلم » ، ﴿ وَيَسِّرْ لِي ﴿٢٦﴾ ﴾ « طه » ، ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ « الكهف » .

اختلف فيه القراء ﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ « مريم » [١] .

ويرى اللغويون أن الراء لا تدغم فى اللام لأنها مكررة وهى تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى فى الفم مثلها ولا يكرر مثل اجبر لبطة والعكس جائز بأن تدغم اللام فى الراء لأنك لا تخل بها كما كنت مخلابها لر أدغمتها فيها ولتقاربهما مثل : هرأيت [٢] .

٨ - ومن ذلك : الدال قبل الذال مثل :

﴿ كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ ﴿٢﴾ ﴾ « مريم » أدغمها أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وخلف وقرأ الباقون بالإظهار .

٩ - والنون قبل الواو مثل :

﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ ﴿٢﴾ ﴾ أدغمها الكسائى ويعقوب

---

(١) إدغام اللام فى الراء جائز حسن مثل : اشغل رحبة لقرب المخرجين ولأن فى الراء انحرافاً نحو اللام قليلاً وقاربتها فى طرف اللسان ، وهما فى الشدة وجرى الصوت سواء ، وليس بينهما فاصل من المخارج الأخرى . انظر الكتاب ٤ / ٤٤٨ ، ٤٥٢ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

وخلف وهشام وقطع بالإدغام عند جمهور العراقيين وقرأ بعضهم بالإظهار [١] .

وكذلك النون قبل الياء مثل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ (٧) ﴾ «الزلزلة» .

وتدغم النون في الواو بغُنَة وبلا غُنَة لأن مخرج الواو في رأى القدماء من الشفتين وهى أقرب إلى الحروف التى تدغم فيها النون وهى اللام والراء فاحتملت الإدغام كما احتملته اللام والراء .

وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة لأن الياء أخت الواو ولقرب مخرج الياء إلى مخرج الراء من طرف اللسان ولذا نرى الألثغ يبدل الراء أو اللام ياء لقربها منها [٢] .

وسكون الحرف المدغم هنا عارض فما ورد هنا من صيغ الفعل الماضى أصله البناء على الفتح وإنما سكن لاتصال ضمير الرفع به ، وما جاء من صيغ المضارع أصله التحريك بالرفع وسكن أحيانا للجزم ، وما جاء بصيغة الأمر وإن كان مبنيا على السكون هو فى حكم المغير من لفظ المضارع الذى أصله الرفع [٣] فهو فى حكم المتحرك ثم غير فلزمه السكون .

وليست ذال إذ ودال قد وتاء التأنيث ولام هل وبل مما أصله الحركة ولا فى حكم ما أصله الحركة .

---

(١) انظر النشر ٢ / ١٧ ، ١٨ وقد جاء هذا النوع من الإدغام فى الحروف التى قربت مخارجها فى غير ما ورد من ذلك .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٣ .

(٣) انظر النشر ١ / ١٢ .

أحكام الإدغام الكبير

إذا كان الحرفان المتجاوران محركين فإن القراء يظهرون الحرفين دون إدغام ما عدا أبا عمرو بن العلاء فقد اشتهر عنه الإدغام فى هذه الحال ، فهو المنسوب إليه والمختص به من الأئمة العشرة .

وليس الإدغام الوارد عنه على سبيل الوجوب بل على سبيل الجواز فالإدغام رواية من رواياته ووجه من وجوه قراءته فمن شاء قرأ به ومن شاء قرأ بالإظهار [١] .

وليس أبو عمرو منفرداً به بل قد ورد أيضاً عن الحسن البصرى وابن محيصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ومسلمة بن عبد الله الفهرى ومسلمة بن محارب السدوسى ويعقوب الحضرمى وغيرهم [٢] .

---

(١) ولمؤلفى الكتب وبعض أئمة القراءة فى ذكره طرق منهم من لم يذكره ألبتة كابن مجاهد فى السبعة ومكى فى التبصرة ومنهم من ذكره فى أحد الوجهين عن أبى عمرو بكماله من جميع طرقه وهم جمهور العراقيين وغيرهم ومنهم من ذكره عن الدورى والسوسى معاً كأبى معشر الطبرى فى تلخيصه ومنهم من خص به السوسى وحده كصاحب التيسير ومنهم من ذكره عن غيرهما من أصحاب اليزيدى وشجاع عن أبى عمرو كصاحب التجريد ، وثبت عن أبى عمرو مع الإدغام وعدمه ثلاث طرق :

الأولى : الإظهار مع الإبدال - وهو أحد الأوجه الثلاثة عند جمهور العراقيين عن أبى عمرو بكماله وأحد الوجهين عن السوسى فى التجريد والتذكار .

الثانية : الإدغام مع الإبدال وهو الذى فى جميع كتب أصحاب الإدغام من روايتى الدورى والسوسى جميعاً وهو الذى عن السوسى فى التذكرة وقال أبو الفتح فارس بن أحمد : وكان أبو عمرو يقرىء بهذه القراءة الماهر النحرير الذى عرف وجوه القراءات ولغات العرب .

الثالثة : الإظهار مع الهمز وهو الأصل عن أبى عمرو والثابت عنه عن جميع الطرق وقراءة العامة من أصحابه وهو الوجه الثانى عن السوسى فى التجريد ، النشر ١ / ٢٧٦ .

(٢) النشر ١ / ١٥٧ .

ووافق بعضهم أبا عمرو فى مواضع كحمزة فقد وافق أبا عمرو على إدغام التاء فى أربعة مواضع واختلف عن خلاد عنه وإن قرأ الدانى عليه ووافقه يعقوب على إدغام الياء فى موضع واحد وكذلك رويس على إدغام أربعة أحرف بلا خلاف [١] .

ويعرف هذا الإدغام لدى علماء الأداء باسم (الإدغام الكبير) ويأتى فى المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين فى كلمة وفى كلمتين .

المثلان :

فى كلمة واحدة [٢] :

يأتى المثلان حقيقة ومجازا .

فالحقيقة كالباءين فى ﴿ سَبَبًا (٨٤) ﴾ « الكهف » والراءين فى ﴿ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ « عبس » والقافين فى ﴿ يُشَاقِقِ (١٣) ﴾ « الأنفال » والصادين فى ﴿ الْقَصَصَ (١٧٦) ﴾ « الأعراف » .

فالمثلان فى جميع ذلك فى كلمة واحدة والمكرر حرفان هما عين الكلمة ولامها .

والمجاز مثل الباءين فى ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ (١٠٥) ﴾ « الأعراف » والكافين فى ﴿ سَلَكَكُمْ (٤٢) ﴾ « المدثر » و ﴿ مَّنَاسِكَكُمْ (٢٠٠) ﴾ « البقرة » والنونين فى ﴿ يَعْبُدُونَنِي (٥٥) ﴾ « النور » والهاءين فى ﴿ وَجْهَهُ (١١٢) ﴾ « البقرة » فالأول من المثلين هو لام الكلمة ومن تمامها والثانى ضمير متصل به ولو فصلته منه لم

---

(١) النشر ١ / ٣٠٠ .

(٢) يشترط فيما يقع فى كلمة أن يكون المدغم فيه أكثر من حرف فإذا كان واحداً امتنع الإدغام مثل (الذى خلقك - نحن نرزقك) .

تختل الكلمة : مناسك - سلك - يعيدون - وجه - بينة والباء الأولى فى (ببينة) حرف جر اتصلت بفاء الكلمة فأشبهت المثلين فى كلمة .

أدغم أبو عمرو من ذلك : مناسككم - فى البقرة - وما سلككم - فى المدثر ، ووجه الإدغام فى ذلك : أنه استثقل اجتماع المثلين مع ما فى ذلك من الطول بلحاق ضمير الجمع وتحريك ما قبل الكاف الأولى ، واختلفت الروايات عنه فى إدغام ﴿ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فى فاطر [1] وأظهر ما عداها نحو : ﴿ جِبَاهُهُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ « التوبة » - ﴿ وُجُوهُهُمْ ﴿١٠٦﴾ وُجُوهُهُمْ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [2] « آل عمران » ﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [3] « البقرة » وشبهه ، وروى أن ما التقت فيه الهاءان هو ما يدغم فيه أبو عمرو ويظهر .

وقيل : إن رواية الإدغام فى المثلين جاءت فى تسعة وعشرين موضعاً فى القرآن الكريم وما التقى فيه المثلان فى كلمة غيرها فلا إدغام فيه نحو (يعبدوننى) ﴿ يَهْدُونَنَا ﴿٦﴾ ﴾ « التغابن » و ﴿ مَا اقْتَتَلُوا ﴿٢٥٣﴾ ﴾ « البقرة » - ﴿ يَقْتَتِلَانِ ﴿١٥﴾ ﴾ « القصص » لعدم الرواية ولأن الإظهار هو الأصل [4] .

المثلان فى كلمتين :

يأتى ذلك فى حرفين : أحدهما فى آخر الكلمة الأولى والثانى فى أول الكلمة التى بعدها وهما متحركان - على شرط هذا النوع

---

(١) انظر الدر النثير الورقة ١٥ (باب بيان مذهب أبى عمرو فى الإدغام الكبير) .

(٢) انظر المعجم المفهرس ٢ / ٨٢٨ ، ٨٣٩ .

(٣) انظر النشر ١ / ٨٢٠ .

(٤) لأنه أكثر ولأنه يحدث حال الوقف ولإخراج كل حرف وحده . الكشف ٣٥٨ .

من الإدغام - مثل : ﴿ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ (٤) ﴾ « الفاتحة » - ﴿ يَشْفَعُ عِنْدَهُ (٢٥٥) ﴾ « البقرة » .

والواقع أن بعض الحروف لقى مثله فى القرآن وبعضها لم يلق مثله فيه .

فالضرب الذى لم يلق مثله من الحروف فى كلمتين فى القرآن عشرة أحرف هى :

الطاء والدال والصاد المهملات والخاء والضاد والشين والظاء والذال المعجمات والجيم والزاى [1] .

والضرب الذى لقي مثله من كلمتين باقى الحروف وهى ثمانية عشر حرفا يجمعها قولك : « حسن فعلك أثبته غير قوم » :

١ - **الهمزة** : التقى المثلان فيها فى القرآن فى مواضع كثيرة - مع اتفاقهما فى الحركات واختلافهما - نحو : ﴿ جَاءَ أَجَلُهُمْ (٣٤) ﴾ « الأعراف » و ﴿ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ (٣١) ﴾ « البقرة » و ﴿ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ (٣٢) ﴾ « الأحقاف » و ﴿ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ (١٣٣) ﴾ « البقرة » و ﴿ مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ (٧٦) ﴾ « يوسف » و ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً (٤٤) ﴾ « المؤمنون » و ﴿ السُّفَهَاءُ أَلَا (١٣) ﴾ « البقرة » و ﴿ يَشَاءُ إِلَى (١٤٢) ﴾ « البقرة » ولم يدغم شئ من ذلك .

وبعض العرب والقراء يحققهما معاً وهؤلاء يحتملون ثقل اجتماعهما وبعضهم استثقلهما فعدل إلى تسهيل إحداهما وإلى ذلك عدل أبو عمرو بقراءة التسهيل .

---

(١) الدر النثير الورقة ١٦ وانظر النشر ١ / ٢٨٠ .

ويقول سيبويه : « ليس من كلام العرب أن تلتقى الهمزتان فتحققان فإن كانتا متحركتين فمنهم من يخفف الأولي دون الثانية لكونها آخر الكلمة والأواخر محل التغيير وهو قول أبى عمرو [١] .

وقال ابن جنى : « الهمزة المخففة هى التى تسمى همزة بين بين ومعنى قول سيبويه بين بين أى بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها إن كانت مفتوحة فهى بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فهى بين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فهى بين الهمزة والواو إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة وهى مع ما ذكرنا من أمرها فى ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة ولا تقع الهمزة المخففة أولاً أبداً » [٢] .

وإذا سهل أبو عمرو إحدى الهمزتين حذف الأولي إن كانتا متفقتى الحركة فيندفع بذلك اجتماع المثلين ويسهل الثانية بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها ويستغنى بذلك عن الإدغام .

الباء فى الباء : تدغمان فى سبعة وخمسين موضعاً منها : ﴿ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ (٧٩) ﴾ « البقرة » و ﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (١٧٦) ﴾ « البقرة » - ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ (٢٠) ﴾ « البقرة » و ﴿ أنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (١٠٥) ﴾ « النساء » و ﴿ الْعَذَابَ بِمَا (٣٥) ﴾ « الأنفال » و ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ (٥٦) ﴾ «يوسف» و ﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ (١٣) ﴾ « الرعد » و ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) ﴾ « النحل » و ﴿ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا (٥٩) ﴾ « الإسراء » - إلى غير ذلك .

---

(١) شرح الشافية ص ٢٧٣ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٥٣ ، ٥٤ .

التـاء فى التـاء :

تدغم التاء فى مثلها كيف ما كانت حركتها سواء سكن ما قبلها أو تحرك وسواء كانت متصلة بالاسم للتأنيث . وتبدل فى الوقف هاء أو لم تكن كذلك ما لم تكن ضمير المتكلم أو المخاطب متصلاً كان الضمير أو منفصلاً .

وجملة ما ورد فى القرآن من التاءات المذكورة أربعة عشر موضعاً منها فى المائدة : ﴿ فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة (١٠٦) ﴾ وفى الأنعام ﴿ الموت توفته (٦١) ﴾ وفى الأنفال ﴿ الشوكة تكون (٣) ﴾ ، وفى يوسف ﴿ والآخرة توفنى (١٠١) ﴾ . وفى مريم ﴿ النخلة تساقط (٢٥) ﴾ . وفى المؤمنون ﴿ يوم القيامة تبعثون (١٦) ﴾ .

الثـاء فى الثـاء :

جملته فى القرآن ثلاثة مواضع هى :

﴿ حيث ثقفتموهم (١٩١) ﴾ « البقرة ١٩١ » والنساء ١٩١ و ﴿ ثالث ثلاثة (٧٣) ﴾ « المائدة » .

الحاء فى الحاء :

ليس فى القرآن إلا موضعان : أحدهما فى البقرة ﴿ عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله (٢٣٥) ﴾ ، والثانى فى الكهف : ﴿ لا أبرح حتى (٦٠) ﴾ .

الراء فى الراء :

سواء تحرك ما قبلها أو سكن تدغم عند أبى عمرو وجملته فى القرآن خمسة وثلاثون موضعاً منها :

فى البقرة : ﴿ شهر رمضان (١٨٥) ﴾ وفى المائدة : ﴿ أو تحرير رقبة (٨٩) ﴾ وفى النحل : ﴿ أو يأتى أمر ربك (٣٣) ﴾ وفى الزمر : ﴿ بنور ربها (٦٩) ﴾ وفى غافر : ﴿ لننصر رسلنا (٥١) ﴾ إلخ .

السين فى السين :

جملتها فى القرآن ثلاثة مواضع :

ففى الحج : ﴿ الناس سكارى (٢) ﴾ - ﴿ الناس سواء (٢٥) ﴾ وفى نوح ﴿ الشمس سراجا (١٦) ﴾ .

العين فى العين :

جملته فى القرآن ثمانية عشر موضعاً منها فى البقرة : ﴿ يشفع عنده (٢٥٥) ﴾ ، وفى آل عمران : ﴿ لا أضيع عمل عامل (١٩٥) ﴾ وفى المائدة : ﴿ تطلع على خائنة (١٣) ﴾ وفى الأعراف ﴿ ينزع عنهما (٢٧) ﴾ - ﴿ قد وقع عليكم (٧١) ﴾ - ﴿ ويطبع على قلوبهم (١٠٠) ﴾ - ﴿ ولما وقع عليهم (١٣٤) ﴾ - وفى يونس : ﴿ نطبع على (٧٤) ﴾ وفى الكهف : ﴿ تطلع على قوم (٩٠) ﴾ وفى الحج : ﴿ يدافع عن (٣٨) ﴾ - ﴿ أن تقع على الأرض (٦٥) ﴾ - وفى القيامة : ﴿ نجمع عظامه (٩) ﴾ .

الغين فى الغين :

مثلها فى آل عمران خاصة : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه (٨٥) ﴾ [1] وهو من المعتل أى الذى التقى فيه مثلان

---

(١) انظر النشر ١ / ٢٨١ والدر النثير الورقة ٢١ .

بسبب حذف وقع فى نهاية الكلمة الأولى فأصل (يبتغ) : يبتغى فحذفت لام الفعل حال الجزم فالتقى المثلان .

الفاء فى الفاء :

وجملته فى القرآن ثلاثة وعشرون موضعاً ، منها فى البقرة : ﴿ وما اختلف فيه (٢٠٣) ﴾ ويونس : ﴿ خلائف في الأرض (١٤) ﴾ وإبراهيم : ﴿ كيف فعلنا بهم (٤٥) ﴾ والإسراء : ﴿ كيف فضلنا (٢١) ﴾ والكهف : ﴿ إلى الكهف فقالوا (١٠) ﴾ والأحزاب : ﴿ وقذف فى قلوبهم (٢٦) ﴾ ، والحشر ٢ ، والمطففين : ﴿ تعرف فى وجوههم (٢٤) ﴾ .

القاف فى القاف :

جملته فى القرآن خمسة مواضع : منها فى الأعراف : ﴿ والطيبات من الرزق قل (٣٢) ﴾ - ﴿ فلما أفاق قال سبحانك (١٤٣) ﴾ - وفى التوبة : ﴿ ينفق قربات (٩٩) ﴾ - ويونس : ﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال (٩٠) ﴾ والجن : ﴿ طرائق قددا (١١) ﴾ .

الكاف فى الكاف :

سواء تحرك ما قبلها أو سكن تدغم عند أبى عمرو وجملته فى القرآن ستة وثلاثون موضعاً ، منها فى سورة آل عمران : ﴿ واذكر ربك كثيراً (٤١) ﴾ ويونس : ﴿ كذلك كذب (٣٠٩) ﴾ والنحل : ﴿ أمر ربك كذلك (٣٣) ﴾ والحج : ﴿ عند ربك كألف (٤٧) ﴾ والعنكبوت : ﴿ إلا امرأتك كانت (٣٣) ﴾ .

اللام فى اللام :

جملته فى القرآن مائتا حرف وخمسة عشر حرفاً سوى المختلف فيه مثل : ﴿ يخل لكم ﴿١٢﴾ ﴾ « يوسف » [١] ومن المتفق عليه فى سورة إبراهيم : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴿٢٥﴾ ﴾ . والحجر : ﴿ قال لم أكن لأسجد ﴿٣٣﴾ ﴾ والروم : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴿٣٠﴾ ﴾ وفاطر : ﴿ فلا مرسل له ﴿٢﴾ ﴾ ، والقتال : ﴿ سول لهم ﴿٢٥﴾ ﴾ والذاريات : ﴿ إذ قيل لهم ﴿٤٣﴾ ﴾ . والمجادلة : ﴿ إذا قيل لكم تفسحوا ﴿١١﴾ ﴾ .

الميم فى الميم :

يدغمان مطلقاً - عند أبى عمرو - وجملته فى القرآن مائة وتسعة وثلاثون موضعاً منها فى أم القرآن : ﴿ الرحيم مالك ﴿٣، ٤﴾ ﴾ والأنفال : ﴿ اليوم من الناس ﴿٤٨﴾ ﴾ ، ويونس : ﴿ فمن أظلم ممن ﴿١٧﴾ ﴾ وإبراهيم : ﴿ تعلم ما تخفى ﴿٣٨﴾ ﴾ ، ولقمان : ﴿ ويعلم ما فى الأرحام ﴿٣٤﴾ ﴾ والأحزاب : ﴿ يعلم ما فى قلوبكم ﴿٥١﴾ ﴾ .

النون فى النون :

تحرك ماقبلها أو سكن تدغم عند أبى عمرو وجملته فى القرآن سبعون موضعاً منها فى الأنفال : ﴿ الفئتان نكص ﴿٤٨﴾ ﴾ وإبراهيم : ﴿ ويستحيون نساءكم ﴿٦﴾ ﴾ ، والإسراء : ﴿ نحن

---

(١) فكل موضع التقى فيه مثلان بسبب حذف حرف من آخر الكلمة الأولى يجوز فيه عند الأداء عن السوسى الوجهان الإظهار والإدغام .

نرزقهم ﴿٣١﴾ وطه : ﴿ نحن نرزقك ﴿١٣٢﴾ والأنبياء : ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴿٤٣﴾ والحج : ﴿ كان نكير ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] والزخرف : ﴿ الرحمن نقيض ﴿٣٦﴾ ﴾ والرحمن : ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴿٦٦﴾ ﴾ .

الهاء في الهاء :

يدغمها أبو عمرو في مثلها إذا كانت من كلمتين سواء كانت الأولى ضميراً أو غير ضمير وسواء كان قبلها حرف متحرك أو ساكن وإن كانت في الإضمار موصولة حذف الصلة ثم أسكنها في جميع ذلك وأدغمها نحو : ﴿ فالله هو الولى ﴿٩﴾ ﴾ « الشورى » - ﴿ ففى رحمة الله هم ﴿١٠٧﴾ ﴾ « آل عمران » - ﴿ أخاه هرون ﴿٥٣﴾ ﴾ « مريم » وجملته في القرآن أربعة وتسعون حرفاً : منها في النساء : ﴿ فكلوه هنيئا ﴿٤﴾ ﴾ والأنعام : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴿٧١﴾ ﴾ - والأعراف : ﴿ لأخيه هارون ﴿١٤٢﴾ ﴾ ويونس : ﴿ سبحانه هو الغنى ﴿٦٨﴾ ﴾ وهود : ﴿ غيره هو أنشأكم ﴿٦١﴾ ﴾ والمؤمنون : ﴿ وأخاه هرون ﴿٤٥﴾ ﴾ والنمل : ﴿ كأنه هو ﴿٤٢﴾ ﴾ - والعنكبون : ﴿ إنه هو العزيز ﴿٢٦﴾ ﴾ - والصافات : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴿٧٧﴾ ﴾ وق : ﴿ وقال قرينه هذا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

الواو في الواو :

جملته في القرآن ثمانية عشر حرفاً وهى على ضربين :

أحدهما : أن يسكن ما قبلها فلا خلاف في إدغامها ، وذلك في

---

(١) وسورة سبأ ٤٥ وسورة فاطر الآية ٢٦ .

خمسة مواضع منها فى الأنعام : ﴿ وهو وليهم (١٢٧) ﴾ - والأعراف : ﴿ خذ العفو وأمر (١٩٩) ﴾ .

والضرب الثانى : أن يضم ما قبلها وهو باقى العدد منها فى البقرة : ﴿ هو والذين آمنوا معه (٢٤٩) ﴾ وآل عمران : ﴿ هو والملائكة (١٨) ﴾ والأنعام : ﴿ إلا هو وإن يمسك (١٧) ﴾ - والأعراف : ﴿ هو وقبيله (٢٧) ﴾ - ويونس : ﴿ إلا هو وإن يردك (١٠٧) ﴾ والقصص : ﴿ هو وجنوده (٣٩) ﴾ .

وفى هذا الضرب منع بعضهم - كابن مجاهد وأصحابه - الإدغام ، لأن الواو الأولى تسكن حال الإدغام فتصير مدا وإدغام حرف المد - واواً أو ياء - ممتنع ، وروى الإدغام عن أبى عمرو وابن شنبوذ فى ذلك الضرب نصاً لأن الواو هنا ليست مدا فى نفسها والسكون عارض للإدغام فلا يعتد به ، ومثل ذلك الياء المفتوحة المكسور ما قبلها .

الياء فى الياء :

تدغم فى مثلها سواء سكن ما قبلها أو تحرك وجملته فى القرآن ثمانية مواضع منها : ﴿ أن يأتى يوم (٢٥٤) ﴾ « البقرة »[1] - ﴿ ومن خزى يومئذ (٦٦) ﴾ « هود » - ﴿ والبغى يعظكم (٩٠) ﴾ « النحل » - ﴿ نودى يا موسى (١١) ﴾ « طه » - ﴿ فهى يومئذ (١٦) ﴾ « الحاقة » - ﴿ واللائى يئسن (٤) ﴾ « الطلاق » .

---

(١) وسورة إبراهيم الآية ٣١ وسورة الروم الآية ٤٣ وسورة الشورى الآية ٤٧ .

المتقاربان والمتجانسان :

فى كلمة واحدة :

لم يدغم إلا القاف والكاف إذا تحرك ما قبل القاف وكان بعد الكاف ميم نحو : ﴿ خلقكم (٢١) ﴾[١] - ﴿ رزقكم (٧٨) ﴾ « المائدة »[٢] - ﴿ صدقكم (١٥٢) ﴾ « آل عمران » - ﴿ واثقكم (٧) ﴾ « المائدة » - ﴿ سبقكم (٨٠) ﴾ « الأعراف »[٣] ولا ماضى غيرهن .

ونحو : ﴿ يرزقكم (٣١) ﴾ « يونس »[٤] - ﴿ يخلقكم (٦) ﴾ « الزمر » - ﴿ فيغرقكم (٦٩) ﴾ « الإسراء » ولا مضارع غيرهن وجملة ذلك ثمانية وما تكرر منه سبعة وثلاثون حرفا وهى تسع كلمات تكرر بعضها .

وإنما اشترط هذان الشرطان لأن الكلمة تطول بالميم وتثقل بالحركة فيحسن التخفيف بالإدغام[٥] والذى أوجب التقارب بين القاف والكاف اشتراكهما فى الشدة واتصال مخرجيهما ، قال سيبويه :

وإنما أدغمت العرب لقرب المخرجين وأنهما من حروف اللسان وتتفقان فى الشدة[٦] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١ وسورة الأنعام الآية ٢ وسورة النساء الآية ١ وسورة الأعراف الآية ١٧٩ وسورة النحل الآية ٧٠ وسورة الشعراء الآية ١٨٤ وغيرها (الروم - فاطر الصافات - الزمر - غافر - فصلت - التغابن - نوح) .

(٢) وسورة الأنعام الآية ١٤٢ ، وسورة الأنفال الآية ٢٦ الخ .

(٣) وسورة العنكبوت الآية ٢٧ .

(٤) وسورة النمل الآية ٦٤ وسورة سبأ الآية ٢٤ وسورة فاطر الآية ٣ وسورة الملك الآية ٢١ .

(٥) النشر ١ / ٢٨٦ والدر النشير الورقة ٢٥ .

(٦) الكتاب ٤ / ٣٥٢ .

واختلف فيما إذا كان بعدهما نون جمع فى موضع واحد : (طلقكن) فى التحريم فروى بالإظهار عن أبى عمرو كما روى عنه بالإدغام ، واختار الدانى الإدغام لأنه قد اجتمع فى الكلمة ثقلان ثقل الجمع . وثقل التأنيث فوجب أن يخفف بالإدغام [١] .

المتقاربان والمتجانسان فى كلمتين :

أدغم من ذلك ستة عشر حرفاً جمعت في قولهم (سنشد حجتك بذل رض قثم) بشرط انتفاء الموانع المتقدمة [٢] .

الباء : تدغم فى الميم فى قوله تعالى : ﴿ يعذب من يشاء (١٢٩) ﴾ « آل عمران » [٣] فقط وذلك فى خمسة مواضع فى آل عمران والمائدة والعنكبوت والفتح . وذلك موافقة لما جاورها وهو : (يرحم من) و (يغفر لمن) وأظهر ما عدا ذلك نحو : ﴿ ضرب مثل (٧٣) ﴾ « الحج » ﴿ سنكتب ما يقول (٧٩) ﴾ « مريم » لفقد المجاور وهذا بلا خلاف .

التاء تدغم فى عشرة أحرف هى :

الثاء : ﴿ إذا رأيت ثم (٢٠) ﴾ « الإنسان » - ﴿ وما كنت ثاويا (٤٥) ﴾ « القصص » .

والجيم : ﴿ دخلت جنتك (٣٩) ﴾ « الكهف » ، ﴿ فأكثرت جدالنا (٣٢) ﴾ « هود » .

والذال : ﴿ السيئات ذلك (١١٤) ﴾ « هود » - ﴿ والآخرة ذلك (١٢) ﴾ « الحج » .

والزاى : ﴿ بالآخرة زينا (٤) ﴾ « النمل » - ﴿ فالزاجرات زجرا (٢) ﴾ « الصافات » .

---

(١) النشر ١ / ٢٨٦ .

(٢) انظر ص ١٥١ وما بعدها فيما سبق من هذا الكتاب .

(٣) وسورة المائدة الآيتان ١٨ ، ٤٠ ، وسورة العنكبوت الآية ٢١ ، وسورة الفتح الآية ١٤ .

والسين : ﴿ الصالحات سيجعل لهم (٩٦) ﴾ « مريم » - ﴿ قد أوتيت سؤلك (٣٦) ﴾ « طه » .

﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك (٨٧) ﴾ « الأنبياء » .

والشين : ﴿ لقد جئت شيئاً نكرا (١٧) ، (١٨) ﴾ « الكهف » - ﴿ الساعة شئ (١) ﴾ « الحج » - ﴿ بأربعة شهداء (٤) ﴾ « النور » .

والصاد : ﴿ والصافات صفا (١) ﴾ « الصافات » - ﴿ والملائكة صفا (٣٨) ﴾ « النبأ » .

والضاد : فى موضع واحد ، ﴿ والعاديات ضبحا (١) ﴾ « العاديات » .

والطاء : ﴿ بيت طائفة (٨١) ﴾ « النساء » - ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار (١١٤) ﴾ « هود » - ﴿ وعملوا الصالحات طوبى (٢٩) ﴾ « الرعد » - ﴿ لمن خلقت طينا (٨١) ﴾ « الإسراء » .

والظاء : ﴿ الملائكة ظالمى أنفسهم (٩٧) ﴾ « النساء »(١) .

والثاء تدغم فى خمسة أحرف هى :

التاء : ﴿ حيث تؤمرون (٦٥) ﴾ « الحجر » - ﴿ الحديث تعجبون (٥٩) ﴾ « النجم » - ﴿ ثلاثة رابعهم (٢٢) ﴾ « الكهف » وعليها : ابعث تلك وأغث تلك وثلاثة دراهم .

---

(١) وسورة النحل الآية ٢٨ .

قال سيبويه : - عند حديثه عن ثلاثة دراهم - تدغم الثاء من ثلاثة فى الهاء إذا صارت تاء والبيان فيه جيد [١] .

وقال ابن جنى : - عند حديثه عن قراءة ابن محيصن (ثلات رابعهم كلبهم) بإدغام ثاء ثلاثة فى الهاء بعدها : الثاء لقرب مخرجها من التاء تدغم فيها كقولك : ابعث تلك ، وأغث تلك . وجاز الإدغام وإن كان قبل الأول ساكن لأنه ألف فصار كشابة ودابة ولم يدغمها فيها إلا ابن محيصن وحده [٢] .

والثاء متفقة مع التاء فى معظم الصفات وهى : الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات وتختلفان فى الشدة والرخاوة مع التقارب فى المخرج (فلما كانت الثاء أخت التاء فى الهمس وتجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً) [٣] ويتحقق إدغام الثاء فى التاء بعد انتقال مخرج الثاء الذى هو طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا إلى مخرج التاء وهو طرفه مع أصول الثنايا العليا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور لتصير شديدة مثلها بعد أن كانت رخوة وبذلك يتحد الصوتان فى المخرج والصفة ومثلها تماماً : ابعث تلك وأغث تلك ففى كل منهما قلبت الثاء تاء وأدغمت فيها على النحو السابق .

والذال فى حرف واحد : ﴿ الحرث ذلك ﴿١٤﴾ ﴾ «آل عمران» .

والسين : ﴿ وورث سليمان ﴿١٦﴾ ﴾ « النمل » - ﴿ حيث سكنتم ﴿٦﴾ ﴾ « الطلاق » - ﴿ الحديث سنستدرجهم ﴿٤٤﴾ ﴾ « القلم » .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٦٤ .

(٢) المحتسب ٢ / ٢٦ .

(٣) سر الصناعة ١ / ١٨٩ .

والشين : ﴿ حيث شئتما (٣٥) ﴾ « البقرة »[١] - ﴿ حيث شئتم (٥٨) ﴾ « البقرة »[٢] .

والضاد : في موضع واحد : ﴿ حديث ضيف (٢٤) ﴾ « الذاريات » .

والجيم تدغم في موضعين :

في التاء : ﴿ ذى المعارج تعرج (٣،٤) ﴾ « المعارج » .

والشين : ﴿ أخرج شطأه (٢٩) ﴾ « الفتح » واختلف في إظهاره وإدغامه[٣] . والإدغام جائز لأنهما من مخرج واحد وهما من حروف وسط اللسان .

والحاء تدغم في العين في حرف واحد : ﴿ فمن زحزح عن النار (١٨٥) ﴾ « آل عمران » . قال سيبويه : ولم تدغم الحاء في العين في قولك : امدح عرفه لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجريت مجرى الميم مع الباء ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهما من المخرج الثاني للحلق وليست حروف الحلق بأصل للإدغام ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت في (امدح عرفه) : (أمد حرفه) جاز[٤] .

وقال السيرافي : روى عن أبي عمرو في إدغام الحاء في العين روايتان :

---

(١) وسورة الأعراف الآية ١٩ .

(٢) وسورة الأعراف الآية ١٦١ .

(٣) لكن الشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها وفيها تفش فلا تدغم في الجيم حتى لا يضيع ذلك في مثل افرش جبلة وقد تدغم الجيم فيها كما في الآية ومثله في اللغة قولك : أخرج شيئاً ، الكتاب ٤ / ٤٤٩ ، ٤٥٢ .

(٤) الكتاب ٤ / ٤٥١ .

إحـداهمـا : إدغـامـهـا فى العين وروى اليـزيدى عنه أنـه لم يكن يدغم الحـاء فى العين إلا فى قوله تعالى فى سـورة آل عـمـران ﴿ فـمن زحزح عن النار ﴾ .

والرواية الأخـرى : مـا رواه اليـزيدى عن أبى عـمـرو قـال : من العـرب من يدغم الحـاء فى العين قـال : وكـان أبـو عـمـرو لا يرى ذلك وهذا أصح [١] .

وقيل : إنه أدغم فى (فمن زحزح عن النار) وأظهر فيما عدا هذا الموضع مثل : ﴿ فـلا جنـاح عليهـمـا (٢٢٩) ﴾ « البقرة » [٢] - ﴿ المسيـح عيـسى (٤٥) ﴾ « آل عمـران » - ﴿ ذبـح على (٣) ﴾ « المائدة » .

وإدغام الحاء فى العين ليس بقياس بل مقصور على السماع [٣] .

والدال تدغم فى عشرة أحرف :

التاء : ﴿ المساجد تلك (١٨٧) ﴾ « البـقرة » - ﴿ من الصيد تناله (٩٤) ﴾ « المائدة » .

الثـاء : ﴿ يرد ثواب (١٤٥) ﴾ « آل عـمــران » - ﴿ لمن تريد ثم (١٨) ﴾ « الإسراء » .

الجيـم : ﴿ دواد جـالوت (٢٥١) ﴾ « البـقـرة » - ﴿ دار الخلد جزاء (٢٨) ﴾ « فصلت » .

---

(١) إدغام القراء للسيرافى ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآيات ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ .

(٣) النشـر ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، وقال ابن الجزرى : « روى إدغـامـه عامـة أهل الأداء وبه قـرأ الدانى . وروى إظهاره جمـهور العراقيين والوجـهان صحيـحان مأخـوذ بهـمـا » وانظر الحديث عن إدغام حروف الحلق ص ٢٤١ .

الذال : ﴿ من بعد ذلك (٥٢) ﴾ « البقرة » - ﴿ والقلائد ذلك (٩٧) ﴾ « المائدة » - ﴿ كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا (١٦٤) ﴾ « مريم » .

الزاى : ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا (٢٨) ﴾ « الكهف » - ﴿ يكاد زيتها يضئ (٣٥) ﴾ « النور » .

السين : ﴿ فى الأصفاد سرابيلهم (٤٩) ، (٥٠) ﴾ «إبراهيم» - ﴿ كيد ساحر (٦٩) ﴾ « طه » - ﴿ عدد سنين (١١٢) ﴾ «المؤمنون» .

الشين : ﴿ شهد شاهد (٢٦) ﴾ « يوسف » .

الصاد : ﴿ نفقد صواع الملك (٧٢) ﴾ « يوسف » - ﴿ فى المهد صبيا (٢٩) ﴾ « مريم » .

الضاد : ﴿ من بعد ضراء (٥٠) ﴾ « فصلت » - ﴿ من بعد ضعف (٥٤) ﴾ « الروم » .

الظاء : ﴿ يريد ظلما (١٠٨) ﴾ « آل عمران » [١] - ﴿ من بعد ظلمه (٣٩) ﴾ « المائدة » .

والذال تدغم فى :

السين : ﴿ فاتخذ سبيله (٦١) ﴾ « الكهف » .

والصاد : ﴿ ما اتخذ صاحبة (٣) ﴾ « الجن » .

---

(١) وسورة غافر الآية ٣١ .

والراء تدغم فى اللام [١] : ﴿ أطهر لكم ﴿٨٧﴾ ﴾ « هود » - ﴿ ليغفر لك ﴿٢﴾ ﴾ « الفتح » .

فإن سكن ما قبلها وتحركت هى بضمة أو كسرة أدغمت ومما جاء من ذلك ﴿ المصير لا يكلف ﴿٢٨٥﴾ ، ﴿٢٨٦﴾ ﴾ « البقرة » - ﴿ النهار لآيات ﴿١٩٠﴾ ﴾ « آل عمران » .

وأجمعوا على إظهارها إذا فتحت وسكن ما قبلها ﴿ الحمير لتركبوها ﴿٨﴾ ﴾ « النحل » و ﴿ البحر لتأكلوا ﴿١٤﴾ ﴾ « النحل » و ﴿ الخير لعلكم ﴿٧٧﴾ ﴾ « الحج » .

ويختلف موقف اللغويين من هذا الإدغام عن موقف القراء فعلى حين ورد ذلك الإدغام فى القراءات الصحيحة نرى اللغويين لا يجيزونه .

قال ابن جنى : (واعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف لأن إدغامها فى غيرها يسلبها ما فيها من الوفور والتكرير فأما قراءة أبى عمرو : ﴿ يغفر لكم ﴿٧١﴾ ﴾ « الأحزاب » [٢] بإدغام الراء فى اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شئ رواه القراء ولا قوة له فى القياس) [٣] .

وعليه قال أبو السعود عند قوله تعالى ﴿ فيغفر لمن يشاء ﴿٢٨٤﴾ ﴾ « البقرة » إدغام الراء فى اللام لحن [٤] قال الدمياطى :

---

(١) هذا فى الإدغام الكبير فيما تقدمت فيه الراء .

(٢) وسورة الحديد الآية ٢٨ ، وسورة الصف الآية ١٢ ، وسورة نوح الآية ٤ .

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٠٦ وانظر الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

(٤) أبو السعود ١ / ٢٨٣ .

وأدغم الراء في اللام السوسي والدوري بخلفه وهو من الإدغام الصغير (١) .

وعلى ذلك رأينا اللغويين يختلف موقفهم عما ورد في صحيح القراءات ، ولعل الأصل أن القراءة إذا صحت اعتدت أصلا يقاس عليه وتجرى عليه القواعد .

وعكس ذلك صحيح من إدغام اللام في الراء مثل : هرأيت (٢) لأن الراء أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها فضارعنا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد إذ كانت اللام ليس حرف أشبه به منها ولا أقرب ، وإن لم تدغم فقلت (هل رأيت) فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة (٣) .

والسين : تدغم في الزاي في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوجت (٧) ﴾ « التكوير » لا غير .

وفي الشين : ﴿ واشتعل الرأس شيبا (٤) ﴾ « مريم » وقد اختلف فيه ، وأجمعوا على إظهار : ﴿ لا يظلم الناس شيئا (٤٤) ﴾ « يوسف » .

والشين : تدغم في السين في موضع واحد ﴿ إلى ذي العرش سبيلا (٤٢) ﴾ « الإسراء » لا غير واختلف فيه وفي إدغامه وروى إظهاره سائر أصحاب الإدغام عن أبي عمرو (٤) .

والضاد تدغم في الشين في موضع واحد : ﴿ لبعض شأنهم (٧٢) ﴾ في النور لا غير واختلف فيه (٥) .

---

(١) الإتحاف ١ / ٤٦١ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٥٧ ، وانظر ص ١٦٨ من هذا الكتاب .

(٤) النشر ١ / ٢٩٣ والتيسير ص ٢٣ .

(٥) أدغمها أبو عمرو ، انظر النشر ١ / ٢٩٣ والتيسير ص ٢٣ ، ٢٤ .

قال سيبويه : إن الضاد لا تدغم في الشين لأن لكل منهما صفة ليست في الأخرى فالضاد من صفاتها : الاستطالة والشين من صفاتها : التفشي فكل منهما لها حاجز [١] وقد أدغمت في هذه القراءة الصحيحة مخالفة للقاعدة المشهورة .

والقاف : تدغم في الكاف إذا تحرك ما قبلها : ﴿ ينفق كيف (٦٤) ﴾ « المائدة » . فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو ﴿ وفوق كل ذي علم عليم (٧٦) ﴾ « يوسف » .

والكاف : تدغم إذا تحرك ما قبلها في القاف ﴿ ونقدس لك قال (٣٠) ﴾ « البقرة » فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو : ﴿ إليك قال (١٥٦) ﴾ « الأعراف » ﴿ يحزنك قولهم (٧٦) ﴾ « يس » ﴿ تركوك قائما (١١) ﴾ « الجمعة » .

واللام [٢] : تدغم إذا تحرك ما قبلها في الراء بأي حركة تحركت هي نحو : ﴿ رسل ربك (٨١) ﴾ « هود » - ﴿ كمثل ريح (١١٧) ﴾ « آل عمران » - ﴿ أنزل ربكم (٢٤) ﴾ « النحل » ، فإن سكن ما قبلها أدغمها مضمومة كانت أو مكسورة نحو : ﴿ يقول ربنا (٢٠٠) ﴾ « البقرة » - ﴿ سبيل ربك (١٢٥) ﴾ « النحل » ، فإن انفتحت بعد الساكن لم تدغم نحو : ﴿ فعصوا رسول ربهم (١٠) ﴾ « الحاقة » إلا لام قال فإنها تدغم حيث وقعت لكثرة ورودها نحو : ﴿ قال رب (٢٥) ﴾ « المائدة » [٣] - ﴿ قال ربكم (٦٠) ﴾ « غافر » - ﴿ قال رجل (٢٨) ﴾ « غافر » - ﴿ قال رجلان (٢٣) ﴾ « المائدة » .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٦٦ .

(٢) هذا فيما تقدمت فيه اللام في الإدغام الكبير .

(٣) وسورة الحجر الآيتان ٣٦ ، ٣٩ وسورة القصص الآيتان ١٦ ، ١٧ .

والميم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفا لتوالى الحركات فتخفى إذ ذاك بغتة نحو ﴿ يحكم بينهم (١١٣) ﴾ « البقرة » - ﴿ بأعلم بالشاكرين (٢٨) ﴾ « الأنعام » - ﴿ مريم بهتانا (١٥٦) ﴾ « النساء » هذا على مذهب أبى عمرو فى الإدغام ، فإن سكن ما قبلها أجمعوا على ترك ذلك إلا ما روى من الإخفاء بعد حرف المد أو اللين نحو : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام (١٩٤) ﴾ « البقرة » ﴿ اليوم بجالوت (٢٤٩) ﴾ « البقرة » وقد عبر بعض المتقدمين عن هذا الإخفاء بالإدغام والصواب أن الإخفاء غير الإدغام .

الميم الساكنة - لها حالات :

١ - الميم تدغم بالغنة عند ميم مثلها وذلك فى كل ميم مشددة نحو : ﴿ دمر (١٠) ﴾ « محمد » ﴿ ويعمر (١١) ﴾ « فاطر » - ﴿ حمالة (٤) ﴾ « المسد » - ﴿ طسم (١) ﴾ « القصص » - ﴿ ألم (١) ﴾ « البقرة »[1] - ﴿ وهم (٢٤) ﴾ «يوسف» - ﴿ أم من أسس (١٠٩) ﴾ « التوبة » .

٢ - تخفى عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الدانى وغيره من المحققين وهو مذهب أبى بكر بن مجاهد وغيره وهو الذى عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد الغربية وذلك نحو : ﴿ ومن يعتصم بالله (١٠١) ﴾ « آل عمران » - ﴿ يوم هم بارزون (١٦) ﴾ « غافر » - ﴿ ربهم بهم (١١) ﴾ « العاديات » للإجماع على إخفائها عند القلب فى مثل : ﴿ أنبئهم (٣٣) ﴾ « البقرة » - ﴿ من بعد (٢٧) ﴾ « البقرة » .

---

(١) وسورة آل عمران وسورة العنكبوت وسورة الروم ولقمان والسجدة الآية ١ .

ويرى جماعة كأبي الحسن أحمد بن المنادى وغيره إظهار الميم الساكنة عند الباء إظهاراً تاماً وهو اختيار مكى القيسى وغيره وهو الذى عليه أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية وحكى إجماع القراء عليه وتظهر عند باقى الأحرف مثل : ﴿ الحمد وأنعمت (٢، ٧) ﴾ « الفاتحة » ولا سيما إذا أتى بعدها فاء أو واو مثل : ﴿ هم فيها (٢٥) ﴾ « البقرة » - ﴿ عليهم ولا (٧) ﴾ « الفاتحة »، والوجهان صحيحان [1] مأخوذ بهما إلا أن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائها عند القلب وعلى إخفائها فى المتحركة فى مذهب أبى عمرو بالإدغام [2] .

قال اللغويون : الميم لا تدغم فى الباء لأن الميم هى الحرف الذى يفرون إليه من النون حين تقترن بالباء مثل العنبر ومن بدا لك ولذا لا تغير الميم إذا وليها الباء [3] ، وإدغام الباء فى الميم صحيح كما فى اصحب مطراً تقول اصحمطرا .

والنون تدغم فى الراء واللام إذا تحرك ما قبلها ففى الراء : ﴿ وإذ تأذن ربك (١٦٧) ﴾ « الأعراف » - ﴿ خزائن رحمة (١٠٠) ﴾ « الإسراء » [4] .

وفى اللام : ﴿ لن نؤمن لك (٩٠) ﴾ « الإسراء » - ﴿ تبين له (١١٤) ﴾ « التوبة » - ﴿ زين للذين (٢١٢) ﴾ « البقرة » .

فإن سكن ما قبلها لم تدغم إلا فى كلمة (نحن) حيث وقعت

---

(١) حال وقوع الميم قبل الباء .

(٢) النشر ١ / ٢٢٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

(٤) وسورة ص الآية ٩ .

وجملته عشرة مواضع مثل : ﴿ ونحن له مسلمون (٨٤) ﴾ « آل عمران »[١] - ﴿ ونحن له عابدون (١٣٨) ﴾ « البقرة » - ﴿ ونحن له مخلصون (١٣٩) ﴾ « البقرة » وفي الأعراف : ﴿ فما نحن لك (١٣٢) ﴾ - وفي المؤمنون : ﴿ وما نحن له (٣٨) ﴾ ، وعللوا لذلك بتعليلات منها : ثقل الضمة ولزوم حركتها وامتناعها من الانتقال من الضم إلى غيره أو لتكرار النون وكثرة ورودها . وهذا جميع ما أدغمه أبو عمرو من الحروف المتحركة[٢] .

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١٣٣ ، ١٣٦ .

(٢) النشر ١ / ٢٨٦ - ٢٩٦ .

الإدغام فى حروف العربية

الحروف نوعان :

١ - ما يوجد فيه إدغام المثلين ولا يصح فيه إدغام المتقاربين .

٢ - ما يصح فيه إدغام المثلين والمتقاربين .

فمن النوع الأول : الهمزة فأمرها دائر بين التحقيق والتخفيف بالإبدال والحذف وبين بين (أى بينها وبين حرف حركتها أو حرف حركة ما قبلها) وبين بين تكون بين الهمزة والواو - إن كانت مضمومة - وبينها وبين الألف - إن كانت مفتوحة - وبينها وبين الياء - إن كانت مكسورة - وبعضهم يجعلها بينها وبين حرف حركة ما قبلها فى مثل سئل ومستهزئون وفى بدء الكلمة تخفف بالحذف نحو (قد أفلح المؤمنون) والطلب مثل : ائتنا ونحوه ، وفى بدء الكلمة ووسطها وآخرها لها أحوال فى التخفيف معروفة فى فن التصريف ، ولكن وجد منها إدغام المثلين إذا وقعت الهمزة عينا للكلمة مثل : سآل وسؤال جمع سائل ويلزم الإدغام بتضعيفها لتكون بلفظ واحد أما فى غير وقوعها عيناً ففيها التخفيف المشار إليه دون الإدغام .

قال الرضى : وإن سكنت الأولى وتحركت الثانية فإن كان ذلك فى صيغة موضوعة على التضعيف كسآل وسؤال وجب الإدغام محافظة على وضع الصيغة ولا يكون ذلك إلا إذا اتصلت الأولى بالفاء وذلك أن الهمزة ثقيلة ولا سيما ما ضعف منها فإذا وليت الأولى أول الكلمة خفت وأما فى غير ذلك فلا يجوز) [1] ولم ترد العين همزة فى القرآن .

---

(١) شرح الشافية ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

والألف لا تدغم فى الألف كذلك ولا تدغم فيما يقاربها كالهاء لأن الإدغام يقتضى تحريكها وهى لا تقبل الحركة وكذلك شأن مقاربها ، إذ إن الإدغام هو الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك والألف لا يكون متحركاً [١] . ويقتضى ذلك تغييرهما فيصبحان غير ألفين فإذا التقت ألفان لا يمكن تحريك إحداهما وإذا التقت مع خلافها فلا يمكن إدغامها فيه لأن ذلك يقتضى قلبها .

قال سيبويه : (الألف لا تدغم فى الهاء ولا فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم فى الألف لأنهما لو فعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيرتا فكانتا غير ألفين فلما لم يكن ذلك فى الألفين لم يكن فيها مع المتقاربة فهى نحو من الهمزة فى هذا فلم يكن فيهما الإدغام كما لم يكن فى الهمزتين) [٢] .

والياء لا تدغم كذلك ولا الواو مع شئ من الحروف المقاربة لأن فيهما لينا ومدا فلا يقوى عليهما ما ليس فيه مد ولا لين من الحروف كالباء والجيم إذ إدغام ما ليس فيه مد ولين فيما فيه مد ولين يخرج الآخر عن طبيعته وحتى إذا لم تجانسهما الحركة فهما أشباه أصوات اللين فى مثل رأيت قاضى جابر ورأيت دلو مالك ورأيت غلامى جابر فلا تدغم فى هذه الياء الجيم وإن كانت لا تحرك لأنك تدخل اللين فى غير ما يكون فيه اللين والمد أبعد شئ عن الإدغام .

والنوع الذى يقبل إدغام المثلين وإدغام المتقاربين هو باقى الحروف فإدغام المثلين نحو [٣] : أكرم محمدا وهو عام فى باقى الحروف .

---

(١) شرح الشافية ص ٢٤٠ وهذا إذا التقى ألفان كما فى نحو السماء والبناء إذا وقفت عليها بالإسكان .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٦ وشرح المفصل ١٠ / ١٣٦ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

وإدغام المتقاربين له ثلاثة أقسام:

الأول : يدغم فى مقاربة ولا يدغم مقاربه فيه .

وهـو : الهاء والعين والباء يجمعها قولك (بعه) .

الهاء والعين : تدغمان في الحاء والحاء لا تدغم فى العين ولا فى الهاء إلا بعد أن تبدل العين والهاء حاء .

الباء : تدغم فى الفاء والميم ولا تدغمان فيها [١] .

الثانى : يدغم مقاربه فيه ولا يدغم هو فى مقاربه وهو ستة أحرف يجمعها قولك (شرف محض) ولم يذكر سيبويه بينها الحاء والضاد [٢] .

الحاء : يدغم فيه الهاء والعين .

الشين : يدغم فيه الجيم والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء واللام .

الضاد : يدغم فيه سبعة أحرف هى : الطاء والتاء والدال والظاء والذال والثاء واللام .

الراء : يدغم فيه اللام والنون .

الفاء : يدغم فيه الباء .

الميم : يدغم فيه الباء والنون .

الثالث : الذى يدغم فى مقاربه ويدغم مقاربه فيه وهو باقى الحروف وهى ثمانية عشر حرفاً يجمعها قولك :

ظن زكوت خلط   سذج غيث قصد

---

(١) انظر ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، وانظر أمثلة ما يأتى أيضاً متفرقة فى هذا الكتاب .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

الإدغام فى حروف الحلق

أصل الإدغام فى حروف الفم ، وحروف الحلق ليست أصلاً للإدغام [١] فى كلمة واحدة وجاء تضعيف الحاء فى مثل : دح ومح ، ولهذا كان تضعيف الهاء نحو فه وكه السكران والعين نحو دع وكع قليلاً جداً ولم يدغم بعضها فى بعض فى كلمتين - أيضا - فى الأغلب وجاء الإدغام فى كلمتين قليلاً [٢] ، وهى لا تدغم فى غيرها ولكن يلتقى بعضها مع بعض على سبيل الإدغام والإظهار .

والقاعدة : أنه لا يدغم الأدنى مخرجاً فى الأبعد لأن الأدنى أخف والأبعد أثقل فأنزلها فى الحلق أثقلها ، فأثقلها الهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الحاء ثم الغين ثم الخاء وقياس إدغام الأنزل (يعنى الأبعد فى الحلق) فى الأعلى (يعنى الأدنى إلى الفم) بقلب الأول إلى الثانى قياس مطرد غير منكر .

ولا يدغم حرف حلق فى نظيره مما هو أدخل منه مخرجا وما حدث من ذلك يعد شاذاً أو قليلاً

١ - الهاء مع الحاء :

إذا التقت الهاء مع الحاء مع تقدم الهاء مثل : اجبه حملا - وجه حجتك جاز الإظهار والإدغام والبيان أحسن لاختلاف المخرجين والإدغام عربى حسن لقرب المخرجين ولأنهما صوتان مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرجين والهمس .

فإذا تأخرت الهاء لا يجوز إدغام الحاء فى الهاء لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى علي الإدغام كما فى امدح هلالاً واذبح هذا [٢] .

---

(١) يرجع ذلك إلى التكوين الفسيولوجى للحلق لأن عضلاته ليست لها مرونة كعضلات الفم واللسان .

(٢) شرح الشافية ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ . (٣) الكتاب ٤ / ٤٤٩ وشرح المفصل ١٠ / ١٣٦ .

وقد تدغم الحاء فى الهاء بعد قلب الهاء حاء فيقال : امد حلالا وإذ بحاذا ، على خلاف الأصل ، لأنه قلب الثانى إلى الأول ولأن الهاء أدخل من الحاء والأدنى لا يدغم فى الأبعد وقد أدغم الحاء فى الهاء بعد قلب الهاء حاء .

قال الرضى : فالهاء فى الحاء وإنما كان القياس قلب الأول إلى الثانى دون العكس لأن الإدغام تغيير الحرف الأول بإيصاله إلى الثانى وجعله معه كحرف واحد فلما كان لابد للأول من التغيير بعد صيرورة المتقاربين مثلين ابتدأت بتغييره بالقلب (١) .

ولقيت الهاء الحاء فى القرآن الكريم مثل ﴿ إنه حكيم (١٣٩) ﴾ « الأنعام » ﴿ ومن أحسن من الله حكما (٥٠) ﴾ « المائدة » - ﴿ أهله حاضرى المسجد الحرام (١٩٦) ﴾ « البقرة » - ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده (٧٨) ﴾ « الحج » ، ولم يقرأ بإدغام شئ منه فى القرآن .

٢ - الهاء مع العين :

لا تدغم الهاء فى العين سواء تقدمت الهاء على العين أو تأخرت عنها لأن كل واحدة مستثقلة لنزولها فى الحلق فكيف بهما مجتمعتين مع تنافرهما ؟ والمخرج مختلف فالهاء من المخرج الأول والعين من المخرج الثانى ولكن يمكن الإدغام بتحويل الهاء حاء والعين حاء ثم تدغم الحاء فى الحاء لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم فى الذى قبله فيبدل مكانها أشبه الحرفين بها ثم يدغم فيه وهو الحاء الأخف منهما لأنه أدنى منهما فى الحلق ولا يجوز هنا قلب الأول إلى الثانى ولا قلب الثانى إلى الأول فقلبا حاء ، فالتقاء الحاءين أخف من التقاء

---

(١) شرح الشافية ص ٣٥٦ .

العينين أو الهاءين والمهموس أخف من المجهور وذلك مثل اجبه عقبة وامدح هلالاً والبيان أحسن ، قال سيبويه :

« إن التقاء الحاءين أخف فى الكلام من التقاء العينين ألا ترى أن التقاءهما فى باب رددت أكثر والمهموس أخف من المجهور فكل هذا يباعد العين من الإدغام إذ كانت هى والهاء من حروف الحلق ومثل ذلك : اجبه عقبة فى الإدغام والبيان وإذا أردت الإدغام حولت العين حاء ثم أدغمت الهاء فيها فصارتا حاءين ولأن الأقرب إلى الفم لا يدغم فى الذى قبله كيلا يكون الإدغام فى الذى فوقه ولكن ليكون فى الذى هو من مخرجه والبيان أحسن » [١] .

ومما قالت العرب تصديقا لهذا فى الإدغام قول بنى تميم : محم يريدون : معهم ومحاؤلاء يريدون : مع هؤلاء [٢] ومثله : دحا محا أى : دعها معها [٣] وعليها قراءة : ﴿ ألم أحد إليكم يا بنى آدم (٦٠) ﴾ « يس » [٤] .

٣ - العين مع الحاء :

هنا تدغم العين فى الحاء حال تقدم العين كقولك : اقطع حملا - اسمع حديثاً - والإدغام حسن والبيان حسن لأنهما من مخرج واحد والعين صوت مجهور على حين أن الحاء صوت مهموس ، يقول

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٥٠ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٠ .

(٣) الكتاب ٣ / ٢٦٠ .

(٤) سورة يس الآية ٦٠ ، والكشاف ٣ / ٢٩٠ .

وقال الرضى : (ومحم فى معهم ضعيف كان القياس الأول (أى قلب الأول إلى الثانى) أن يقال مهم بقلب العين هاء وقياس العارض - وهو كون الثانى أى الهاء أدخل فى الحلق وأثقل أن يقلب الثانى إلى الأول فيقال : (معم) فاستثقل كلاهما ، شرح الشافية ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ .

سيبويه : إن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين ألا ترى أن التقاءهما في باب رددت أكثر والمهموس أخف من المجهور فكل هذا يباعد العين من الإدغام .

ولم تدغم الحاء في العين - حال تقدم الحاء - في قولك : امدح عرفه واذبح عنوداً لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجريت مجرى الميم مع الباء فجعلتها بمنزلة الهاء كما جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهي من المخرج الثاني من الحلق والحاء أخف من العين فلو قلب الأولى التي هي أخف إلى الثانية التي هي أثقل لمشت خفة الإدغام بثقل الحرف المقلوب إليه فكأنه لم يدغم شئ في شئ [١] .

ويجوز - بعد قلب العين حاء - إدغامها فيها كأن تقول : امد حرفه [٢] وإذ بحنودا وهذا على خلاف الأصل بأن يقلب الثاني إلى الأول لأن العين أدخل من الحاء وقد أدغم الحاء في العين بعد قلب العين حاء والأدنى لا يدغم في الأعلى ولم تلق العين الحاء في القرآن إلا في قوله تعالى ﴿ من الدمع حزنا (١٢) ﴾ « التوبة » أو تكون العين منونة كقوله تعالى ﴿ وكان الله واسعا حكيما (١٣٠) ﴾ « النساء » دون إدغام لكن وردت قراءة أبي عمرو (فمن زحزح عن النار) يقلب الحاء عيناً والإدغام [٣] .

٢ - الغين مع الخاء :

حال تقديم الغين على الخاء أو تأخرها :

ففي تقديم الغين مثل : ادمغ خلفا ، البيان أحسن ، والإدغام

---

(١) شرح الشافية للرضى ص ٣٥٦ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥١ .

(٣) شرح الشافية للرضى ص ٣٦٣ .

حسن بقلب الغين خاء ، وإدغامها فى الخاء ، فالغين والخاء مختلفان فى الهمس والجهر ، وجاز الإدغام لأنهما المخرج الثالث ، وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان [١] .

وإذا تقدمت الخاء مثل : اسلخ غنمك أدغمت الخاء فى الغين فتقول : اسلغنمك [٢] ، ولكن ليس كحسن إدغام الغين فى الخاء ، وذلك لأن الخاء أدنى من الغين مخرجاً . وتضعيف الخاء كثير ، وتضعيف الغين لم يأت إلا مع الفصل .

وعلى هذا نرى أن صور الإدغام فى المتقاربين من حروف الحلق قليلة وهى تتمثل فى إدغام الهاء فى الحاء والحاء فى الهاء - بعد قلب الهاء حاء - والهاء فى العين بعد قلبهما حاءين .

وإدغام العين فى الحاء والحاء فى العين - بعد قلب العين حاء كذلك - وإدغام الغين فى الخاء والخاء فى الغين - بعد قلب إحداهما إلى الأخرى .

أما الحالات التى لا تدغم فيها حروف الحلق المتقاربة فهى كثيرة وتتلخص فى امتناع إدغام الهمزة فى أخواتها الخمس من حروف الحلق (الهاء - العين - الحاء -الغين - الخاء) وكذلك امتناع إدغام الهاء فى العين أو الغين أو الخاء وامتناع إدغام العين فى الغين أو الخاء [٣] ، كذلك إدغام الحاء فى الغين والخاء ، وإدغام الغين فى الهاء أو العين أو الخاء ، وإدغام الخاء فى الهاء أو العين أو الحاء .

ولم يقع فى القرآن الكريم إدغام حروف الحلق بعضها فى بعض ، وهو قليل فى الأساليب العربية ، ولا يدغم حرف حلقى فى

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٤٩ - ٤٥١ .

(٢) شرح الشافية للرضى ص ٣٦٣ .

(٣) ورد عن المبرد جواز ذلك مثل : اسمع غالبا : اسمغّا لبناً ، واسمع خلفا : اسمخلفاً ، وزعم أن ذلك مستقيم فى اللغة ، معروف جائز فى القياس ، المقتضب ١ / ٢٠٨ والتذييل لأبى حيان ٨ / ٦١٢ .

شئ من حروف الفم لسانياً كان أو شفوياً ولم يحدث عكس ذلك أيضاً ، فلم تدغم حروف اللسان أو الشفة فى شئ من حروف الحلق . والإظهار فى حروف الحلق أحسن . ويجب تقوية بعض الحروف لتخرج سليمة من مخارجها مثل :

الهاء قبل الحاء أو بعدها كقوله تعالى ﴿ وسبحه ليلا طويلا (٢٦) ﴾ « الإنسان » وقوله ﴿ وما قدروا الله حق قدره (٦٧) ﴾ « الزمر » .

الهاء بعد الحاء كقوله تعالى ﴿ والشمس وضحاها (١) ﴾ « الشمس » .

الهاء مع العين سبقت الهاء أو تأخرت مثل ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥) ﴾ « القارعة » - ﴿ فبايعهن (١٢) ﴾ « الممتحنة » فيجب إظهار الهاء .

إذا وقعت العين بعد الحاء وجب إظهار الحاء مثل ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا (١٢٨) ﴾ « النساء » وقوله سبحانه ﴿ فمن زحزح عن النار ﴾ .

الغين إذا وقعت بعدها عين أو قاف مثل قوله عز وجل : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا (٢٥٠) ﴾ « البقرة » [١] - ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا (٨) ﴾ « آل عمران » [٢] .

وكذلك إذا تكررت الغين مثل قوله سبحانه : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) .

وهكذا .

---

(١) وسورة الأعراف الآية ١٢٦ .

(٢) روى إدغام الغين فى القاف عن أبى عمرو ، وفى مختصر شواذ القراءات لابن خالويه أن ذلك الإدغام خطأ والإجماع على الإظهار وفى التذييل لأبى حيان تأييد الإدغام هنا بالسماع (٨ / ٦١٢) .

الإدغام فى حروف الفم واللسان

عرفنا أن الإدغام يمتنع أو يقل فى حروف الحلق ، فالبيان أحسن فيها .

وهنا نقول : إن الإدغام يكثر فى حروف الفم واللسان فأصل الإدغام لحروف الفم ، وقد قيل : إنها أكثر عدداً من حروف الحلق والشفتين ، ويظهر أن السبب فى كثرة الإدغام فيها يرجع إلى سهولة النطق بالحروف الخارجة من الفم ، فاللسان ينطق بالحروف ، وأقصى الحنك ووسطه ومقدمه يساعد اللسان فى إخراج الحروف ، يقول شادة « إن المعول عليه فى آلات النطق ليس الإحصائيات للحروف الصادرة عنها بل بكثرة الحركة والانطلاق والتقلب واللسان هو أكثر أعضاء النطق انطلاقاً وحركة وكذلك الجزء المؤخر من الحنك ، فحال وضع طرف اللسان على موضع الراء يمكن الانتقال إلى مخرج اللام من جانبى اللسان بسهولة وحال رفع طرف اللسان تخرج الراء ، وعند ارتخاء مؤخر الحنك تخرج النون فالمعول عليه هو سهولة نطق حروف الفم واللسان وسهولة إدغام حرف منها فى حرف آخر لشدة تحركها وتقلبها »[١] .

والقاعدة العامة أن الإدغام فى هذه الحروف يتم بعد تماثل الصوتين فإذا تجاور حرفان متقاربان من مخرج واحد أو من مخارج مختلفة فإن الإدغام جائز لا واجب ويدغم - عادة - الأدخل مخرجاً فى الأقرب إلى الفم - عكس ما يجرى فى حروف الحلق ، وأحياناً يكون البيان أحسن وأحياناً أخرى يكون الإدغام أحسن ويقل الإدغام حسناً كلما قرب المخرج من حروف الحلق ، وكلما بعد المخرج عن الحلق كان إدغام الحروف حسناً .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا . لشادة ص ٢٤ ، ٢٥ .

ويراعى حال الإدغام الحروف ذات الصفات التى لها طابع مميز قد يضيع بالإدغام ، فهنا يدغم الصوت ذو الخصيصة فى غيره لا العكس .

وجاء الإدغام على غير القياس فى بعض هذه الحروف التى لها خصائص بارزة [١] .

وجعل بعض العلماء ذلك الذى خرج عن القياس من باب إخفاء واختلاس الحركة لا من الإدغام التام [٢] حتى تتحقق القاعدة التى وضعها النحاة واللغويون ، ولا تخالف الأصول الموضوعة فى هذا الصدد .

وفى اللسان مناطق لإخراج الحروف هى :

١ - أقصى اللسان .

٢ - وسط اللسان .

٣ - طرف اللسان .

وسنتكلم عن حروف كل منها :

١ - حروف أقصى اللسان

القاف والكاف : مثل الحق كندة ، وانهك قطنا - مع تقدم القاف تارة والكاف تارة أخرى .

هنا البيان أحسن بإظهار كل من الصوتين دون إدغام لقربهما من الحلق فمخرجهما أقرب مخارج اللسان إليه فأشبهتا الخاء والغين .

والإدغام حسن أيضاً - بأن تدغم القاف فى الكاف وفق القاعدة المشار إليها فيما سبق بإدغام الأدخل مخرجاً فى الأقرب إلى الفم .

---

(١) الممتع لابن عصفور ٢ / ٢٢٧ باب ما أدغمه القراء على غير القياس .

(٢) التيسير ص ٢٨ .

والإدغام هنا سائغ لأنهما من حروف اللسان ، والمخرجان متقاربان والصوتان متفقان في الشدة .

٢ - حروف وسط اللسان

الجيم : تدغم في الشين ولا تدغم فيها الشين :

قال سيبويه : والشين لاتدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء . وفيها - أيضاً - التفشي فكرهوا أن يدغموها في الجيم وقد تدغم الجيم فيها ومن أمثلة ذلك : افرش جبلة [١] وأخر شيئا وابعشيئا والإدغام والبيان حسنان .

الشين : مع الطاء والدال والتاء :

إذا اجتمعت الشين مع هذه الحروف (الطاء والدال والتاء) في كلمة أو كلمتين فالبيان عربي جيد [٢] ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم : ﴿ البطشة ﴿١٦﴾ ﴾ « الدخان » و ﴿ بالقسط شهداء ﴿١٣٥﴾ ﴾ « النساء » ولم يقرأ بالإدغام .

ويجوز إدغام الطاء والدال والتاء في الشين بأن ننقل هذه الحروف إلى مخرج الشين حتى لا تضيع صفتا الاستطالة والتفشي الخاصتان بالشين .

فنقول ، في : اضبط شيئاً : اضبشيئاً

وفي : انقد شيئاً : انقشيئاً

وفي : انعت شيئاً : انعشيئاً

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٤٦ .

الشين مع الظاء والذال والثاء :

إذا اجتمعت الشين مع هذه الحروف (الظاء والذال والثاء) فالبيان عربى جيد لبعد مخرج هذه الحروف ومخرج الشين .

ويجوز نقل هذه الحروف إلى مخرج الشين وإدغامها فيها فنقول فى :

احفظ شنباء : احفشنباء .

وفى : خذ شنباء : خشنباء

وفى : ابعث شنباء : ابعشنباء

ولم تلتق الظاء والذال والثاء فى القرآن .

٣ - حروف طرف اللسان

(أ) ما يدغم بعضها فى بعض :

الطاء والدال والتاء :

تلتقى هذه الحروف بعضها مع بعض فيجوز الإظهار لأنها أصوات وإن اتحدت مخارجها مختلفة فى بعض الصفات كالاستعلاء والإطباق فى الطاء ، والاستفال فى التاء والدال ، وجهر الطاء والدال ، وهمس التاء .

ويثقل التكلم مع الإظهار لصعوبة الانتقال من المطبق إلى المستفل ومن المجهور إلى المهموس ، ولشدة هذه الحروف ، ولزوم اللسان موضعاً واحداً لا يتجافى عنه ولذا جاز الإدغام .

فإذا التقت التاء والدال مع الطاء وكانت التاء والدال أولاً فإنهما يصيران طاء ويدغمان فى الطاء هذا هو الأمر الطبيعى ، تقول فى : انعت طالباً : انعطالبا .

وفى : انقد طالبا : انقطالبا ؛ لأنك تقلب غير المطبق مطبقاً وفى هذا زيادة لا إجحاف ، وإذا كانت الطاء أولاً فالبيان أحسن ، لإبقاء الإطباق على حاله وعدم إذهابه .

وقد سمع عن بعض العرب فى هذه الحال إدغام المطبق فى غيره بإذهاب الإطباق حتى يجعل الطاء كالتاء والدال ؛ ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعاً عن العرب قولهم فى : حطتهم : حتهم : ، وقولهم فى : انقط توأما : انقتوأما .

وآثر بعض العرب قلب الطاء دالا فقالوا فى : اضبط دلما : اضبد لما .

وفى كل ذلك إجحاف لأن المطبق أفشى فى السمع من غير المطبق فكيف تغلب التاء والدال على الطاء ، إلا أن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلاً ، لأن الدال كالطاء فى الجهر والتاء مهموسة .

وهذا الإدغام عربى مسموع .

وإذا التقت التاء مع الدال أو العكس وأردت الإدغام جاز لك أن تدغم كل واحدة منهما فى صاحبتها حتى تصير التاء دالاً والدال تاء لأنهما من موضع واحد ، وهما شديدتان وليس بينهما شئ إلا الجهر والهمس وذلك كقولك فى : انعت دلما : انعد لما وفى : انقد تلك : انقتلك فتدغم .

- الظاء والذال والثاء :

إذا التقت هذه الحروف بعضها مع بعض جاز البيان لاتحاد المخرج والرخارة .

ويجوز الإدغام .

فإذا تقدمت الظاء على الذال والثاء أدغمت الظاء فيهما لأنها

كلها مجهورة ومن مخرج واحد ولا يفرق بين الظاء وأختيها إلا الإطباق فلك أن تدغم وتدع الإطباق أو تذهبه .

مثال إدغام الظاء فى الذال قولك فى احفظ ذلك ، احفذ ذلك ومثال إدغامها فى الثاء قولك فى : احفظ ثابتا : احفثابتا وإذا تقدمت الذال أو الثاء جاز لك إدغامهما فى الظاء . ومن ذلك قولك فى خذ ظالما : خظالما ، وفى : ابعث ظالما : ابعظالما .

والإدغام فيهن أكثر وأجود لأن أصل الإدغام لحروف اللسان والفم ، وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالط طرفه .

وهذان النوعان من الحروف (ط - د - ت) ، (ظ - ذ - ث) يتبادلان الإدغام بعضها مع بعض ، لأنهن من حيز واحد وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها .

فنقول فى : اهبط ظالما :اهبظالما وفى : ابعد ذلك : ابعذ لك ، وفى : انعت ثابتا : انعثابتا .

ومن عكس ذلك قولك فى احفظ طالبا : احفطالبا ، وفى : خذ داود : خداود ، وفى ابعث تلك : ابعتلك .

ط ، ث : اربط ثابتا : اربثّابتا ، ابعث طاهرا : ابعطاهرا .

د ، ظ : قد ظلم : قظّلم ، عظ داود : عدّاورد .

د ، ذ : قد ذرأ : قذرأ ، إذ دنا : إدّنا .

د ، ث : قد ثبت : فثّبت ، ابعث داود : ابعدّاود .

ت ، ظ : (تظاهرون عليه بالإثم) - البقرة ٨٥ - قرئ بالإدغام .

وفرى : (أوعظت) - الشعراء ١٣٦ - بالإدغام .

ت ، ذ : فعلتْ ذنبا : فلعذّنباً ، وقرئ : (وجاء المعذّرونَ) - التوبة ٩٠ - الأصل : المعتذرون ، إذ تاب : اتّاب .

ت ، ث : أخذت ثعلبا : أخذ تعلباً ، انعت ثابتاً : انعثاّبتا ، وقرئ : (اثاقلتم) وتثاقلتم - التوبة ٣٨ - .

(ب) ما يدغم بعضها فى بعض ويدغم غيرها فيها :

ص - ز - س

إذا التقت هذه الحروف بعضها مع بعض جاز الإظهار لكونها من مخرج واحد وتختلف فى بعض الصفات فالصاد مطبقة والأخريان لهما صفة الاستفال والزاى مجهورة والأخريان مهموستان .

ويجوز الإدغام .

فإذا تقدمت الصاد جاز إدغامها فى الزاى والسين مع إذهاب الإطباق . فتقول فى : افحص زردة : افحزّردة وفى : افحص سالما : افحسًا لما .

وإذهاب الإطباق مع السين أمثل قليلاً لأنها مهموسة مثل الصاد وكله عربى .

وقد تدغم الزاى والسين فى الصاد - إذا تقدمتا عليها - كقولك فى : أجز صابرا . أجصّابرا ، وفى : احبس صابرا : احبصّابرا .

وهذا جائز [١] .

والصاد والزاى والسين إذا التقت مع (ط - د - ت) أو مع (ظ - ذ - ث) فإن هذه الحروف تدغم فى الصاد والزاى والسين لا العكس لأن هذه الأخيرة تشترك مع نوعى الحروف السابقة فى طرف اللسان والثنايا فالطاء وأختاها من أصول الثنايا العليا والصاد والزاى والسين من أصول الثنايا السفلى والمسافة بينهما قليلة مما بين الثنايا والظاء والذال والثاء من أطراف الثنايا والذى بينها وبين الصاد والزاى والسين من الثنيتين يسير وحفاظاً على صفة الصفير التى تعد مزية لهذه الأصوات وأدغم غيرها فيها حتى لا تضيع هذه الصفة وتتلاشى .

---

(١) الكتاب ٤٦٠ - ٤٦٤ .

فتدغم فيها الطاء والدال والتاء فتقول في : اضبط زردة : اضيزردة ، وفي : ذهبت سلمى : ذهبسلمى ، وفي : انعت صابرا : انعصابرا - كما سمع عن العرب وقال ابن مقبل :

فكأنما اغتبقصبير غمامة   بعراً تصفقه الرياح زلالا [١] .

وتدغم فيها الظاء والذال والثاء ، فتقول في : احفظ سلمة : احفسلمة ،وفي ، احفظ زردة : احفزردة . وفي :ابعث سلمة : ابعسلمة ، وفي : خذ صابرا : خصّابراً .

ويقول سيبويه : سمعناهم يقولون : مزمان (أصله مذزمان) فيدغمون الذال في الزاى ، ويقولون : مساعة أى مذ ساعة فيدغمون الذال في السين ، والبيان في الذال أمثل .

(جـ) **الضاد** : لما للضاد من صفة الاستطالة والمخرج الخاص فإظهارها حسن .

ويجوز إدغام غيرها فيها لا العكس حتى لا تضيع صفتها وقد ورد مسموعاً إدغام الطاء والدال والتاء فيها وكذلك الظاء والذال والثاء .

فالضاد تخالط مخارج الحروف التى فوق اللام قريبة من الأسنان وهى قريبة من الطاء وتشترك معها ومع الطاء في الإطباق وتشترك مع الظاء وأخواتها في الرخاوة .

فإذا تقدمت الطاء والدال والتاء على الضاد جاز إدغامها في الضاد ومن ذلك قولك في اضبط ضرمة : اضضرمة ، وفي انعت ضرمة : انعضرمة .

وقال سيبويه : سمعنا من يوثق بعربيته قال :

ثار   فضجّضجّةً   ركائبه [٢]

---

(١) أصله : اغتبقت ، والصبير : ما تراكب من السحاب ، كأن بعضه يصبر بعضا ، أى يحبسه ، والعرا : مقصور العراء ، وهو الفضاء ، وصف امرأة بأن رضابها طيب .

(٢) أصله : فضجت ضجة ، نحر ركائبه للأضياف بسيفه ، فصرخت وصاحت . المقرب لابن عصفور ص ٧٣ .

ووقع هذا الإدغام مع الدال والتاء فى القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ فقد ضل (١٠٨) ﴾ « البقرة » ، وقوله سبحانه : ﴿ والعاديات ضبحا (١) ﴾ « العاديات » .

وهذا الإدغام قوى لاستطالة الضاد وإطباقها .

وإذا تقدمت الظاء والذال والثاء جاز إدغامها فى الضاد . ومن ذلك قولك فى : احفظ ضرمه : احفضرمة . وفى : احفظ ضأنك : احفضأنك . وفى : خذ ضرمة ، خضرمة ، وفى : انبذ ضغنك : انبضغنك . وفى : ابعث ضرمة : ابعضرمة [١] .

ولم يقع فى القرآن من ذلك شئ فى الظاء والذال ، وجاء مع الثاء مثل قوله تعالى : ﴿ حديث ضيف إبراهيم (٢٤) ﴾ « الذاريات » .

وورد إدغام الضاد فى الطاء مثل : مطّجع فى مضطجع وقراءة : (ثم أطره) فى (أضطره) - البقرة ١٢٦ - وحيث وقع كما يقول أبو حيان [٢] وورد إدغامها فى التاء مثل (فقبضت قبضة) - طه ٩٦ - (من الأرض تكلمهم) - النمل ٨٢ - وفى الشين (ثم شققنا الأرض شقا) - عبس ٢٦ - وفى الذال (الأرض ذهبا) - آل عمران ٩١ - (الأرض ذلولا) - الملك ١٥ - وفى الجيم (الأرض جاعل) - فاطر ١ - وفى الزاى (الأرض زخرفها) - يونس ٢٤ - [٣] .

(د) النــون :

تدغم النون فى الميم لا العكس مثل امحى ، واماز لأن صوتهما واحد وهما مجهوران يخرجان من الخياشيم وبينهما صلة تجعلك

---

(١) انظر الكتاب ٤ / ٤٦٣ - ٤٦٥ .

(٢) البحر ١ / ٤٩٠ .

(٣) البحر ١ / ٣٨٧ ، والتذييل ٨ / ٦٢٧ ، والارتشاف ١ / ٢١٦ ، والإقناع لابن الباذش ١ / ٢١٦ ، ٢١٧ .

تسمع النون كالميم ، والميم كالنون لا تدرك الفرق بينهما إلا بالتأمل والتبيين وإن كان المخرجان متباعدين .

وتدغم - كذلك - فى الراء واللام بغنة وبلا غنة مثل : من راشد ومن رأيت ، وهذا الإدغام بغنة لأن للنون صوتاً من الخياشيم . وما بعده ليس كذلك فتغلب الغنة ، ويمكن أن تجعله بلاغنة فتكون النون بمنزلة حروف اللسان .

وحين تدغم بغنة يتغير مجرى الهواء معها فلا يخرج من الخياشيم بل يأخذ طريق الحرف الذى أدغمت فيه من الراء واللام - وكذلك الواو والياء حال إدغامها فيهما - ويشرب صوت الفم غنة وتصير النون مثلهن فى كل شئ .

وللنون الساكنة حالات أخرى من الإخفاء والإقلاب والإظهار تدرس فى حكم النون الساكنة والتنوين مع ما يليهما من الحروف [١] .

ويمتنع الإدغام عند اللبس مثل شاة زنماء وغنم زنم وقنواء وقنية وكنية ، ومنية إذ عند الإدغام يصير كأنه من المضاعف وعليه جاءت دنيا وقنوان وصنوان دون إدغام مما جاء فى كلمة واحدة محتملاً للبس .

ولم تأت النون ساكنة قبل راء ولا لام ، فى كلمة واحدة مثل : قنر ، وعنل ، لأن ذلك إذا جاء دون إدغام فهو ثقيل لقرب المخارج ، وإذا جاء مدغماً التبس بالمضاعف فذاك موضع قد تضاعف فيه الراء وقد أتت النون ساكنة قبل الواو والياء لبعد المخرجين فخف ذلك على اللسان [٢] .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٥٢ - ٤٥٤ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ .

الفك والإدغام

فى الفعل الثلاثى المضعف

مضعف الثلاثى [١] هو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد [٢] .

ولهذا الفعل من حيث الفك والإدغام أحوال :

فتارة يكون ترك الإدغام - بإبقاء كل حرف على حاله - وهو الفك - ملتزما عند العرب .

وأخرى يكون إدغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعا إلا ما خالف ذلك مما عدا شاذا .

وثالثة يختلف العرب فى فكه وإدغامه .

فيلتزم الفك فى الماضى منه والمضارع والأمر حال الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة .

فمن الصد والجد تقول فى الماضى صددت وجددت وصددنا وجددنا ، وصددن وجددن وفى المضارع والأمر [٣] يصددن ويجددن واصددن واجددن . وقال تعالى : ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴿٦٠﴾ ﴾ « النور » وقال عز حكمه : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴿٣١﴾ ﴾ « النور » .

---

(١) الفعل المضعف نوعان : ثلاثى وهو ما نتحدث عنه ، ورباعى وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند إسناده إلى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين .

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبر ومضعف اللام مثل ابيض واقشعر واطمأن واستعد واجتر واحمر وضار ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثى أما الأول فلا يحدث فيه تغيير عند الإسناد إلى الضمائر أو الاسم الظاهر .

(٣) يسند إليهما - من الضمائر المتحركة - نون النسوة فحسب .

ويلتزم الإدغام عند إسناد المضعف - بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر - إلى ضمائر الرفع الساكنة كألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة [٤] فتقول : فى الماضى - صدا وجدا وصدوا وجدوا ، وفى المضارع المرفوع : يصدان ويجدان ويصدون ويجدون وتصدين وتجدين وفى المنصوب والمجزوم : لن أو لم يصدا ويجدا ويصدوا ويجدوا وتصدى وتجدى وفى الأمر : صدا وجدا وصدوا وجدوا وصدي ، وجدى .

وكذلك يجب الإدغام فى الماضى المضعف إذا أسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التأنيث فتقول : جد خالد وصد على ، ومحمد جد ، وجدت آلاء .

وكذلك يجب الإدغام فى المضارع المضعف إذا أسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشب الطفل على ما عوده أبواه والطفل يشب على الجد ، ولن يشب الطفل أو الطفل لن يشب على غير الجد .

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الإدغام تكون عند العرب جميعا .

وهناك حالات يجوز فيها الفك والإغام فى الفعل المضعف الثلاثى حسب اختلاف القبائل .

وذلك فى المضارع المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول : لم يصد على ولم يصدد ولم يجد أحمد ولم يجدد وعلى لم يجد ولم يجدد .

وكذلك فعل الأمر المسند إلى ضمير الواحد - وهو المبنى على

---

(٤) فى المضارع والأمر .

السكون مثل : كف واكفف وجد واجدد وصد واصدد وقد نسب الفك إلى الحجازيين ، والإدغام إلى التميميين .

ففي شرح الشافية : أهل الحجاز لا يدغمون في المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد ، لأن شرط الإدغام تحريك الثاني ، وبنو تميم وكثير من غيرهم لما رأوا أن هذا الإسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وإن كانت الحركة عارضة في نحو (اردد القوم) لم يعتدوا بهذا الإسكان وجعلوا الثاني كالمتحرك ، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالإدغام (٥) .

وقال الأزهري : إن بني تميم - أدغموا في المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبني على السكون اعتدادا بتحريك الساكن في بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعتدون بذلك (٦) .

ويذكر السيوطي أن الفعل المضاعف إن سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغيرهم من العرب يدغم لعدم اعتدادهم بالعارض (٧) .

وفي حالة الإدغام - هنا - يفتح آخر الفعل - مضارعا كان أو أمرا - للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغني ونمير - وكلها بطون من قيس - الكسر مطلقا على أصل التخلص من التقاء الساكنين .

---

(٥) ٢ / ٢٣٩ .

(٦) شرح التصريح ٢ / ٤٠١ .

(٧) همع الهوامع ٢ / ٢٢٧ .

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن أما إذا وقع بعده ساكن فإنهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه .

ونقل عن بعضهم إتباع آخر الفعل لأقرب الحركات إليه نحو رد - بالضم - وعض - بالفتح - وفر - بالكسر - إلا مع ضميرى المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال : عضه - بالضم - وردها - بالفتح وإلا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فغض الطرف ورد ابنك - بكسر آخر الفعل وفتحه - .

يقول سيبويه : اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحا فتحوه ، وإن كان مضموما ضموه وإن كان مكسورا كسروه ، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى [٨] فإن جاءت الهاء والألف فتحوا أبدا ، وسألت الخليل لم ذاك ؟ فقال : لأن الهاء خفية فكأنهم قالوا : ردا وأمدًا ، وغلا - إذا قالوا : ردها وغلها وأمدها - (كلها أفعال أمر) ، فإن جئت بالألف واللام وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان فى الأصل مجزوما ، لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر ، وذلك قولك : اضرب الرجل ، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته إلى أصله ، لأن أصله أن يكون مسكنا على لغة أهل الحجاز ، ومنهم من يفتح إذا التقى ساكنان على كل حال إلا فى الألف واللام والألف الخفيفة ، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباه ذلك . وفعلوا به إذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم ، وسمعناه ممن ترضى عربيته ، ومنهم

---

(٨) بالضم فى الأول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الإتباع .

من يدعه إذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا يجعله فى جميع الأشياء كأين ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون : غض الطرف إنك من نمير [٩] .

وقد جاءت آيات كثيرة بالإدغام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى : ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ - البقرة ٢٣٢ - .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضارُّ) - بالرفع - أى برفع الراء المشددة [١٠] على الإخبار [١١] .

وقرأ باقى السبعة (لا تضارَّ) - بفتح الراء على الجزم جعلوه نهيا [١٢] وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهى والجزم [١٣] .

وروى عن ابن عباس (لا تضارِرْ) بفك الإدغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية - مبنيا للمعلوم - وقرأ ابن مسعود - كذلك - بفك الإدغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية - مبنيا للمجهول - وكلا القراءتين على الجزم والنهى [١٤] .

---

(٩) الكتاب ٣ / ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك فى الكامل للمبرد ١ / ٣٣٩ . ٤٣٠ . والهمع ٢ / ٢٢٧ وانظر - أيضا - شرح التصريح ٢ / ٥٠١ . والمصباح ٦٨٦ .

(١٠) هذا الفعل - فى هذه القراءة ونظائرها - من ضار - بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢ / ٢١٢ ، ٢١٤ .

(١١) الكشاف ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ وهى خبرية لفظا إنشائية - على النهى - معنى .

(١٢) سكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة .

(١٣) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الراء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم وأصله (تضارِر) بكسر الراء الأولى - أو مبنيا للمفعول وأصله (تضارَر) بفتح الراء الأولى .

(١٤) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل - والدة ومولود - هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير : لا تضارر والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق -

والإظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والإدغام لغة تميم .

والفعل (يغرر) فى قوله سبحانه : ﴿ فلا يغررك تقبلهم فى البلاد ﴾ قرأ الجمهور بالفك - وهى لغة أهل الحجاز - وقرأ زيد بن على وعبيد بن عمر ﴿ فلا يغرك ﴾ (١٥) بالإدغام مفتوح الراء وهى لغة تميم .

والفعل (يضر) فى قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ (١٦) قرأ الكوفيون وابن عامر بالإدغام ، وقرأ أبى : (لا يضرركم) بفك الإدغام ، وقرأ عاصم - فيما روى أبو زيد عن المفضل عنه - بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو : لم يرد زيد ، والفتح هو الكثير المستعمل ، والفك لغة أهل الحجاز . ولغة سائر العرب الإدغام (١٧) .

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ (١٨) قرئ يمسكم بالإدغام - ويمسسكم بالفك .

وجاء الفعل (يرتد) - مجزوما - بالفك والإدغام فى قوله

= وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر ، ولا يضارر مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر .

وإذا كان مبنيا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدة الضرر من قبل الزوج وأن يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد .

(١٥) سورة غافر من الآية ٤ ، وانظر البحر ٧ / ٤٤٩ .

(١٦) آل عمران من الآية ٤ ، واختلف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد ، وهو مجزوم ، فخرج الرفع على التقديم والتقدير : لا يضركم أن تصبروا ، ونسب هذا القول إلى سيبويه ، وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع إضمار الفاء والتقدير : فليس يضركم . قاله الفراء والكسائى .

(١٧) البحر ٣ / ٤٣ .

(١٨) آل عمران من الآية ١٤٠ ، والبحر ٣ / ٦٢ وانظر ص ٤٣ أيضا .

تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ [١٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [٢٠] قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز ، والباقون بواحدة مشددة وهى لغة تميم .

كما جاء الفعل (يشاق) مجزوما - كذلك - فجاء بالفك فى قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ [٢١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ [٢٢] كما جاء بالإدغام والفك فى قوله سبحانه : ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ [٢٣] قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ طلحة بالفك [٢٣] .

والفعل (يحب) فى قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ قرأ الجمهور (تحبون ويحببكم) من أحب ، وقرأ أبو رجاء العطاردى بفتح التاء والياء من حب - وهما لغتان ، وقرئ (يحبكم) بفتح الياء والإدغام .

وأيضا الفعل (يحل) فى قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾ .

---

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١٧ ولم يقرأ هنا بإدغام المثلين ، البحر ٢ / ١٥٠ .

(٢٠) سورة المائدة الآية ٥٤ ، وانظر الكتاب ٢ / ٤١٧ ، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٣ / ٥١١ .

(٢١) سورة النساء الآية ١١٥ والبحر ٣ / ٣٥٠ .

(٢٢) سورة الأنفال الآية ١٣ أجمعوا على فك المثلين اتباعا لخط المصحف ، البحر ٤ / ٤٧١ .

(٢٣) سورة الحشر الآية ٤ والبحر ٨ / ٤٤ .

والفعل (تمنن) في قوله سبحانه : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ قرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون [٢٤] .

ويستعفف في قوله سبحانه : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [٢٥] .

ومما جاء من ذلك في الحديث ما وقع في حديث لأبي ذر (فلم أتقار أن قمت) بالإدغام أي لم ألبث وأصله أتقارر فأدغمت الراء في الراء [٢٦] .

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى : ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ [٢٧] .

وقوله سبحانه : ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾ [٢٨] الحجازيون يقولون : اغضض وأهل نجد يقولون غض بالإدغام .

وفي الحديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر) [٢٩] جاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لإنسان يصب : اصبب فصب على رأسه) [٣٠] .

وفي حديث آخر (خذ يا جابر فصب علي) [٣١] بالإدغام .

---

(٢٤) آل عمران الآية ٣١ ، طه الآية ٨١ ، المدثر الآية ٦ وانظر البحر ٢ / ٤٣١ ، ٦ / ٢٦٣ ، ٨ / ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٢٥) النور الآية ٣٣ وانظر : النهر الماد على البحر ٦ / ٤٥٠ .

(٢٦) النهاية ٤ / ٣٨ .

(٢٧) طه الآية ٣٧ وانظر البحر ٦ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢٨) لقمان الآية ١٩ ولم يقرأ هنا بإدغام المثلين .

(٢٩) صحيح مسلم ١ / ٤٦٧ .

(٣٠) المصدر السابق ٤ / ٣٠٦ .

(٣١) المصدر السابق ٤ / ٣٠٨ .

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليه) [٣٢] بالفك ، وجاء بالإدغام في قوله : ﴿ من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له) [٣٣] .

ومما ورد في الشعر قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويقول المبرد : أهل الحجاز على القياس الأصلي : اردد واغضض وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين [٣٤] .

فأهل الحجاز لا يدغمون لئلا يؤدي الإدغام إلى التقاء الساكنين إذ يحتاج إلى تسكين الأول والثاني ساكن فيلتقي ساكنان نحو : إن تردد أردد وإن تشدد أشدد وغيرهم يدغم حملا للمجزوم على غيره مثل يفر وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز [٣٥] .

هذا هو المشهور عند العرب .

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالإدغام في الماضي والمضارع والأمر المسندة إلى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون : ردت - بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب - وردن - بالإسناد إلى نون النسوة - في الماضي - ويردن وردن - بإسناد المضارع والأمر إلى نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بأن يقال : رددت بضم التاء للمتكلم وفتحها للمخاطب - ورددن ويرددن وارددن (كأنهم قدروا وجود الإدغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه) [٣٦] وكأن اتصال الضمير أمر عارض [٣٧] .

---

(٣٢) المصدر السابق ٣ / ٤٢٣ .

(٣٣) المصدر السابق ٤ / ٧٧٩ .

(٣٤) اللسان (غض) والبحر ٢ / ٤٤٣ والكامل للمبرد ١ / ٣٤٠ .

(٣٥) الممتع ٢ / ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

(٣٦) المصدر السابق ٢ / ٦٦٠ .

(٣٧) شرح الشافية ٢ / ٢٤٦ .

وعليه في الحديث (رأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا) الرواية بالفك وعند السمرقندي هزت سيفا بزاي مشددة [٣٨] .

وفي حديث أحد (حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل) أي يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك - على الأصل ، وجاءت فيه رواية أخرى هي (يستدن) - بالسين المهملة والنون - أي : يصعدن فيه .

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبي عبلة والوليد بن مسلم وأبي جعفر وشيبة ونافع - في بعض الروايات عنهم - في قوله تعالى : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ [٣٩] قرأوها بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية . ووجهها ابن خالوية في الشواذ بأنها من إدغام الياء في الياء في الماضي عيِي وهي مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به . فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الإدغام [٤٠] .

وعليه ما جاء في الحديث (حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها) كذا الرواية عند السجزي وعند أبي بحر : هشنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الإدغام ولغة بعض العرب في نقل الحركة ثم إدغامها [٤١] .

وهذا الإدغام مخالف للمعهود في اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح [٤٢] وقيل إنه شاذ قليل [٤٣] أو تركيب قبيح في العربية [٤٤] وذلك لأن الإدغام إنما جاز في المضعف لسكون الأول

---

(٣٨) شرح مسلم للنووي ١٥ / ٣٢ .

(٣٩) سورة ق الآية ١٥ . قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضي (عيي) كرضي أسنده إلى ضمير المتكلمين .

(٤٠) انظر البحر ٨ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤١) صحيح مسلم ٢ / ١٠٤٧ .

(٤٢) النووي في شرح مسلم ١٥ / ٣٢ .

(٤٣) شرح الشافية للرضي ٣ / ٢٤٥ .

(٤٤) اللسان ٤ / ٢٢٠ .

وتحرك الثانى وعند الإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك يلزم الفك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الإدغام .

ونسب الإدغام هنا إلى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة [٤٥] كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى : اعلم أنه إذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فإن بنى تميم وافقوا فيه الحجازيين فى فك الإدغام للزوم سكون الثانى . وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردت نظرا إلى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكنين . قال السيرافى : هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد [٤٦] .

كما جاء الفك فى الماضى المسند إلى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى   أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى :

فما لعينيك إن قلت اكففاهمتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم

كما جاء الفك فى الفعل الماضى المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبا إلى هذه القبيلة السابقة أيضا .

ومن ذلك الحديث (فازحفت عليه بالطريق فعيى بشأنها) [٤٧]

---

(٤٥) شرح التصريح ٢ / ٤٠٣ والأشمونى ٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢ والممتع لابن عصفور ٢ / ٦٦٠ ، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٣ / ٥٣٥ والبحر عند الحديث عن الآية أفعيينا إلخ .

(٤٦) شرح الشافية ٢ / ٢٤٦ .

(٤٧) صحيح مسلم ٢ / ٩٦٢ .

الرواية بكسر الياء الأولى من العى والعجز . وفى رواية بعضهم فعى بتشديد الياء وإدغام الأولى فيها على اللغة السابقة .

وفى كتب اللغة : عى بأمره وعيى والإدغام أكثر نقله الأزهرى وذلك عند بعض العرب [٤٨] يقال : عيى من باب تعب وقد يدغم الماضى فيقال عى [٤٩] .

صيغة افتعل

يجرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الإدغام ، فقد أراد العرب التخفيف حين تتجاور تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالدال والذال والزاى لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتى .

فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة ، والذال والزاى مع جهرهما رخوان فتقلب تاء الافتعال دالا فتقول فى افتعل من دان : ادان ومن ذكر اذدكر ومذدكر ومن زان ازدان ومن زجر ازدجر .

وبعض العرب - فى غير المتماثلين كالذال والزاى - يزيد من قوة التماثل فيحول الدال صوتا من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر : اذكر ومذكر ومن زان : ازان ، ومن زجر : ازجر .

وبعضهم يقلب فاء الافتعال إذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول : ادكر ، ومدكر ومنه قوله تعالى : ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ [٥٠] وقرأ بعضهم (واذكر) بالذال ، وعلى ذلك جاء فى الحديث (وعليه جمازة فاذرع منها يده) أى أخرجها ،

---

(٤٨) اللسان والصحاح والقاموس (عيى) .

(٤٩) المصباح ٤٤١ .

(٥٠) سورة يوسف الآية : ٤٥ . .

هكذا رواه الهروى وغيره واذرع افتعل من ذرع بمعنى مد ذراعيه ويجوز ادرع أيضا [٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ [٥٢] وفى حديث أصحاب المائدة (أمروا ألا يدخروا فادخروا) أصل الادخار : اذتخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذتخر فقلبت التاء إلى ما يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب الذال فى الجهر فقيل اذدخر ، وفيها طريقتان أخريان :

إحداهما قلب الذال المعجمة دالا وإدغامها فيها فتصير دالا مشددة ادخر - وهذا هو الأكثر .

والثانية : قلب الدال المهملة إلى ذال وإدغامها فيها فتصير اذخر وهذا هو الأقل [٥٣] .

وأراد العربى التخفيف - أيضا - حين تكون فاء الافتعال من أصوات الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء) ، لأن تاء الافتعال مستفلة ، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا فى النطق بها متجاورة مع التاء بعدها ، فيحول العربى التاء إلى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء ، والإطباق وهو الطاء لينتقل اللسان من صوت مطبق إلى نظير مطبق أيضا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول : من صبر : اصطبر ومصطبر .

ومن ضجع : اضطجع ومضطجع .

ومن طلع : اطلع ومطلع .

ومن ظعن : اظطعن ومظطعن .

---

(٥١) النهاية ٢ / ١٥٨ (ذرع) وسر الصناعة ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٤ .

(٥٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ . .

(٥٣) النهاية ٢ / ١٥٥ ، ١٥٦ وسر الصناعة ١ / ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

وقد قرب العربي التاء المستفلة من الفاء المستعلية المطبقة ولم يدغم ، أما مع الطاء فيجب الإدغام لاجتماع المثلين والأول منها ساكن .

وأحيانا يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبدلة من تاء الافتعال إلى جنس الصوت الذى هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول : في اصطبر : اصبر ، وفي مصطبر : مصبر .

قال تعالى ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ [٥٤] قرأ الجحدرى : (أن يصّلحا) بتشديد الصاد ، ويقول في اضطجع : اضجع ، وفي اظطعن اظعن بتشديد الفاء .

وأحيانا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعال من جنس الطاء التى حلت مكان التاء فيقول : في اضطجع : اطجع ، وفي اضطره : أطّره قال تعالى ﴿ قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [٥٥] ، قرأ ابن محيصن : أطّره بتشديد الطاء .

وكان أصل (يصلحا) هو يصتلحا لأنه يفتعل من صلح فقلبت تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام في أصوات اللفظ لأن التاء صوت مستفل والصاد مستعل فحولت التاء إلى صوت مستعل مناسب وهو الطاء فصار اللفظ (يصطلحا) وهذا نوع من تقريب الصوت دون إدغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا إلى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى لتتفق معها في الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه

---

(٥٤) سورة النساء الآية ١٢٨ . .

(٥٥) سورة البقرة الآية ١٢٦ .

الآن (يصلحا) ، وعلى هذا النمط تفسر اصبر ، أما قراءة (أطره) فقد كان أصل اللفظ أضتره ثم لاستفال التاء واستعلاء الضاد قلبت التاء طاء لتناسب الضاد فصارت أضطره ثم إن الضاد انتقلت إلى رخاوة الطاء فقلبت صوتا مماثلا ثم أدغمت فيها . ويعتبر ابن جنى هذه لغة مرذولة أعنى إدغام الضاد فى الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفشو فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى : (ش - ض - ر - ف - م) ويجمعها (ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها فى قولهم (مشفر) [٥٦] .

وهذه الحروف يدغم بعضها فى بعض ويحول بعضها إلى بعض لقرب المخارج فأصوات الإطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال والزاى كلهن من الثنايا وطرف اللسان [٥٧] فكلهن من حيز واحد .

أما إذا بنيت (افتعل) من واوى أو يائى الفاء فالعرب يختلفون . فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحركات التى قد تقلب الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واوا أو ألفا ففى افتعل من (ورث) يقولون : ايترث ، ياترث ، موترث ومن ينع : ايتنع ، ياتنع ، موتنع وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها فى تاء الافتعال حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق : اترث يترث فهو مترث ، واتنع يتنع فهو متنع .

تفاعل وتفعل

تأتى كل من الصيغتين بإظهار التاء دون إدغامها فيما بعدها وإذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التى تخرج من أصول الثنايا

---

(٥٦) المحتسب ١ / ١٠٦ .

(٥٧) الكتاب ٤ / ٤٦٢ - ٤٦٤ .

العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت - ظ ذ ث - ص س ز) أو من حروف وسط اللسان (ج ش) اختلفت قبائل العرب .

فبعضهم يظهر التاء فيها دون إدغام لها فى الفاء بعدها وبعضهم يدغم .

فمن الإظهار فى صيغة تفاعل قوله تعالى : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه ﴾ (٥٨) ومن الإدغام قوله عز حكمه : ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ﴾ (٥٩) وقوله تعالى : ﴿ بل ادارك علمهم فى الآخرة ﴾ (٦٠) وقوله : ﴿ اثاقلتم إلى الأرض ﴾ (٦١) .

ومما جاء بعدة أوجه قوله تعالى : ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ (٦٢) قرئ يتشابه بالياء والتاء دون إدغام وقرئ ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ (٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ (٦٤) قرئ : تظاهرون بحذف إحدى التاءين وبإدغام التاء الثانية فى الظاء (٦٥) .

ومن الإظهار فى صيغة تفعل قوله تعالى : ﴿ ثم دنا

---

(٥٨) سورة القلم من الآية ٤٩ .

(٥٩) سورة البقرة من الآية ٧٢ .

(٦٠) سورة النمل من الآية ١٨ .

(٦١) سورة التوبة من الآية ٢٨ .

(٦٢) سورة البقرة من الآية ٧٠ .

(٦٣) تفسير أبى السعود ١ / ١١٢ .

(٦٤) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

(٦٥) تفسير أبى السعود ٧ / ٩٠ .

فتدلى ﴾ [٦٦] وقوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [٦٧] وقوله سبحانه : ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ [٦٨] .

ومن الإدغام قوله عز حكمه : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ [٦٩] فأصل ازينت : تزينت فأدغم ، وقرئ على الأصل [٧٠] وقوله تعالى : ﴿ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ﴾ [٧١] أصله يتسمعون ، والبيان عربى حسن لاختلاف المخرجين [٧٢] .

وقوله جل ثناؤه : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾ [٧٣] .

أصل يصعد . يتصعد ، وقرئ يصاعد وأصله يتصاعد [٧٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ﴾ [٧٥] أصله يتصدعون على معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار .

---

(٦٦) سورة النجم من الآية ٨ .
(٦٧) سورة محمد ﷺ من الآية ٢٤ .
(٦٨) سورة النازعات من الآية ٣٥ .
(٦٩) سورة يونس من الآية ٢٤ .
(٧٠) الإتحاف ٢ / ١٠٨ .
(٧١) سورة الصافات من الآية ٨ .
(٧٢) الكتاب ٤ / ٤٦٣ .
(٧٣) سورة الأنعام . من الآية ١٢٥ .
(٧٤) تفسير أبى السعود ٣ / ١٨٣ .
(٧٥) سورة الروم الآية ٤٣ .

وفى حديث الزكاة : (لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق) [٧٦] - بضم الميم وتشديد الصاد والدال معا مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله : المتصدق فأدغمت التاء فى الصاد .

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلى كبير حتى لا تختلط ، ولا تشوه صورها ، وهذا خاص بالبيئة المدنية التى تتسم بتلك السمات ، أما غموض الأصوات ودخول بعضها فى بعض فإنه ناجم عن السرعة فى إخراجها ، وعدم التأنى فيها ، وذلك هو اتجاه قبائل البادية .

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينسب إلى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفيف ، والسرعة فى الكلام كتميم وأسد وغنى وعبد القيس ، وبكر بن وائل وكعب ونمير [٧٧] .

كما ينسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة وهى تمثل التأنى فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه [٧٨] وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى قبائلها فى مواطن من كتابه .

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حال ، بل إن بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الإدغام ، فتميل إليه كهذيل ، فهى قبيلة مدنية ، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم فى ألف المقصور بعد قلبها ياء [٧٩] .

---

(٧٦) النهاية ٣ / ١٥ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ فى الصدقة إلا إذا كان المال كله كذلك عند بعضهم ، وقد نهى عن أخذ التيس فى الصدقة لأنه مضر برب المال إلا أن يسمح به .

(٧٧) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٣٣ .

(٧٨) فى اللهجات العربية د. أنيس ٥٦ .

(٧٩) انظر ص ٣٢٥ من كتابنا (اللهجات العربية - نشأة وتطورا) .

وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين المماثلة assimilation وتدرس أحيانا تحت اسم التضعيف doubling وهى تخضع لنظرية السهولة ، وكأن الإدغام ظاهرة حادثة ، والفك هو الأصل قبل التطور .

أهم المصادر والمراجع

- أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى للمؤلف - الدكتور عبد الغفار حامد هلال .

- إبراز المعانى من حرز الأمانى ، لأبى شامة .

- الإبانة عن معانى القراءات وعللها وحججها ، لمكى بن أبى طالب . تحقيق الدكتور محيى الدين رمضان . ط دمشق .

- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للبنا الدمياطى .

- الإتقان فى علوم القرآن ، للإمام السيوطى .

- إرشاد الفحول . للشوكانى - ط القاهرة .

- أسس علم اللغة لماريوباى .

- أصول النحو ، لأبى بكر بن السراج .

- البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسى .

- البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى .

- بيان (وشرح) جهد المقل ، للمرعشى ساجقلى زادة .

- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، للدانى .

- التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد ، لأبى عمرو الدانى .

- التطور النحوى ، لبرجسترا سر .

- تفسير ابن عطية .

- تفسير ابن كثير .

- التمهيد فى علم التجويد ، لابن الجزرى .

- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى .

- تاريخ آداب اللغة العربية ، للرافعي .

- تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين .

- جمهرة اللغة ، لابن دريد .

- جمال القراء وكمال الإقراء ، للجعبري - تحقيق الدكتور على البواب - ط الرياض .

- جهد المقل ، للمرعشي ساجقلي زاده .

- جامع الترمذي .

- الجامع للأداء ، للمعدل المصري .

- الحجة في علل القراءات السبع لأبي على الفارسي - تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى الناصف ، وعبد الفتاح شلبى - ط القاهرة .

- الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم - ط دمشق .

- حجة القراءت ، لأبى زرعة .

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ، للمحبى - ط بيروت .

- دروس فى علم أصوات العربية ، لجان كانتينو .

- رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية ، لغانم قدورى - ط العراق ١٩٨٢م .

- الرعاية ، لمكى بن أبى طالب .

- زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية .

- السبعة في القراءات ، لابن مجاهد .

- سراج القارئ المبتدى وتذكرة القارئ المنتهى ، لابن القاصح .

- سنن ابن ماجة .

- سنن أبى داود .

- سنن الدارمى .

- سنن النسائى .

- السيرة النبوية ، لابن هشام .

- شرح المفصل ، لابن يعيش .

- الشاطبية (قصيدة حرز الأمانى ووجه التهانى) للإمام الشاطبى .

- صحيح البخارى .

- صحيح مسلم .

- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، لابن فارس .

- علم الأصوات العام ، لهيفنر .

- عمدة المفيد وعدة المجيد فى معرفة لفظ التجويد ، للإمام السخاوى .

- العين ، للخليل بن أحمد .

- غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى .

- فضائل القرآن (ملحق بتفسير الحافظ ابن كثير) .

- الفهرست ، لابن النديم .

- فهرسة ما رواه ابن خير الإشبيلى عن شيوخه .

- القراءات واللهجات ، للأستاذ عبد الوهاب حمودة .

- القراءات - تاريخ وتعريف ، للدكتور عبد الهادى الفضلى .
- القصيدة الخاقانية لأبى مزاحم الخاقانى .
- القاموس المحيط ، للفيروز ابادى .
- كتاب المصاحف ، للسجستانى .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة .
- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ، لمكى بن أبى طالب .
- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، للقسطلانى .
- اللغة ، لفندريس .
- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحى .
- المحتسب فى تبيين شواذ القراءات ووجوه اختلافها ، لابن جنى .
- المحكم فى نقط المصاحف ، لأبى عمرو الدانى تحقيق الدكتورة عزة حسن .
- مذاهب التفسير الإسلامى للمستشرق جولد تسيهر ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
- المقنع فى رسم المصحف ، لأبى عمرو الدانى .
- المنح الفكرية على متن الجزرية ، لعلى القارئ .
- مناهل العرفان فى علوم القرآن ، للزرقانى .
- النبأ العظيم ، للدكتور عبد الله دراز - ط الكويت .
- النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى .
- نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكى نصر الجريسى .

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة
الفصل السادس	
الإدغام والفك بين القراء واللغويين	(١٤٦-٢٣٢)

الموضوع	الصحيفة

الموضـــوع	الصحيفـة